کتابخانه آستان قدس

اسم کتاب شرح دعاء صباح — عربی ~~[illegible]~~

مصنف / مؤلف شرح شیخ اسمعیل خاجوئی

خطی / چاپی نسخ ۱۹ و ۲۱ سطری

سال طبع یا تحریر ۱۲۰۸ ق عدد اوراق ۱۰۰

جزء کتب ادعیه شماره ۳۷۰

شماره عمومی ۳۳۷۶ شماره قبض ۶۶۶۲

واقف آقا سید سعید اصفهانی تاریخ وقف شهریور ۱۳۱۴

طول ۲۲ عرض ۱۷ سانتیمتر قطعه



شناسنامه آسیب شناسی

نسخه شناسی	عنوان	شرح دعاء صباح		
	درجه نفاست	نفیس		خطی ✓ / چاپ سنگی
	تعداد اوراق	۱۰۰	اندازه	۲۲×۱۷
	قطع	وزیری	شماره اموالی	۳۳۷۶
آسیب شناسی و اقدامات مرمتی	درصد تخریب اوراق	۱۰ / ۲۰ / ۵۰ / ۸۰	از هم پاشیدگی عطف	دارد / ندارد ✓
	نیاز به جعبه	دارد / ندارد ✓	نوع آفت	شیمیایی / زیستی / فیزیکی
	نیاز به جلد سازی	دارد / ندارد ✓	نیاز به مرمت جلد	دارد / ندارد ✓
	نیاز به مرمت اوراق	دارد / ندارد ✓	نیاز به دوخت عطف	دارد / ندارد ✓
	نیاز به لکه گیری	دارد / ندارد ✓	نیاز به گردگیری	دارد / ندارد ✓
	نیاز به آفت زدایی	دارد / ندارد ✓	نیاز به اسیدزدایی	دارد / ندارد ✓

بررسی کنندگان: ۱. [illegible] ۲. ۳.

تاریخ بررسی: ۸۷/۳/۲۰

اقدامات انجام شده:

تاریخ اقدام: ۸۷/۳/۲۰

هو الواقف علی الضمائر

وقف صحیح شرعی و حبس مخلد ملّی نمود مدیر محترم کتابخانه خراسان آقا سید سعید
این یکمجلد کتاب شرح دعای صباح مولانا اسمعیل خاجوئی طاب مضجعه را بر کافه علماء اثنی عشریه
طلاب علوم دینیه کثّر الله امثالهم که مطالعه نموده استفاده حاصل نمایند و ثواب آنرا ابتداء تقدیم
بارواح مقدسه حضرت ختمی مرتبت صلی الله علیه و آله و عترت طاهرین و اوصیاء مرضیین آنحضرت علیهم السلام و تفویض
نمود بارواح آباء و اجداد و امهات خود و بستگان و تولیت آنرا تفویض نمود در هر عصر بآستان
تولیت آستان قدس و ریاست جلیله کتابخانه مبارکه الی ان یرث الله الارض و من علیها و شرط نمود
که از آستانه و کتابخانه خارج نشود مگر باجازه ریاست محترم کتابخانه و در صورت اجازه زیاده
بر یکماه در خارج نگاه ندارند و اگر باز محل حاجت شد عین نسخه را بنظر مبارک ریاست محترم رسانیده
مجدداً تقاضای اجازه مجدد نمایند و نیز شرط شد که اجازه استنساخ آنرا ندهند مگر بنفع کتابخانه
آنهم در کتابخانه نسخه نمایند لا فی الخارج و قبض و اقباض و تصرف وقف کاملاً علی النهجة القویمة المحمدیة
علیه و علی آله و اشیاعه الاف الثناء و التحیة و حضر حاج عماد فهرسی عضو ناقابل کتابخانه مبارکه عفی الله
عن جرائمه و آثامه بوکالت از طرف واقف معظم صیغه وقف را مع الشروط المذکوره جاری نمود فصار

وقفاً صحیحاً شرعیاً بحیث لا یباع و لا یوهب و لا یرهن فمن
بدّله بعد ما سمعه فانما اثمه علی الذین یبدّلونه
ان الله سمیع علیم و قد وقع ذلک فی الیوم
الاحد التاسع من شهر جمادی الثانیه ۱۳۵۴ه
المطابق للیوم السادس عشر من شهریور
۱۳۱۴

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من اذهب الليل مظلما بقدرته وجاء بالنهار مبصرا برحمته ونصلي على اشرف بريتك محمد وآله وعترته وخاصته على محرم ضميرته وصاحب كريمته اخيه صاحب السيف والقلم معدن الجود والكرم اسد الله الغالب مظهر الغرائب والعجائب علي بن ابي طالب اشرف الانبياء والمرسلين ما خلا محمد خاتم النبيين صلوة متجددة بتجدد الاصباح مشكورة بتكرر الارواح وبعد فيقول الفقير الحقير الآثم ابن مولاه الجليل محمد بن الحسين بن محمد رضا المشتهر باسمعيل عفى الله عن جرائمهم بمحمد وآله وقائمهم هذا الدعاء الشريف الموسوم بدعاء الصباح الموصوف بمفتاح الفلاح ومصباح النجاح قد اشتهرت نسبته الى جناب الحضرة المقدسة والساحة المطهرة نور الثقلين ومجمع البحرين ابي الحسنين امير المؤمنين وسيد الوصيين سلام الله عليهم اجمعين ونحن وان لم نجده بسند صحيح متصل الى ذلك الجناب المستطاب لكن نقل بعض الاصحاب انه وجده بسند صحيح وروايات صريحة متصلة اليه عليه السلام ومع قطع النظر عن ذلك فعباراته الشافية وكلماته الوافية ومضامينه العالية ونظمه الغريب واسلوبه العجيب ادل دليل واعدل شاهد على صدوره من ذلك المصدر الاعلى بارك مصدرا ولقد احسن من قال واصدق كلام بابي وامي صلى الله عليك كلام

المخلوق

المخلوق ودون كلام الخالق فلا اشتراك فيه ولا اشتباه بل حيثما كان كان ممتازا امتياز قائله عز من قائل حيث بلغ بصفاته العليا مبلغا لم يبلغه غيره واحد بل هو هو كما سماه واسمه بل نفسه فقصدت مع قصور الباع واختلال الاوضاع ان اشير الى جملة ما في فقراته وعمدة ما في كلماته اجابة لالتماس من ينبغي اجابة التماسه وتسهيلا للدعاء ما في محل التباسه فانه بحر عميق وكلام دقيق صدر من مصدر التحقيق وقد شاع وذاع في هذا الزمان قراءته في كثير من اهل الايمان وكاد ان يكون قراءته عليهم مجرد تحريك اللسان لعدم وقوفهم بمعانيه المقصودة منه فيحتاج الى البيان لكيلا يكون حالهم حال مصروع تكلم بشيء ولم يخطر معناه بالجنان وبالله الاستعانة للصواب وعليه الثقة والتكلان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى الاسم الاعظم من سواد العين الى بياضه والرحمن والرحيم صفتان مبنيتان للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة رقة القلب وانعطاف اي ميل روحاني يقتضي التفضل والاحسان واذا وصف الله تعالى بها كان المراد بها غايتها اي التفضل والاحسان لان الرقة من الكيفيات المزاجية التابعة للتأثر والانفعال والله سبحانه منزه عنها وهو اما من باب المجاز المرسل بذكر السبب وارادة المسبب اذ الرحمة والرافة سبب التفضل والاحسان واما على طريقة التمثيل بان تشبه حاله تعالى بالقياس الى المرحومين في ايصال الخير اليهم بحال الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم فاصابهم بمعروفه وانعامه واستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للاولى من غير ان يتجوز في شيء من مفرداته وعلى هذا نقس سائر الصفات التي لا يصح اتصافه تعالى بها سواء كانت انفعالات كالرحمة والحياء والغضب ولا كالاستهزاء والمكر والخداع ونحوها قيل ان صفات الله التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها فان المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله تعالى

منزهة عن ذلك وفيه ان صيغ المبالغة قسمان قسم يحصل المبالغة فيه بحسب
زيادة الفعل وقسم بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل
زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة وعلى هذا ينزل صفاته تعالى ويرتفع
الاشكال هذا وقد ورد في بعض الروايات ان الرحمن العاطف على خلقه بالرزق
لا يقطع عنهم مواد رزقه وان انقطعوا عن طاعته والرحيم لعباده المؤمنين في
تخفيفه عليهم طاعاته ولعباده الكافرين في دعائهم الى موافقته والرحمن اسم
خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة والرحمن ابلغ من الرحيم لدلالة
لان زيادة المباني تدل على زيادة المعاني فعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار الكمية
نظرا الى كثرة افراد المرحومين يقال يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لشمول رحمة الدنيا
للمؤمن والكافر واختصاص رحمة الآخرة بالمؤمن وعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار
الكيفية وهي جلالة الرحمة ودقتها بالنسبة الى مجموع كل من الرحمتين يقال يا رحمن
الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لجلالة رحمة الآخرة باسرها بخلاف رحمة الدنيا و
باعتبار النسبة لبعض افراد كل من رحمة الدنيا والآخرة الى بعض يقال يا رحمن الدنيا
والآخرة ورحيمهما لان بعضا من كل منهما اجل من بعض وبعضا من كل منهما ادق
وقد ورد كل ذلك في الادعية المأثورة عنهم عليهم الصلوة والسلام يا من دلع لسان
الصباح يوجد في بعض النسخ اللهم يا من دلع لسان فيكون عطف بيان جيء به
للمدح كما يجيء الصفة لذلك لا للايضاح فان الله تعالى على الاصح علم للذات
الواجب الوجود الخالق لكل شيء فلا ابهام فيه ولا اشتراك ليحتاج الى الايضاح و
احتمال البدلية لذلك غير جيد والتاكيد غير مناسب مقدمه صفة الذات
ما يكون الذات بذاته كافية في تحققه والاتصاف به لانه اما عين الذات كما هو
الحق او لازم على القول بالزيادة بخلاف صفة الفعل اذ الذات بذاته غير

كافية في تحققها والاتصاف بها بل هو باعتبار كونه مبدأ الفعل من الافعال يكون
منشأ لتحققها والاتصاف بها والفرق بينهما من وجوه فان صفات الذات واجبة قديمة غير
مقدورة لا يمكن الاتصاف بها وبمقابلاتها بخلاف صفات الفعل فانها ممكنة
حادثة مقدورة يمكن الاتصاف بها وبمقابلاتها والضابط ان كل شيئين متضادين
وصف الله بهما وهما في الوجود فهما من صفات الفعل كالعفو والانتقام والرضا
والسخط فانه يقال عفى عمن تاب وانتقم عمن اصر ورضي عمن اطاعه وسخط على من
عصاه وصفات الذات لا يجوز وصفه تعالى بها وبضدها فلا يجوز ان يقال
هو عالم وجاهل او قادر وعاجز وبالجملة كل صفة توجد فيه سبحانه دون
نقيضها فهو من الصفات الذاتية وكل صفة توجد فيه ونقيضها فهي من الصفات
الفعلية والمراد بصفات الجلال السلبية وبصفات الجمال الثبوتية او المراد بالاول
صفات الغضب كالقهارية وبالآخر صفات الرحمة كالغفارية والرزاقية و بعد
تقديم هذه الجملة اقول لما كان من شرائط اجابة الدعاء تقديم المدحة لله و
الثناء عليه قبل المسئلة كما ورد في الخبر اذا طلب احدكم الحاجة فليثن على ربه
وليمدحه فان الرجل منكم اذا طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام احسن ما
يقدر عليه وفي كتاب صاحب الدعاء سلام الله عليه ان المدحة قبل المسئلة ذكر
عليه السلم قبل ان يطلب منه تعالى حوائجه صفات عديدة ذاتية وفعلية وجمالية و
جلالية تدل على مدحه وثنائه تعالى مع رعاية مناسبة تلك الدعاء الصفات
لتلك الحاجات فصلحت العبارة دعجا في مقام الفصاحة والبلاغة وهو الذي قد بلغ
في الفصاحة غايتها وتجاوز في البلاغة نهايتها وقد قيل اذا اراد العبد ان يستجاب
له فليدع بما يناسبه من الاسماء الحسنى والامثال العليا وجعل تلك الصفات
المادحة جملة فعلية عاطلة من حلية الدوام والثبات ايماء الى ان التجدد اولى

بالاعتبار في المقام من الثبات والدوام لدلالته على ان تلك الاثار كالتحيز و
هذه الافعال الغريبة متجددة شيئا فشيئا ومتصرمة وقتا فوقتا فلا تخلو لحظة
من انعام جديد ومزيد للاحتياج غب مزيد ثم لما كانت الافلاك مما يقصر عنها الحيوة
على ما دل عليه بعض الاخبار وصرح بعض الاخيار مدعيا عليه اجماع المسلمين
وكانت مدبرة مسخرة لله تعالى والملائكة الموكلين بتحريكها مطيعين لله امره لا
يعصون ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون صح اسناد الدلع والتربيح وما شاكل
ذلك اليه تعالى وتوصيفه بهما والا ففي الحقيقة هذان الفعلان من الافعال المنتمية
الى الافلاك والمسببة من حركاتها ومن جزئيات بركاتها فالاسناد مجاز
عقلي من حيث انه سبب مركقولهم بنى الامير المدينة وقطع الامير اللص قال سيدنا
المرتضى علم الهدى قدس سره في بعض مسائله لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع
الحيوة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب وانها مدبرة مسخرة مصرفة وذلك
معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة انتهى وذكر نحو ذلك في
ملحقات الغرر والدرر قيل وللبحث في دعوى الاجماع والعلم بذلك من الشريعة
مجال اقول لا مجال له وكثير من الافلاك الاخبار الصحيحة والموثقة وغيرهما المذ
كورة في الصحيفة وغيره صريحة فيما ادعاه السيد وقد ذكرنا نبذة منها في بعض رسائلنا
مع ايمائنا هناك الى انها غير قابلة للصرف والتاويل فليطلب من هناك وكذا
الامر لو بني على قانون الفلاسفة وقيل ان الافلاك باجمعها حية مطيعة لمبدعها
وغرضها من حركاتها التشبه بجنابه والتقرب اليه جل شانه فان افعالها لما كانت
مضمحلة في فعله تعالى وارادته مستهلكة في ارادته جاز وصفه بذلك كما مر لما
او يقال انه اشارة الى مقام توحيد الافعال بان لا مؤثر في الوجود الا الله

كما

كما ذهب اليه قوم من الحكماء القائلون بان الله تعالى هو الفاعل الحقيقي لجميع
الممكنات وان ما عداه بمنزلة الشرايط والالات كما فهم من كلماتهم بعض المحققين
المتاخرين والفضل للسابق كما ان القصور للمتاخر هذا واثر كلمة يا من بين حروف
النداء الموضوعة للنداء البعيد على ما نقل عن الزمخشري وابن هشام مع انه سبحانه
اقرب اليه من حبل الوريد هضما لنفسه واستبعادا لها عن مظان الزلفى ورعاية
لقانون الادب الذي هو باب السالكين وطريقة العاشقين فان طرق العشق كلها
اداب او تعظيما وتبعيدا للحضرة المقدسة والساحة المطهرة عن قرب الداعي المتكدر
بالكدورات البشرية والمنغمس بالانغماسات الهيولانية او تنبيها على شدة حرصه و
قوة رغبته على اقباله كانه امر بعيد وعلى ما ذهب اليه الشيخ ابن الحاجب من انها تعم
القريب والبعيد لانها لطلب الاقبال مطلقا فلعل الوجه في ايثارها ان ما عداها
يقتضي قرب المكان او بعده بخلافها فانها لا تقتضي شيئا منهما وفيه ان التعميم لا يقتضي ذلك
غاية الامر انها جنس منحصر في نوعين فلا بد من وجوده في ضمن افرادها فلعل انها موضوعة
للنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما للعظمة او للغفلة او للاعتناء
بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهذا ايضا يصلح ان يكون وجها اخر لايثارها هنا قال
ابن المنير واصلها صوت تهتف به لمن كان بعيدا منك ثم استعمل في كل نداء وان
قرب المنادى كانك تقدر المخاطب ساهيا عنك وكفى بالغفلة بعدا اذ توقظه
بذلك الصوت من سنة التسهو ثم توذنه بخطابك وان كان مصغيا بان الامر الذي
بعده مهم عندك وكانك في غفلة عنه فتريد يقظة الى يقظة بالتصويت ثم قال
فان قلت فقد استعمل هذا الحرف في الدعاء وقد علم ان الله تعالى لا يجوز عليه السهو
ولا الغفلة ولا البعد فانه اقرب الى الداعي من حبل الوريد قلت استقرائها بالا
ستماع صادت موذنة باهتمام المتكلم بالمقصود الذي ياتي بعدها اعم من ان

يكون الساهي غافلًا او حاضرًا واظهار الاهتمام بالحاجة من قبيل الضراعة والحاح
المطلوب في الدعاء وقال الزمخشري وقول الداعي في جؤاره يا الله يا رب مع كونه اقرب
اليه من حبل الوريد استقصار منه واستبعاد لها في مظان الزلفى وهو اشاعى لان
الداعي يقول في دعائه يا قريبًا غير بعيد وربما قال يا من هو اقرب الي من حبل
الوريد فاين هذا من الانتصاب في مقام البعد انتهى كلام ابن المنير واجيب عنه
بان هذا الكلام من الداعي غير مناف لانتصابه في مقام البعد ولا بعد منه
لان المراد استقصار نفسه واستبعادها مما يقربه الى رضوان الله انتهى وليس
المراد بندائه تعالى اقباله وتوجيهه بوجهه وبقلبه على ما يزعم المجسمة والمشبهة
من مجيء وحدوثهم تعالى عن ذلك بل المراد بكونه مطلوبًا لاقبال كونه مسئول
الاجابة او الاقبال هنا كناية عن الاعتناء والاكرام لان من اعتنى باحد و
اكرمه التفت اليه واقبل بوجهه عليه فلا حاجة الى القول بان ندائه تعالى مجاز
لتشبيهه بما لا يصلح للنداء بل القول بانه غير صالح للنداء بعيد مع ان القول با
لتشبيه ايضا غير مناسب والموصول من بين المعارف ليتمكن من اجراء تلك الصفات
عليه فيكون ادل على غرضه المسوق له الكلام لانه تعالى لما كان قادرا على تلك الافاعيل
العجيبة والاثار الغريبة كان قادرًا على انجاح ما دبره واسعاف مطالبه التي ستاتي
بعد ذلك وليشير به الى ان مدعوه ومناداه انما يمكن ان يعرف بواسطة تلك
الصفات والصلات على ما هو وضع الموصول وليتنبه على ان تلك الصفات والصلات
معلومة الانتساب اليه فلا يذهب منها وهم الى غيره اذ العلم بعضها ونسبتها اليه
فطري بديهي حاصل لكل احد من الموحدين والمشركين والمقرين والمنكرين ولذا
حين ما قال الخليل لنمرود ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب لم
لم يمكنه

لم يمكنه معارضته ومجادلته لعلمه بان القادر على ذلك ليس الا هو ولذا سكت
وبهت كما اخبر الله سبحانه عنه بقوله تعالى فبهت الذي كفر او ليشعر بان الباعث له
على دعائه انما هو اتصافه بتلك الصفات والصلات وقوله عم دلع فيه التفات من الخطاب
الى الغيبة واطناب للايضاح بعد الابهام تفخيمًا لشان المبهم وتعظيما له والدلع
الاخراج ومنه انه كان يدلع لسانه للحسن اي يخرجه حتى يرى حمرته فيهش اليه يقال
دلع وادلع ومنه الحديث ان امراة رات كلبًا في يوم حار قد ادلع لسانه من العطش و
منه بيعث شاهد الزور يوم القيامة مدلعًا لسانه في النار وفي القاموس دلع لسانه
كمنع اخرجه كادلعه فدلع كمنع ونصر دلعا ودلوعًا وانما عبر عن ظهور ضوء الشمس الصبح
وتباشيره وابتدائه بدلع لسانه لانه انصداع ظلمة عن نور ولهذا يسمى بالصديع و
كان الافق كان بحرًا مملوًا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا
من النور وبعبارة اخرى انشقاق ظلمة الليل بضوء الصبح المستطير وهو اثر ضوء الصبح
يرى كانه جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر ولا يختلط
الكدر بالصافي فذلك الجدول هو المعبر عنه بلسان الصباح وقد يقال له عمود الفجر و
المراد انه تعالى فلق الظلمة فانشقت عن ضوء يستضيء به ما كان كدرا في نفسه كثيفا
في جوهره كالارض واجزائها المتصلة والمنفصلة واللسان في الاصل معناه
الفصاحة ومنه اللسن اي الفصيح وانما سميت تلك الجارحة به لكونها آلة لافصاح
المعاني وايضاحها واضافته الى الصباح اضافة اللجين الى الماء في قوله والريح تعبث
بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء حيث قدم المشبه به على المشبه و
اضيف اليه اي اصيل كالذهب على ماء كاللجين وكذا الكلام في بنطق تبلج على ما
سياتي وعلى هذا فليس في الكلام استعارة بل فيه تشبيهان فقط ويحتمل ان يكون

الاضافة فيه لامية كما سنشير اليه انشاء الله العزيز وبما ظهر ان لا حاجة الى القول
بالتجريد بان الدلع عبارة عن اخراج اللسان من الفم فهو على طريقة سفك
يسفك الدما، وسبحان الذي اسرى وفي لسان الصباح براعة استهلال لان
هذا الدعا لما كان موضوعا لان يطلب به الداعي خير صباح فذكره في مقام
الوصف والثناء براعة بارعة كما لا يخفى والصباح اول النهار اذا جاء ضياؤه
وهو الفجر ومثله الصبح وقد يطلق على منتصف الليل الى اخر الزوال كما نقله
ابن الجواليقي عن الجمع اصباح والمراد به هنا اول النهار وهو ضوء الشمس يظهر
في جانب المشرق قبل طلوعها لانها اذا قربت من الافق الشرقي مال مخروط
ظل الارض من سمت الراس وقربت الاجزاء المستضيئة في حواشي الظل من
البصر وفيه ادنى قوة فيدركه البصر وكلما ازدادت الشمس قربا من الافق
ازداد ضوءها بات الظل قربا من البصر الى ان تطلع الشمس ومظهره اما كرة البخار
القابل للظلمة وكثود او ما يقارب الافق من الاجزاء البخارية المختلطة
بالهواء القابلة للضوء لكونها متلونة في الجملة فيتحقق شرط التكيف بالضوء
والكلام فيه وفيما فيه يطلب من موضع آخر ثم الظاهر ان المراد بالصباح هنا
هو الفجر المستطير المسمى بالصادق ولان الاطلاق منصرف اليه لكونه فردا كاملا الى الذهن
لا المستطيل المسمى بالكاذب وان كان كل منهما يطلق عليه الصباح كما ورد في
الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير ولان الصادق
والكاذب من الصباح وان كان لكل منهما لسان مدلع ونطق والا لم يتصور منهما
صدق ولا كذب الا ان التبلج والاشراق مما يلايم الصادق بل هو نفسه لان الضوء
عند قرب الصباح يظهر مستدقا ضعيفا مستطيلا كالعمود ويشبه بالذنب

السرحان

السرحان لدقته واستطالته ويبقى وجه الارض على ظلامه لظلمتها ثم يزداد الضوء
الى ان ياخذ طولا وعرضا فينبسط في عرض الافق كنصف دائرة وهذا اول التبلج
والاسفار فتامل ونطق ينطق من باب ضرب تكلم بصوت وحروف يعرف بها المعاني
ويقال نطق اللسان كما يقال نطق الرجل والنطق يطلق على الظاهري الذي هو
اللفظ وكباطني الذي هو ادراك الكليات وعلى القوة التي هي مصدر ذلك الفعل
ومظهر هذا الانفعال اعني الناطقة والمراد به هنا الاول على وجه الاستعارة و
الباء فيه اما بيانية او التبيه او سببية واضافته الى التبلج اضافة الذهب الى ا
لاصيل حيث شبه التبلج الذي هو كسبب لكشف الستر بالنطق الذي هو كسبب لظهور
ما في الضمير ثم قدم عليه واضيف اليه وكما ان النطق لازم للسان المتكلم فكذا التبلج
لازم للسان الصباح او لامية او فيه بيانية وفي تبلجه لامية والضمير فيه يعود الى
الصباح والتبلج الاشراق والاضاءة يقال بلج الصبح وتبلج وانبلج اذا اشرق و
اضاء واسفر والبلجة بالضم والفتح ضوء الصبح وفي الحديث ليلة القدر بلجة اي مشرقة
ومنه ما نقل عن السيد الحميري في رد الشمس على صاحب الدعاء عليه السلام ردت عليه
الشمس لما فاته وقت الصلوة وقد دنت للمغرب حتى تبلج نورها في وقتها للعصر ثم
هوت هوي الكوكب وقد عرفت ما في الكلام من التشبيه ولك ان تقول شبه الصباح
في النفس بالشخص المتكلم بجامع الاظهار والكشف اذ الصباح كاشف الستر كما ان المتكلم
كاشف الضمير استعارة بالكناية واثبات اللسان له تخييل وهذه الاستعارة الاولى
كالاظفار للمنية في قوله اذا المنية انشبت اظفارها لان المكنية والتخييلية على مذهب
صاحب الايضاح ومن يرى رايه متلازمتان لا يتحقق احدهما بدون الاخرى اذا التخييلية
على هذا المذهب يجب ان تكون قرينة المكنية كما انها يجب ان تكون قرينة التخييلية اليه
والنطق اما نطق ترشيح او تخييل وفي دلع استعارة تبعية او هو محمول على حقيقته
وانما قلنا على هذا المذهب لان صاحب الكشاف والمحققين من شراح كلامه يقولون

ان المكنية قد توجد بدون التخييلية وان قرينتها قد يكون تحقيقية تصريحية كاستعارة
النقض لابطال العهد في قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه حيث
استعار الحبل للعهد وهي مكنية ونبه عليها بذكر النقض الذي هو ابطال تاليف الجسم
وهي استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه ابطال العهد به واطلق اسم المشبه به على
المشبه وهذا معنى قوله في الكشاف شاع استعمال النقض في ابطال العهد من
حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من اثبات الوصلة بين
المتعاهدين ومنه قول ابي التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين
القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله عز وجل اعزك واظهرك ان ترجع
الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء
المستعار ثم يرمزوا بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم
بانهما اسد وبحر انتهى كلامه قال العلامة التفتازاني استفدنا منه ان قرينة الاستعارة
بالكناية لا يجب ان تكون استعارة تخييلية بل قد يكون تحقيقية وقال صاحب الكشاف
دل كلامه من غير تكلف على ان الترادف المومى به قد يكون ما لا يستقل والغرض
منه التنبيه فقط كما في مخالب المنية وقد يكون ما يستقل وان تفرع على الاول كا
النقض والاغتراف للابطال والانتفاع ونحن في ذلك تابعه انتهى وههنا يصح
ان يقال استعار الصباح للشخص المتكلم وهي مكنية ونبه عليها بذكر اللسان الذي هو
آلة الافصاح والايضاح وهي استعارة تصريحية حيث شبه ايضاح الصباح واظهاره
الاشياء كما ينبغي باللسان ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه فتامل فيه وحاصل المعنى
انه ادعو وانادي الذي اخرج لسان الصباح بان جعله مشرقا مضيئا للعالم معربا
لما فيه من الاشياء كالنطق الذي هو معرب لذات الصدور وباظهار نوره وعرض

ضوئه

ضوئه ايضاح ضوء الصباح انما هو من ضياء الشمس قطعا وبيان ذلك على ما حرره
ارباب الهيئة ان المستضيء بالشمس من الارض اكثر من نصفها دائما لانها
اعظم منها ومتى استضائت كرة صغرى من كرة عظمى كان المستضيء من الصغرى
اكثر من نصفها والمظلم اقل ويكون ظلها مخروطا فظل الارض على هيئة مخروط
يلازم راسه مدار الشمس وينتهي في فلك الزهرة كما علم بالحساب والنهار مدة
كون المخروط تحت الافق والليل مدة كونه فوقه فاذا ازداد قرب الشمس من
شرقي الافق ازداد ميل المخروط الى غربيه ولا يزال كذلك حتى يرى شعاع المحيط به
واول ما يرى منه هو الاقرب الى موضع الناظر لانه اصدق رؤية وهو موضع
خط يخرج من بصره عمودا على الخط المماس للشمس والارض فيرى الضوء
مرتفعا من الافق مستطيلا وما يليه وبين الافق مظلما لقربه من قاعدة
المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر وهو الصبح الكاذب ثم اذا
قربت الشمس جدا يرى الضوء معترضا منبسطا وهو الصبح الصادق ومنهم من
قال انما سمي الاول كاذبا لانه معقب بالظلمة بناء على فناء ضوئه وزواله
بخلاف الثاني وقيل ان الضوء لا ينتفي بل يختفي بغلبة الضوء الثاني عليه كما
ان ضوء المصباح يختفي في حين ضوء الصباح هذا وهذا لا ينافي كونه تعالى هو فالق الصبح وفجر الوادي اراد
ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفي كون الصبح بضوء الشمس بدلائل اخترعها
وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فكانت ساقطة عن درجة
الاعتبار زائفة عند اولي الابصار تذنيب للصبح علامة شرعية يعرفان بها
قال سيدنا الصادق صلوات الله عليه وقت الغداة اذا اعترض الفجر فاضاء حسنا
واما الفجر الذي يشبه ذنب السرحان فذلك الفجر الكاذب والفجر الصادق هو المعترض
كالقباطي في القاموس القبط بالكسر اهل مصر واليهم ينسب الثياب القبطية بالضم

طبًّا

مدة بل

٣ يختفي في حين ضوء الصباح

على غير قياس والجمع قباطي وقال عليه السلم الفجر هو الذي اذا رايته كان معترضاً
كانه بياض نهر سوراء وفي القاموس سورى كطوبى موضع بالعراق وهو من بلد
السريانيين وموضع من اعمال بغداد وقد يمد **وَسَرِّحْ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَيَاهِبِ** معطوفة
على دلع وما فيه من رعاية محسنات الوصل بعد تحقق مجوزاته غير خفي اما الاولى
فلتناسبهما في الفعلية والفعليتين في الماضوية واما الثانية فلا تحاد المسند
اليه ولمناسبة الظاهرة بين المسندات وتسريح الماشية اسامتها يقال سرحت
الماشية اي نفشتها واسمتها وارسلتها للرعي وسرحت هي بنفسها رعت و
هو من الافعال اللازمة والمتعدية وسرحها بالتثقيل مبالغة وتكثير والمراد
بالسرح هنا التخلية وعدم المنع كما تسرح الماشية في المرعي وهو استعارة
تبعية او مكنية كما سيأتي وتسريح المراة تطليقها ومنه فامساك بمعروف او تسريح
باحسان وفيه ايماء لطيف الى ان تلك القطع متعلقة لعقال مشية وفي ذهابها
وايابها وطلوعها وافولها مؤتمرة باوامره فاذا امر الملك الموكل بتحريك الفلك
ان يحركه حركة الى ان تنقضي تلك القطع يجذا فيرها وبذلك يدلع لسان الصباح
واوامره بتسكينه سكنه فبقي سكان هذا العالم على ظلام قل ارايتم ان جعل
الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون
والقطع جمع قطعة وفي الارض قطع متجاورات كانما اغشيت وجوههم قطعا من
الليل مظلما والليل هو الزمان الذي يقع ما بين غروب الشمس وطلوعها عند
اهل اللغة وما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق عند اهل الشرع وقد صدق
انه عبارة عن مدة كون مخروط ظل الارض فوق الافق وبعبارة اخرى اذا كان
مركز الشمس تحت الافق الحقيقي فهو زمان الليل والعامة يعتبرون جرمها وضوئها
فاذا كان ضوء الشمس بتمامه غائبا عن النظر لا لمانع كان زمان الليل وفي عرف ٢

المشرعة

المشرعة ابتداء الليل عند اهل السنة من زمان مجاوزة جرم الشمس بتمامه عن
الافق الغربي وعند الامامية على المشهور من زوال الحمرة المشرقية في ظهور الظلمة في
ذلك الجانب وقيل علامته استتار القرص ولا عبرة بالحمرة وفيه كلام يطلب من
كتب الفروع وانتهائه بالاتفاق عند طلوع الصبح ولما كان الليل عبارة عن الزمان
المذكور وكان الزمان من الكميات المتصلة القابلة للقسمة بذاتها كانت له اجزاء
وقطع والظاهر ان المراد بقطعه ساعاته واناته ودقايقه وثوانيه وثوالثه
وروابعه الى غير ذلك من المقادير المذكورة في كتبهم فانهم قسموا اليوم بليلته على
اربعة وعشرين قسما متساوية وسموا كل قسم ساعة وقسموا كل ساعة لستين قسما و
سموا كل قسم دقيقة وسموا الساعات المذكورة مستويات لتساويها في المقدار
ابدا طال كل من الليل والنهار ام قصر لكنها تختلف في العدد بحسب طول كل منهما
وقصره وقد يقسمون كل يوم وكل ليلة باثني عشر قسما متساوية ويسمونها السا
عات الزمانيات والمعوجة لعدم تساويها في المقدار وان استوت في العدد
فان مقدار كل ساعة يزيد وينقص بحسب طول كل من الليل والنهار وقصره لكنها
لا تختلف في العدد فهي عكس المستويات فهذه الدقايق والساعات هي المراد هنا
بالقطعات او المراد بها طلوع قطعة قطعة من القوس التي بين نقطتي المشرق
والمغرب تحت الارض من دائرة مدار الشمس اعني طلوع قوس الليل شيئا فشيئا
وافولها كذلك فالظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنع الرؤية والغياهب الجلجة نظير دنطق تسلجة والغيهب الظلمة
والشديد السواد من الخيل والليل يقال فرس ادهم غيهب اذا اشتد سواده و
ليل غيهب مظلم والجمع الغياهب ومنه ما قيل ادنى الكوكب وارمق الغيهب والجلجة

غيهب مع غياهب مع
٣ فغيهب مع

والتلجلج التردد في الكلام فهو صفة المتكلم اذا ثقل لسانه فلم يقدر على تقرير
مراده وتحرير كلامه اما لدهشة او خشية او ما شاكل ذلك ومنه قولهم المنكر
ما يصدر عن الكافر من التلجلج عند سؤال الملكين وقولهم في المثل السائر الحق
ابلج والباطل لجلج اي الحق ظاهر والباطل متردد وقريب منه الحديث المشهور
خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى
تخرج وتسكن الى صواحبها في صدر المؤمن فتشبيه قطع الليل بتقطيع الماشية
استعارة مكنية واثبات التصريح لها تخييل او ترشيح وفي صرح باعتبار ضمير
الفاعل استعارة تبعية اذ الغرض منه تمثيل حاله تعالى في ارساله وذهابها
قطع الليل شيئا فشيئا بحال الراعي في تسريحه قطيع الماشية مكانا فمكانا
الا انه لم يصرح في جانب المشبه به بما بازاء المشبه من الالفاظ الا بكلمة
شرح فان مدلولها هو العمدة في هذه الهيئة وما عداه تبع يلاحظ في ضمن
الفاسوية فلا يكون لفظ سرح استعارة ويمكن جعله من قبيل التمثيل
المفرق بان يشبه ذات الله تعالى عن ذلك بالراعي ويشبه قطع الليل القطيع
الفهم وارساله اياها الى غير ذلك من الاعتبارات ولعل الاول اولى
بالاعتبار عند اولي الابصار وانما اضاف التلجلج اليه باعتبار الاشياء
الواقعة فيه لا يمكن تشخيصها ولا تمييزها كما ان من له التلجلج لا يمكن تمييز كلامه
وفهم مراده فالليل كالحيوان الصامت والانسان الابكم في انه لا
يمكن ان يفهم غرضه من صوته او يصعب والنهار كالحيوان الناطق الفصيح المفهوم
غرضه من صوته واضافة الغياهب الى التلجلج اضافة المشبه الى المشبه به او
العكس والباء فيه للملابسة والمراد انه دعا من اذهب قطعه بدر بحاله

ملتبسها

9

تلبسها بالظلمات الشبهات بالتلجلج تذنيب تقديم الجملة الاولى على الثانية و
الترتيب النظم الطبيعي يقتضي العكس اما للاهتمام بشان الصباح وغاياته او للاشعار
بتقديم النور على الظلمة والقول بان الظلمة هي الاصل والنور طار عليها يستشهدها
ثم الاستدلال عليه بقوله تعالى اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقنا
هما اي كانتا مظلمتين ففتقهما الله باظهار النور فيهما اذ لا يكون مع كرتين الا الظلام
هو سابق على النور بما قد ثبت ان القيامة لا تقوم الا نهارا فدل على ان ليلة اليوم
سابقة على نهاره اذ كل يوم له ليلة فكان الليل قبل النهار يدفعه قول الرضا عليه السلم
ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها زحل في الميزان والمشتري في ا
لسرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في
العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل انتهى او للايماء الى انه
وجودي والظلمة عدمية اذ هي عدم النور عما من شانه ان يصير مستنيرا او
الملكات اصل بالنسبة الى الاعدام قال صاحب الكشف الظلمة عبارة عن عدم النور
هذا هو المطابق للغة وعليه المحققون وزيادة عما من شانه النور غير مسموعة
انتهى وقال السعد التفتازاني اذا اجري عدم النور على اطلاقه كان بين النور
والظلمة تقابل الايجاب والسلب وان زيد عما من شانه فبينهما تقابل الملكة و
العدم وعند بعض المتكلمين هي عرض ينافي النور فبينهما تقابل التضاد انتهى وهي على
هذا وجودية وعلى الاولين عدمية والمناقشة بان الظلمة مرئية ولا شيء من الاعدام
كذلك واهية اذ لا نجد فرقا بين اغماض العين والظلمة الشديدة وفتحها كما تشهد
له التجربة واتقن صنع الفلك الدوار الاتقان الاحكام والمراد انه جعله محكما قوي
الخلق ثابتا لا ينهدم من حيث الاركان ولا يؤثر فيه مرور الازمان وبنينا فوقكم
سبعا شدادا وجعلنا السماء سقفا محفوظا والصنع بالضم مصدر قولك صنع اليه

في مقادير برجه

معروفا وصنع به صنيعا قبيحا اى فعله كذا قال الجوهري في الصحاح وتبعه صاحب القاموس
فقال صنع اليه معروفا كمنع صنعا بالضم فعله وكشئ عمله وقال الراغب الصنع اجادة الفعل
فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا قال تعالى صنع الله الذي اتقن كل شئ انتهى والفرق
بين صنع الشئ وخلقه ان الصنع عبارة عن اخراجه من العدم الى الوجود والخلق عبارة
عن اخراجه من العدم الى تقديره على مقتضى الحكمة اخرجه الى الوجود ام لا فكلما يخرج
من العدم الى الوجود مفتقرا الى التقدير اولا والى ايجاده على وفق التقدير ثانيا
والى التصوير بعد الايجاد ثالثا وهذا كالبناء المحتاج الى تقدير ما لا بد منه في
وجوده من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها
وهذا يتولاه المهندس ثم يحتاج الى البناء يتولى الاعمال التى عندها تحدث اصول
الابنية ثم الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته هذا في غير افعاله تعالى واما فيها
فان ذاته بذاته هو الخالق والصانع والمصور من حيث ترتيبه صور المصنوعات
احسن الترتيب المشاهد هذا واضافة الصنع الى الفلك اضافة الجرد الى القطيفة
والاخلاق الى الثياب اى الفلك المخلوق المصنوع والفلك بفتحتين مدار النجوم سمي بذلك
تشبيها له بفلكة الدولاب والمغزل لمشابهته لهما في الدوران قال ابو ريحان ان
العرب والفرس سلكوا في التسمية مسلكا واحدا فالعرب سموه فلكا تشبيها له بفلكة
الدولاب على محور وقطبين والفرس سموه اسمان تشبيها له بالرحى فان اس بلغتهم
الرحى وهو ان دال على التشبيه اقول فكما ان فلكة الدولاب الخسيس يحتاج في وجوده
ودورانه الى موجد يوجده ومدبر يدبره فهذا الدوران الدائم لهذا الفلك المقدر والنور[1]
فهو ادل دليل على وجود صانعه وقدرته وعلمه وحكمته اذا الضرورة قاضية بان فاعل
هذه الامور المشتملة على لطائف الصنع وبدائع النظم والترتيب عالم لطيف خبير
والمراد بالفلك جنسه او الالف واللام فيه للاستغراق فيشمل الافلاك الكلية

[1] وسائر بديعه كك هذا الدولاب الشريف الاعظم المصنوع بحكمة تقضى فيها اذهان البشر يحتاج الى موجد يوجده ومدبر يدبره وسائر بديعه صح

والجزئية

والجزئية باسرها والدوار من ابنية المبالغة من دار يدور واذا طاف حول الشئ واذا عاد الى
الموضع الذي ابتدأ منه والعرب قد تبنت مثال من كرر الفعل على فعال فقالوا الكبير
السوال الساال والاسناد الحقيقي في العرف واللغة هو ما يكون من حق الاسناد ان
يسند اليه سواء كان فاعلا حقيقيا او علة قابلية فان اهل العرف يسندون
الافعال الى تلك الاسباب ولا يدققون فيها التدقيقات الكلامية فاسناد الدوران
اليه لا ينافي ما ورد ان الله وكل بالفلك ملكا معه سبعون الف ملك وهم يديرونه
فاذا ادروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه ومخالفته لقوانين الفلاسفة
غير مضر لانها نظريات لم تثبت ببرهان فالقول بها وهي لا تعارض النصوص
الشرعية ولا سيما اجماعهم كما سبق قال غياث الدين منصور قدس سره الذي
يستفاد مما افاده القدماء من الحكماء ان كل فلك كلي شخص واحد فكل من الكليات
التى للسيارات اشبه شخص له قلب هو كوكبه واعضاء هي افلاكه الجزئية وبدن[2]
الاعضاء وهذا كالشخص الانساني فان نفسه اولا متعلق بروحه الحيواني الذي
في القلب ثم لسائر اعضائه والارادة النفسية في الكواكب فالنفس بالارادة
الكوكبية تحرك البدن وسائر الاعضاء على ما شاء واراد كما ان كل انسان و
حيوان يحرك بدنه واعضائه على ما اراد انتهى وقد قرر اصحاب الارصاد بمقتضى
ما ادت اليه ارصادهم ان كل نقطة تفرض على معقر الفلك التاسع تتحرك في عشر عشر
سبع ساعة مستوية احدا وسبعين الف فرسخ وستمائة وست فراسخ واستنبطوا منه
انه في مدة ما يتلفظ الانسان بلفظ واحد تتحرك الفا وسبعمائة واثنين وثلاثين
فرسخا فالوجه في مبالغة دورانه كما وكيفا ظاهر ثم لو كانت للارض حركة وضعية من

[2] بغيره بالكلية ود

وكانت حركة السريعة من المشرق الى المغرب وهي اليومية مستندة اليها والبطيئة المختلفة من المغرب الى المشرق مع

المغرب الى المشرق وهي الخاصة مستندة الى الفلك كما زعمه قوم لما صح وصفه بالدوار
حول الارض نفسه دلالة على البطلان ما ذهبوا اليه الا ان يقال لا منافاة بين البطوء
في الحركة وكمال الغيرة في الدوران بحسب العدة بمعنى صدور هذا الفعل عنه مرارا كثيرة
بحسب المدة لغيرها بينهما منافاة بحسب الشدة فتامل ايضا ذهب الفلاسفة الى
ان الافلاك باجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها واكثرهم على ان
غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه والتقرب اليه جل شانه وبعضهم على ان حركاتها
لورود السوانح القدسية عليها انا فانا فهي من قبيل الطرب والرقص الحاصل لنا من
شدة السرور والفرح وذهب جمع منهم الى انه لا ميت في شيء من الكواكب ايضا حتى
اثبتوا لكل منها نفسا محركة حركة مستديرة على نفسه وابن سينا في الشفا مال الى
هذا القول ورجحه في الاشارات وقال العلامة البهائي قدس سره في الحديقة
الهلالية لم يرد في الشريعة المطهرة ما ينافي ذلك القول ولا قام دليل عقلي على بطلانه ولو
قال به قائل لم يكن مجازفا قال واذا جاز ان يكون لمثل البعوضة والنملة فما دونها حيوة
فاي مانع من ان يكون لتلك الاجرام الشريفة ذلك وتبعه في ذلك كله الفاضل
قدس سره في تعليقاته على هذا الدعا، وقال ما قال ثم زاد عليه ابيات فارسية حيث
قال وانشد لبعضهم: از ملك تا فلك چو كرد لهنت فلك آمد تن و ملك جان است
عرش وكرسي وجرمها كرات كنز امست ازلهام وحشرات خنفسا ومكس جماد وقبان
همه با جان و مهر و مه بي جان؛ اقول قول ابن سينا واضرابه باعتزالهم ليس بحجة يركن
اليها الديانون في امثال تلك المطالب ولا سيما اذا كان مجرد دعوى عرية عن الحجة
والبرهان مخالفا لما انعقد اليه اجماع المسلمين كما نقله السيد السند الجليل المرتضى
علم الهدى كما سيبين وكفى بنا قلنا اذا [illegible] قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت
حذام حيث قال لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحيوة عن الفلك وما اشتمل

طوله م

عليه

عليه من الكواكب وانها مسخرة مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله
عليه وآله ضرورة مع انه مخالف لما رواه محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال سألته
عن ركود الشمس قال ان الشمس اذا طلعت جذبها سبعون الف ملك بعد ان اخذ
بكل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب ودافع حتى اذا بلغت الجو
وجازت الكو قلبها ملك النور ظهرا لبطن الحديث كذا في الفقيه وفيه عن سيد العابدين
صلوات الله عليه وعلى آبائه وعلى ابنائه الطاهرين ان الله وكل بالفلك ملكا
معه سبعون الف ملك فهم يديرون الفلك فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم
معه فنزلت في منازلها التي قدرها ليومها وليلتها الحديث وله نظائر كثيرة في الا
خبار المنقولة عن الصادقين في الاخبار والى هذا اشار السيد بقوله وانها مدبرة
مسخرة واما تاويل تلك الافلاك بنفوس الافلاك وقواها خاصة على القول بان
لكل كوكب نفسا محركة فغير جائز فان تاويل الظواهر انما يجوز اذا دلت القواطع على خلافها
وهنا ليس كذلك بل ليست لهم على ذلك شبهة فالواجب الاعراض عن كل تاويل فانه جار
في اكثر المذاهب الباطلة والاديان العاطلة ولنعرض له اعاذنا الله من التعصب المبرء
عنه اهل الحق وكنا قد ذكرنا الكلام في ذلك اوضح من ذلك في بعض رسائلنا فليطلع
من هناك هذا وفي مقادير تبرجه متعلق بالتقن ولفظة في للظرفية مدخولها الشيء
اعني حلول الشيء فيه حقيقة او مجازا وظاهر ان المقادير ليست ظرفا للاتقان فمتى حمل
اللفظ على حقيقتين فليكن على طريق الاستعارة على قياس نبذ في نعمة بان تشبه الهيئة المنتزعة
من الاتقان والمقادير ومصاحبة احدهما الآخر بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف و
اصطحابهما فيكون في الكلام استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيه لكنه لم يصرح ما بازاء
المشبه به من الالفاظ الا بكلمة في فان مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وقد مر نظيره
فتذكر والتبرج اظهار الزينة يقال تبرجت المراة اذا اظهرت زينتها للرجال ومنه و
لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ولعل المراد باتقانه في مقادير التبرج انها جعلت

المنتزع عنه م

ثابتة دائمة غير متغيرة ولا متفاوتة بمرور الشهور والدهور فان البروج الاثنى
عشر مثلا ست منها شمالية دائما مشتملة على ثلثة ربيعية وثلثة صيفية وست اخرى
جنوبية دائما وست اخرى دائمة مشتملة على ثلثة خريفية وثلثة شتوية وكذلك الكواكب
بعضها ثابتة لا يفارق في مسيره مركزه من الفلك ولا يسير الا مجتمعا وبعضها سيار
ينتقل من برج الى برج ويفترق في مسيره ولكل منها حركتين مختلفتين عامة من
المشرق الى المغرب وخاصة من المغرب الى المشرق وهذه الهيئات المختلفة والاوضاع
المتفاوتة الموزونة لتبرهن وتنبيه للناظرين قال السيد غياث الدين منصور قدس
سره المستفاد من ارباب الارصاد الروحانيات والنبوات والاولياء واعاظم الحكماء
ان الافلاك تسعة لا غير وهي منحصرة في سبع سموات وكرسي وعرش وقال الشيخ
الجليل ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة الشرع والبرهان نطقا على ان الافلاك
تسعة بعضها فوق بعض فمنها سبع سموات ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس الالهي
قال وهي اجسام كريات متسعات متجوفات مركبة بعضها في جوف بعض واكبرها
يشتمل على الكوكب وهي اجرام نورانية مستديرة مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك
وما يليها ليس فيه من الكواكب الا القمر ويسمى فلك القمر وسماء الدنيا وهو محيط بالهواء
من جميع الجهات كاحاطة قشر البيضة ببياضها والارض في جوف الهواء كمخ البيضة
في بياضها ومن وراء فلك القمر فلك عطارد وليس فيه من الكواكب غيرها ومن ورائه
فلك الزهرة وليس فيه غيرها ٢ ومن ورائه فلك المريخ وليس فيه غيره ومن ورائه
فلك المشتري وليس فيه غيره ومن ورائه فلك زحل ٣ فلك الكواكب الثابتة وهو
يشتمل على ما سوى السبعة المذكورة من الكواكب ويسمى فلك البروج وفلك الثوابت
لكونه مكانا لها وتسميتها كواكب بالثوابت لبطوء حركتها فلا يحس واما ثبات
اوضاع بعضها من بعض فانا نجد دائما وضعا معينا بين النسر الطائر والنسر الواقع

ويسمى

للناظرين مستمرة على
نهج واحد ونظام متشابه
ولقد جعلنا في السماء
بروجا وزيناها صح

ومن ورائه فلك الشمس
وليس فيه غيرها صح
٣ وليس فيه غيره وهذه
السبعة الكواكب يقال
لها سيارة ومن وراء
فلك زحل صح

ويسمى في الشرع بالكرسي ومن ورائه الفلك المحيط لاحاطته بجميع الافلاك ويسمى
فلك الافلاك والفلك الاعظم والفلك الاطلس لكونه غير مكوكب اما لخلوه عن
الكواكب او لعدم ادراكنا لما فيه منها ان كان وهو المسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع
وهذا الفلك دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض
وبالعكس تحتها في كل يوم وليلة دورة ويدير سائر الافلاك والكواكب معه كما
قال عز اسمه وكل في فلك يسبحون وسائر الافلاك يدور كل منها بحركة مختصة به من
المغرب الى المشرق فوق الارض وبالعكس تحتها بدليل ان الهلال يرى في الليلة الاولى
في مكان وفي الثانية ينتقل الى مكان آخر آخذا الى جهة المشرق وهكذا الى آخر الشهر
حتى يتم بفلكه الدورة وهي ان يعود الى النقطة التي كان عليها اولا فكان لكل
من الافلاك الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من المغرب الى المشرق وقسرية وهي
التي من المشرق الى المغرب وشبهوا ذلك بنملة على رحى والرحى تسعى الى جهة اليمين
مثلا والنملة الى جهة اليسار فللنملة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه
الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك [illegible] وتديرها الى غير جهة حركتها الذاتية
عكسا وهذه الحركة هي التي يرى بها الشمس كل يوم في شروق وغروب والا
فكلها لا يتم لدورة الا في قريب من سنة اذا عرفت هذا فالمراد بالفلك الدوار
في عبارة الدعاء اما الفلك الاعظم وانما عبر عنه به لكثرة دورانه كما سبق او
جميع الافلاك عموما كما اومأنا اليه او السيارات السبع خاصة اذا اريد بالدوران
والمبالغة فيه ما يعم الذاتي والقسري وهو الانسب بعبارة ناموس الالهي لان
الاول مع انه لا يناسبه قوله في مقادير تدبيره وان ناسبه وصفه بكثرة ا
لدوران لا يسمى بالفلك بلسان الشرع وقد عرفت حقيقة الحال وحقيقة

المقال فتذكر ثم اعلم انه لم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية عدد الافلاك
على ما هي عليه لا عقلا ولا نقلا فان الذي يدل عليه ظاهر القران ان الله سبحانه
سبع سموات لكن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزايد دون نقه الاسلام
في كتاب الروضة بسنده عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر عم قال قال لي ليلة و
انا عنده ونظر الى السماء يا ابا حمزة هذه قبة ابينا آدم عليه السلم وان الله
تعالى سواها تسعة وثلثين قبة فيها خلق ما عصى الله طرفة عين وله نظاير
اوردنا نبذة منها في هداية الفواد واشبعنا الكلام فيها فليطلب من هناك
وشعشع ضياء الشمس الشعشع والشعشعان والشعشاع الطويل ومنه
ما قال ابن ابي الحديد في قصيدته المشهورة في وصف سيف صاحب الدعا
امير المؤمنين سلام الله عليه وروحي له الفدا وحيث الوميض الشعشعاني فاض
من المصدر الاعلى تبارك مصدرا فليس سواع بعد ذا بمعظم ولا اللات
مسجودا لها ومعفرا والشعاع الخفيف والمتفرق والضوء والنور مترادفان
لغة وقيل هو اقوى من النور فهو خرط الانارة وقد يسمى تلك الكيفية ان كانت
من ذات الشيء ضوء وان كانت مستفادة من غيرها نورا اخذا من قوله تعالى
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقال صاحب الكشف والتحقيق ان الضوء
فرع النور يطلق على الشعاع المنبسط والنور يطلق على ما للشيء في نفسه كالنور
القائم بنفس الشمس ولهذا يقع على الذوات الجوهرية بخلاف الضوء قال الراغب
النور الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار وهو ضربان دنيوي واخروي فا
الدنيوي ضربان معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الانوار الالهية

كنور

كنور العقل ونور القران ومنه قد جاءكم من الله نور ومحسوس بعين البصر وهو ما
انتشر من الاجسام النيرة كالقمرين والنجوم النيرات ومنه هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا ومن النور الاخروي قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم انتهى والمشهور
ان ضياء الشمس ذاتي قائم بذاتها غير مستفاد من غيرها تستفيد منها ساير
الكواكب انوارها المرئية للظلاحتى قال صاحب الهياكل ان دخش وعني به الشمس
قاهر الغسق رئيس السماء فاعل النهار صاحب العجايب عظيم الهيبة الذي يعطي جميع الاجرام
ضوءها والمعروف من الاخبار ان ضوءها مستفاد من نور العرش ففي كتاب التوحيد
عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله بعد كلام فياتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور
العرش على مقادير ساعات النهار في طوله وقصره وما بين ذلك فتلبس تلك الحلة
كما يلبس احدكم ثيابه ومخالفته لقواعد الفلاسفة لا يضر كما مر لما مر وهم في
تحقيقها مختلفين فقال بعضهم هي تلك اجوف مملو نارا له فم يجلس لهذا الوهج والشعاع
وقال آخرون هي سحابة ~~وآخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه~~
~~شعاعها وقال آخرون هي سحابة وآخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم~~
~~ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال آخرون~~
~~اجزاء كثيرة مجتمعة من النار وآخرون هو جوهر خامس سوى الجواهر الاربعة~~ والتاج تلهب
النار ومنه قوله امتى ياتنا تلم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا واللهب حركة
اشتعال النار اذا خلص من الدخان اولهيبها لسانها والاضافات بلا شبهة لامية
والبا سببية وتشبيه الضوء بالنار مكنية واثبات التاجج واللهب له ترشيح والضمير اما
عايد الى الشمس ولم يؤنث رعاية للسابقات وموافقة لساير الفقرات او الى الضياء
والمراد ان الضياء لها تشعل وليشان تتعد ولسانه نور خالص ليس كانوار ساير

هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون ع

هي سحابة واخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال اخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة من النار واخرون هو جوهر خامس سوى الجواهر الاربعة

الشعل كالكبريت وما شاكله فان شعلة ولسانه اما لا نور له او نور غير خالص
والمعنى انه تعالى طول ضياها بسبب تجنب نور لسانه وشعلته والمراد انه قد
بلطيف حكمته دورانها حول الارض فاذا كان فوقها انفذ ضوئها في اجزاء الهواء الى
وجه الارض فيستضيء به اجزاؤها فكانه بذلك جعل ضياها طويلا ممتدا
بالغا واصلا الى وجه الارض وجميع ما في عالم العناصر او المراد انه جعل ضوئها
متفرقا منتشرا ممتدا كالرماح ونحوها ويعبر عنه بالخطوط الشعاعية وهو مبني
على ما ذهب اليه جماعة من الاوائل من كونها اجساما دقاقا تنفصل من المضيء
وتتصل الى المستضيء ولما انجر الكلام منه عليه السلام من نوع وصف الى آخر اعاد
ذكر الموصوف جل شانه وناداه ثانيا بقوله **يا من دل على ذاته** الدلالة الهداية
والارشاد والدليل الهادي والمرشد والذات يطلق في الاصطلاح على عين الشيء
جوهرا كان ام عرضا واما في اللغة فيطلق على حقيقة الشيء وقلما يستعمل بمعنى صاحب
ويجمع على الذوات وتثنيته ذواتا كما في التنزيل ذواتا افنان وقد يراد بذات
الشيء ماهيته باعتبار وجودها الخارجي اذ المعدوم لا ذات له ولا حقيقة فلا
يقال ذات العنقاء ولا حقيقتها بل ماهيتها وقد يقال على الحقيقة وعلى الهوية
الخارجية وهذا هو المراد هنا وقد يراد بذات الله تعالى ما يضاف اليه سبحانه من
الاوامر والنواهي والحدود والاحكام كجنب الله تعالى في قوله تعالى يا حسرتا على ما
فرطت في جنب الله ومنه قوله صلعم ان عليا لاخيشن في ذات الله وفيه شاهد
على استعمال الذات بهذا المعنى ورد على من انكر قال ابو تمام ويضرب في ذات الاله
~~شاهد على استعمال الذات~~ فيوجع والمراد انه عليه السلام شديد التصلب والتشدد

في الامور

في الامور
الالهية لا يداري فيها ولا يداهن ولا تاخذه لومة لائم لان الاخيشن تصغير
اخشن افعل التفضيل من خشن خشونة ضد لان قال في الاساس ومن المجاز
فلان خشن في دينه اذا كان متشددا فيه والتصغير هنا للتعظيم كقوله دويهية
تصفر منها الانامل ومنه حديث آخر ان عليا ممسوس في ذات الله والمراد انه
صلوات الله عليه لتشدده وتصلبه في الامور الالهية وعدم ملاحظته للوم لائم
او رعاية جانب شبيه بالمجنون الذي لا يبالي بما يقال فيه من لوم او موعظة اذ
الممسوس الذي به مس من جن قال في الاساس رجل ممسوس مجنون وقد يطلق
الذات على ما يقابل الوصف ويستعمل استعمال النفس والشيء ولذا يجوز تذكيره
وتانيثه ومنه قوله تعالى واصلحوا ذات بينكم قال صاحب الكشاف الاحوال الملابسة
قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب و
قوله تعالى عليم بذات الصدور وهي مضمراتها وبذاته متعلق بدل وكلاهما فيه كما في
قولك دل فلان بهذا على ذلك اي جعله دليلا عليه ومعرفا له فذاته تعالى دليل
على ذاته ومعروف له لا غيره والا لزم كون المعرف اخفى من المعرف كيف لا وهو
سبحانه اعرف الاشياء واظهرها عند العقل لانه ظاهر بذاته ومظهر لغيره
فظهوره ذاتي وظهور غيره عرضي حاصل بانتسابه اليه واستتباعه له فمعنى
دلالته ذاته على ذاته انه ظاهر بذاته لا يحتاج الى دليل يدل عليه بخلاف غيره
فانه خفي بذاته وانما يظهر به فهو دليل عليه لا ذاته ولهذا لما سئل النبي صلعم بماذا
عرفت ربك قال بالله عرفت الاشياء اي بظهوره وخفائها من حيث ذاتها
والصفات يعني نظرت الى الاشياء فوجدتها مدبرة مسخرة قائمة بالغير به قوام

ذاتها وظهور آثارها وصفاتها فعرفت اولا ان لها ربا صانعا صنعها وجعلها
مبدء للآثار ثم عرفنا بقيامها به وقوّمها وانتسابها اليه فبهذا النظر بالله عرفت الاشيا
كلها فينتقل منه اليها ويجعله وسيلة لمعرفة انها موجودة قائمة لا بذاتها بل بغيرها
ومن هنا يقال ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله او معه وعن بعض الصادقين
صلوات الله عليهم اجمعين تعرفت لي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء فانت
الظاهر لكل شيء وعنه عليه السلم منك اطلب الوصول اليك وبك استدل عليك
وقال وكيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من
الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك
ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى
دل بآثار ذاته وبما خلقه في الآفاق والانفس على معرفة ذاته او صفاته او وجود
ذاته الذي هو عين ذاته فحذف المضاف في الموضعين للعلم به وظهوره فيكون اشارة
الى الاستدلال بالمعلول الى العلة والى نفي الاولوية الذاتية والخارجية فان دلالة
وجود الممكن على وجود الواجب انما تتم وتثبت بعد نفي تلك الاولوية ~~الذاتية~~ و
~~الخارجية~~ اما بدلالة البرهان عليه او بدعوى الضرورة واشارة العقول اليه و
كان الاول اظهر لفظا واقوى معنى والا ان معرفته لهذا الوجه كانها متعذرة
او متعسرة للعوام بل الاكثر للخواص بخلاف الثاني فان من له ادنى بصيرة اذا تفكر
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ونظر الى الاشيا من حيث
ان لها ماهيات لكن لا يمكن ان توجد بذواتها عرف ان لها صانعا صنعها
ومدبرا دبرها ولذا قال علي عليه السلم البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على

ع وحاصله في الاول الاستدلال بوجود العلة على وجود المعلول وفي الثاني من نظر الى وجوده [illegible] وجود واجب [illegible] بان ظهوره اظهر من ظهور الاشياء

المسير

المسير فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير حكي ذو النون
المصري قال سمعت شخصا قائما في وسط البحر وهو يقول سيدي سيدي انا خلف البحور
والجزائر وانت الملك الفرد بلا حاجب ولا وزير من ذا الذي انس بك فاستوحش ام من ذا
الذي نظر الى آيات قدرتك فلم يدهش اما في نصبك السماء ذات الطرائق ودورتك الافلاك
فوق رؤوس الخلائق واجرائك الماء بلا سائق وارسالك الريح بلا عائق ما يدل على
فردانيتك اما السموات فتدل على صنعتك واما الفلك فيدل على حسن صنعتك واما
الرياح فتنشر من رحمتك نسيم بركاتك واما الرعود فتصوت بعظيم آياتك واما الارض
فتدل على عظيم حكمتك واما الانهار فتتفجر بعذوبة كلمتك واما الاشجار فتخبر بجميل صنائعك
واما الشمس فتدل على تمام بدايعك وهنا احتمال آخر وهو ان الحكماء ذهبوا الى ان
ان العلة الفاعلية للمعرفة تصوريا كان او تصديقيا بديهيا كان او نظريا شرعيا كان
او غيره انما يفيض من الله على الذهن بعد حصول استعداد له بسبب احساس او تجربة
او استماع او نظر او فكر او غير ذلك فهذه الامور معدات والعبد كاسب للمعرفة لا موجد
لها والظاهر من اكثر الاخبار ان العبد انما كلف بالانقياد للحق وترك الاستكبار عن
قبوله واما المعارف فانها باسرها مما يلقيها الله في قلوب عباده بعد اختيارهم الحق
ثم يكمل ذلك شيئا فشيئا بقدر اعمالهم وطاعاتهم حتى يوصلهم الى درجة اليقين فالمراد
تعالى دل بذاته على معرفة ذاته بان القاها على قلب من يشاء من عباده بعد اختياره
الحق او افاضها عليه بعد استعداده لها ويدل على الاول حسنة محمد بن حكيم قال قلت
لابي عبد الله ع المعرفة من صنع من الله ليس للعباد فيها صنع واعلم ان طرق دلالته
ارشاده سبحانه الى معرفة ذاته وان كانت لا تحصى جهاتها لكثرة الا انها تنحصر في
اقسام ثلثة يندرج تحت كل قسم مراتب غير محصورة احدها طريق الدلالة بحسب الفطرة
وهذه طريقة يشترك في سلوكها العوام ايضا اذ ما من احد الا ويعلم ان له صانعا

من صنع ومن هي قال ع

صنعه ومدبر له بحسب فطرته الاصلية لما ركب فيه من العقل الذي هو الحجة الاولى و
ان انكر وجوده منكر فانما هو لغلبة شقاوته الكسبية المبطلة لاستعداده الفطري وهو مع
ذلك يعترف به حال الاضطرار كما هو الوارد في الاخبار الثاني الطريق الحاصل بالانظار
والاستدلال بالاثار وهذه الطريقة يشترك في سلوكها جميع الخواص المستدلين من
العالمين حتى الانبياء والمرسلين وان كانوا فيه على تفاوت مراتب عقولهم الا ترى
انك تستدل بملكوت السموات وحركات الكواكب وبزوغها وافولها على صانعها و
مدبرها كما استدل بها خليل الرحمن لكن لا يحصل لك بذلك الا علم ضعيف لا يكاد
يبلغ حد الايقان بل حد الايمان حتى لو وقعت في ادنى بلية تلوذ بكل من تتوهم انه يحيلك
والذي حصل له عليه السلام كان علما ثابتا ويقينا جازما حتى قال له الروح الامين
وقد رمي بالمنجنيق فكان في الهواء مائلا الى النار الك حاجة قال اما اليك فلا
فاعراضه عنه في مثل هذه الحالة والتجاؤه الى ربه ليس الا لانه راى ما سواه مفتقرا اليه
خاشعا لديه خاضعا بين يديه بل لم ير موجودا سواه ولا ملجا الا اياه الثالث الطريق
الحاصل بالرياضة والمجاهدة الموصل الى حق اليقين بل عين اليقين وهذه طريقة خواص
الخواص الذين يعرفون الحق بالحق وهذه الفقرة الشريفة ممكنة الانطباق على جميع هذه الطرق
اما على الثالث منها فظاهر لما عرفت ان خواص الخواص انما يعرفون الله بالله ثم به
يعرفون الاشياء واما على الاول والثاني فبعد اعتبار حذف المضاف كما سبق بان يقال
انه تعالى دل على معرفة ذاته وصفاته باثار ذاته التي منها افاضة المشاعر الظاهرة و
الباطنة واعطاء العقول النظرية ونصب الامارات الانفسية والافاقية المرشدة الى ذاته
وصفاته التي هي عين ذاته كما قال عز من قائل سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد هذا ولك ان تجعل الباء

في

١٦

فهو الغاية فانها اذا الفاعل الغاية

في بذاته هي الداخلة على المفعول له كما في كريمة فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم ا
لطيبات والمراد انه تعالى دل باثاره انه على ذاته لاجل ذاته فيكون اشارة الى انه
سبحانه باعتبار ذاته علة غائية لافعاله لانه الفاعل بذاته هو ما لا يكون فعله
بامر ولا لامر غير ذاته فذاته هي الغاية وهو الغاية بذاته ولذلك قيل انه تعالى ما احب
شيئا بالذات غير ذاته المقدسة وان احب غيره فانما احب بتبعية محبة ذاته
لانه من توابعها وكلما هو اقرب اليه كان احب عنده فيرجع محبته لما سواه الى محبته
لذاته كما يدل عليه ما ورد في الحديث ان الله جميل يحب الجمال فلا نظر له الى غيره
من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا نفسه وافعال
نفسه وصنايعه واثاره وكلها راجع اليه وهو غاية كل شيء فلا تتجاوز محبته ذاته وتابع
ذاته من هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا ذاته فذاته هي الغاية بذاته وتنزه عن مجانسة
مخلوقاته يقال تنزه تنزها اذا بعد وتنزيه الله تبعيده عما لا يجوز عليه من
النقائص وكلمة عن للمجاوزة والمجانسة المشاركة في الجنس والاتحاد فيه بان
يكون جنس واحد مشتركا بين الواجب وبين مخلوقاته كاشتراك الحيوان بين
الفرس والانسان وذلك واضح البطلان اما اولا فلاستلزامه التركيب المنافي للوجوب
الذاتي لان كل جنس ماهية مبهمة في ذاتها محصلة بفصلها فالفصل علة لتحصلها
وتعينها وانطباقها على حقيقة واحدة من الحقايق المندرجة تحتها وهذه الاجزاء
لا تكون واجبة لذواتها فيكون ممكنة فالمحتاج اليها اولى بان يكون ممكنا وهذا في
نفي التركيب الخارجي عام واما نفي التركيب الذهني فبان يقال وجود الجنس وا
لفصل واحد لصحة الحمل وبينهما متحد ذاتا فوجودهما لا يكون عينهما وقد ثبت
ان وجود الواجب عينه فلا يجوز كونه مركبا واما ثانيا فلاستلزامه ان لا يكون

الواجب علة لمخلوق تثبت المشاركة له في ذلك الجنس وذلك لما تقرر ان الطبيعة
الواحدة لا يمكن ان يكون بعض افرادها علة لبعض آخر لذاته لانه لو فرض
كون نار مثلا علة لنار فعلية هذه ومعلولية تلك اما لنفس كونها نارا فلا
رجحان لاحديهما في العلية وللاخرى في المعلولية بل يلزم ان يكون كل نار علة
للاخرى بل علة لذاتها وهو محال وان كانت العلية لانضمام امر آخر فلم يكن
ما فرضناه علة بل العلة ح ذلك الامر فقط لعدم الرجحان في احديهما للشرطية و
الجزئية ايضا لاتحادهما من جهة المعنى المشترك وكذلك لو فرض المعلولية لاجل
ضميمة فتبين ان جاعل الشيء يستحيل ان يكون مشاركا له وبه يعرف ان كل
كمال وكل امر وجودي يتحقق في الموجودات الامكانية فنوعه وجنسه مسلوب
عنه تعالى ولكن يوجد له ما هو اعلى واشرف منه اما الاول فلتعاليه عن
النقص وكل مجعول ناقص والا لم يكن مفتقرا الى جاعل وكذلك ما يساويه
في المرتبة كاحاد نوعه وافراد جنسه واما الثاني فلان معطي كل كمال ليس
بفاقد له بل معدنه ومنبعه وما في المجعول رشحه وظله واما الثالث فلان كل
ممكن زوج تركيبي حادث زائدة صفاته على ذاته وهو اما جوهر او عرض
والواجب بخلاف ذلك فانه بسيط حقيقي واحد من جميع الجهات قديم صفاته
عين الذات ومنه يعلم انه ليس بجوهر فانه ماهية اذا وجدت في الخارج كانت
لا في الموضوع فوجوده زائد على ذاته ويحتمل ان يكون المراد بالمجانسة هنا
المماثلة اذ الجنس قد يطلق على ما يعبر عنه في المنطق بالنوع واهل اللغة
يسمونه ايضا جنسا وقد يطلق على ما يطلق على الكثير والقليل كالماء الذي
يقال على القطرة والبحر وقد يطلق على نفس الحقيقة ومفهوم المسمى من غير

اعتبا

اعتبار ما صدق عليه من الافراد كما يقال الجنس الرجل افضل من جنس المراة
فيكون الغرض نفي وحدانه تعالى بالتمثيل وذلك ان كل ما له مثل فليس بواجب
الوجود لذاته لان المثلية اما ان يتحقق من كل وجه فلا تعدد اذن لان التعدد
يقتضي المغايرة بوجه ما وذلك ينافي المثلية والاتحاد من كل وجه واما ان يتحقق
من بعض الوجوه وح ما به التماثل اما الحقيقة او جزؤها او امر خارج عنها و
ان كان الاول كان ما به الامتياز عرضا للحقيقة لازما او زائلا لكن ذلك باطل
لان المقتضي لذلك العرض اما المهية فيلزم ان يكون مشتركا بين المثلين
لان مقتضى المهية الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لاحد المثلين عن الآخر
حاصل للآخر او غيرها فيكون ذات واجب الوجود مفتقرة في تحصيل ما يميزها
عن غيرها الى امر خارجي واما ان كان ما به التماثل والاتحاد جزءا من المثلين
لزم كون كل منهما مركبا فبقي ان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما مع
اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود
بامر خارج عن حقيقته لاستلزام اثبات الصفة الخارجة عنه له تثنيته وتركيبه
واما ثانيا فلان ذلك الامر الخارجي المشترك ان كان كمالا لذات واجب الوجود
فواجب الوجود مستفيد للكمال من غيره وان لم يكن كمالا كان نقصانا لان الزيادة
على الكمال نقصان فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته وهذه
الاحتمالات على تقدير الابقاء المجانسة على معناها الاول وهو الاتحاد في
الجنس لا الاتحاد في النوع لان المثل في اللغة يقال لاي مشاركة كانت كما صرح
به الراغب ولما لم يكن الله تعالى داخلا تحت جنس لبراءته من التركيب المستلزم
للامكان ولا تحت نوع لافتقاره الى التخصيص بالعوارض الى غيره لا جرم

لم يكن له مثل كيف ولو كان الواجب مثل لكان ممكنا معلولا لامكان الامتناع
تعدد الواجب ولا يمكن ذلك لامتناع معلولية احد المثلين للآخر اذ العلة
لا بد ان يكون اقوى من المعلول فانه ظل للعلة والقول بجواز كون ذلك المثل
معلولا لمعلوله لا معلوله بلا واسطة مقدوح اذ المحذور ح اخس كما لا يخفى
وبالجملة وجوب الوجود يدل على سرمدية الواجب ونفي الزايد والشريك والمثل و
التركيب بمعانيه والضد والتحيز والحلول والحوادث فيه والواجب الحاجة و
الالم مطلقا واللذة المزاجية والاحوال والصفات الزايدة وامكان الوجود على
خلاف ذلك فكيف يتصور المشاركة الجنسية والحال هذه بين وجوب والامكان
الذاتيين هذا والخلق في الاصل مصدر بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء
اذا قدرته له قبل القطع ثم استعمل في ايجاد الشيء وانشائه على غير مثال سبق فقيل اي
خلق الله الاشياء خلقا باعتبار الاشياء الايجاد على وفق التقدير الذي اوجبته
الحكمة ثم اطلق على المخلوق من باب اطلاق المصدر على اسم المفعول مجازا وفي هذه الفقرة
الشريفة ايماء لطيف الى فساد عقيدة قوم قالوا انه تعالى جسم يجلس على العرش و
يزيد عليه من كل جانب ستة اشبار بشبر نفسه وانه ينزل في كل ليلة جمعة الى
حمار وينادي الى الصباح هل من تائب هل من مستغفر وحملوا ايات التشبيه كقوله
تعالى الرحمن على العرش استوى والسموات مطويات بيمينه خلقت بيدي الله فوق
ايديهم بل يداه مبسوطتان يوم يكشف عن ساق يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
والارض جميعا قبضته يوم القيمة وجاء ربك والملك صفا صفا كل شيء هالك الا

وجهه

وجهه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الى غير ذلك من الايات على ظواهرها
وتسبب في ذلك حمقهم وقلة تميزهم اذ الضرورة قاضية بان كل جسم لا ينفك عن الحركة
والسكون وقد ثبت انهما حادثان وان ما لا ينفك عن الحادث حادث فيلزم حدوثه
تعالى عن ذلك وكل حادث محتاج الى المؤثر فيكون الواجب محتاجا اليه فلا يكون واجبا و
قد تمادى اكثرهم في الغي الى ان قالوا انه تعالى يجوز عليه المصافحة وان المخلصين في الدنيا
يعانقونه وقال بعضهم اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك وقال ان معبوده
ذو لحم ودم وجوارح واعضاء وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة
لما اشتكت ومن المشبهة من قال انه تعالى نور متلألئ كالسبيكة البيضاء طوله سبعة اشبار
بشبر نفسه ومنهم من قال انه على صورة انسان فمنهم من قال انه شاب امرد جعد
قطط ومنهم من قال انه شيخ اشمط الراس واللحية تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
ومثل هؤلاء قوم اثبتوا له تعالى صفات زائدة على ذاته قديمة هي العلم والارادة والحيوة
والكلام والسمع والبصر والتكوين والبقاء والوجود الموصوف به واخرون اثبتوا له
احوالا اربعة هي العالمية والقادرية والحيية والموجودية وزعموا انها ثابتة مع ا
لذات في الازل وزاد بعضهم في الخامسة هي علة للاربعة مميزة للذات هي الالهية
وآخرون جوزوا ان يكون الله تعالى محلا للحوادث وهذا كله منهم كذب بحت وتشبيه الله
تعالى بمخلوقاته كما يدل عليه العقل والنقل منه ما رواه في الكافي بسند كاد ان يكون صحيحا
فان محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني وان ضعفه قوم الا انه وثقه النجاشي وهو يروي
عن حماد عن حريز عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر ع انه قال في صفة القديم انه واحد
صمد احدي المعنى ليس بمعان كثيرة مختلفة قال قلت يزعم قوم من اهل العراق انه
يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع قال فقال كذبوا والحدوا وشبهوا

الحيثية

تعالى الله عن ذلك علوا انه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع قال
قلت يزعمون انه بصير على ما يفعلونه قال فقال تعالى الله انما يعقل ما كان بصفة
المخلوق وليس الله كذلك ومنه قوله ع وجاء عن ملائمة جل بجل جلاله وهو جليل
عظم والجليل والحقير ضد والملائمة الجامعة والموافقة يقال لائم ولائم بين الشيئين
اذا جمع بينهما ووافق وتلائم الشيئان والتأم بمعنى وفي حديث ابن مكتوم لي قائد
لا يلائمني اي يوافقني ويساعدني والكيف عرض لا يقتضي لذاته قسمة ولا لا قسمة
ولا نسبة وانما مراتبه مشهودة المحسوسة والاستعدادية والنفسانية والمختصة
بالكم واضافة الكيفيات الى الضمير لعائد اليه تعالى لادنى ملابسة وهو علاقة
لعلية والمعلولية اي الكيفيات الازلية التي صنعها وخلقها وفيه دليل على المدعى لان
تلك الكيفيات لما كانت من مصنوعاته تعالى فكيف تلائمه وتناسبه والمصنوع لا
يلائم الصانع بل بينهما مباينة كلية والكيفية منسوبة الى الكيف اي الحال المنسوبة
الى كيف وهو الاستفهام عن الحال والتانيث باعتبار الحال التي هي مؤنث سماعية
والمراد انه تعالى اجل واعظم من ان يجامع كيفية من كيفياته بان يكون موضوعا
ومعروضا لكيفية من الكيفيات الامكانية الخلقية الحادثة لامتناع كونه محلا للحوادث
ولما سبق في الفقرة السابقة ولو كانت تلك الكيفيات الازلية والازلي عندهم
لا يكون اثر المختار لزم استنادها الى الذات على وجه الايجاب ولذا قال سيدنا
الصادق عليه السلام ان الله لا يوصف بالكيف وكيف اصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف
حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف ولكن في حديث الزنديق الذي
اتاه ع وسئله عن مسائل التوحيد انه قال فله كيفية قال عليه السلام لان الكيفية جهة

الصفة

الصفة والاحاطة ولكن لا بد من الخروج عن جهة التعطيل والتشبيه لان من نفاه
فقد انكره ودفع ربوبيته وابطله ومن شبهه بغيره فقد اثبته بصفة المخلوقين المصنوعين
الذين لا يستحقون الربوبية ولكن لا بد من اثبات ان له كيفية لا يستحقها غيره ولا
يشاركه فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره الحديث وهو يدل على انه تعالى
كيفية ذاتية هي نفس ذاته البردة البسيطة ولا يدركه غيره ولا تكون
كالكيفيات الامكانية الحادثة ولعلهم الى ذلك اشاروا بقولهم ان
اللذة ادراك الملائم من حيث هو ملائم ممن ادرك كمالا في ذاته المتدبر
كما يشهد به الوجدان وكماله اجل الكمالات وادراكه اقوى الادراكات
فوجب ان يكون لذاته اقوى اللذات هذا ما ذهب اليه الفلاسفة و
اما المتكلمون فقد اطلقوا القول بنفي اللذة عنه تعالى اما لاعتقادهم نفي
اللذات العقلية او لعدم ورود ذلك في الشرع ويرد على الفلاسفة
انهم ان ارادوا ان الحالة التي يسمونها اللذة هي نفس ادراك الملائم
فربما يختص ذلك بادراكنا دون ادراكه تعالى فانهما مختلفان قطعا و
والحق ان اللذة ليست ادراك الملائم نفسه بل هي حالة مترتبة عليه كظهور
ان السرور ليس نفس تخيل المحبوب بل مترتب عليه وايضا قد يبقى ادراك الملائم
على حدة ولا تبقى اللذة على حدها بل تضعف او تفنى كما في ابصار النقش الحسن
اذا تكرر واستمر فاللذة ليست نفس الادراك فتعريفها به مسامحة هذا وقيل
قوله لا يستحقها غيره الى آخره احتراز من توهم ان المراد بالكيفية المعنى
المعروف لغة وعرفا وهو الهيئة الحاصلة للشيء باعتبار اتصافه بالصفات
التابعة للحدوث الموجبة لتغير موصوفها وتاثر موضوعها فان هذا
المعنى محال في شان الواجب بالذات جل جلاله وقد وقع التصريح بنفيها عنه

تعالى في غير موضع من كلامهم عليهم السلم فمنه قول امير المؤمنين عليه السلم صلوات الله
عليه في خطبة لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية و
قوله عليه السلم ما وحده من كيفه اى وصفه بكيفية وقول الباقر عليه السلم ليس
لكونه كيفية ولا له اين كان اول بلا كيف ويكون اخرا بلا اين وعن ابي عبد الله عليه السلم
كيف اصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه وهو في اخبارهم
عليهم السلم كثير جدا قال بعض علمائنا قول امير المؤمنين ع ما وحده من كيفه
دل بالمطابقة على سلب التوحيد لمن وصفه بالكيفية وبالالتزام على
انه لا يجوز تكيفه لمنافاة ذلك للتوحيد وبيانه انهم رسموا الكيفية بانها
هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه
ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه فتبين ان وصفه بها
يستلزم تثنيته اذ هي صفة زائدة على الذات وهو تعالى ليست له صفة
تزيد على ذاته فينافي اثباتها له توحيده يا من قرب من اى الفكر والعقول
والاضافة لامية والمراد بقربه منها انها قابلات قادرات لادراكه و
معرفته بافعال ذاته وآثار صفاته فان كل عاقل يرى على نفسه نعما متوالية
مترادفة ظاهرة باطنة تارة كبيرة واخرى صغيرة وتارة صحة واخرى سقما و
تارة عسرا واخرى يسرا فاذا راجع نفسه علم ان له مقلبا يقلب احواله و
مغيرا يغيرها فاذا يخطر بباله انه لا باس ان يكون صانع صنعه ومدبر
تدبيره ان اطاعه اثابه وان عصاه عاقبه فيحصل له الخوف وهو ضرر يجب دفعه
ولا يمكن الا بالنظر فاذا نظر نظرا صحيحا اداه الى معرفته ومنه يعلم ان النظر
واجب ويمكن ان يكون اشارة الى ان اصل معرفته تعالى فطريا بديهي ويحتمل

في الخواطر الظنون

ان

ان يكون اضافة الخواطر الى الظنون اضافة الجرد الى القطيفة يعني انه تعالى قريب
من الظنون الخاطرة بالقلوب والمراد انه تعالى عالم بها لان الصدور لا حجاب بينه و
بينها هو قريب علما وبعيد ذاتا والخاطر الهاجس والجمع خواطر خطر بباله وعليه
~~ان يكون اضافة الخواطر الى الظنون اضافة الجرد الى القطيفة يعني انه تعالى قريب من~~
~~الظنون الخاطرة بالقلوب والمراد انه تعالى عالم بها لان الصدور لا حجاب بينه وبينها~~
~~هو قريب علما وبعيد ذاتا والخاطر الهاجس والجمع خواطر خطر بباله~~ وعليه خطورا ذكره
بعد نسيان واخطره الله كذا في القاموس وقيل الخاطر ما يرد على القلب ويمر بالبال
مما ليس للعبد فيه تعمل وهو اقسام رحماني وهو ما كان باعثا على ما فيه صلاح و
قربة ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا وشيطاني
وهو ما يدعو الى مخالفة الحق ويسمى وسواسا وقال بعض العلماء الخاطر اربعة
اقسام رباني وهو اول الخواطر وهو ما لا يخطي ابدا وقد يعرف بالقوة والتسلط
وعدم الاندفاع بالدفع وملكي وهو الباعث على مندوب او مفروض وبالجملة كل ما
فيه صلاح ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجسا وشيطاني
وهو ما يدعو الى مخالفة الحق قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء
وقال النبي ص لمة الشيطان تكذيب بالحق وايعاد بالشر ويسمى وسواسا ويعبر عن ان الشرع
فما فيه قربة هو من الاولين وما فيه كراهة او مخالفة الشرع هو من الاخرين ويشتبه في
المناجات فما هو اقرب الى الهوى وموافقة النفس هو من الاخرين والصادق الصافي
القلب الخاطر القلب مع الحق سهل عليه الفرق بينهما بتيسير الله وتوفيقه قال بعضهم
الخواطر التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالفت او امر الله قد تستتبع حركة بعض الجوارح الى
فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان كان لا يوجب اثرا في النفس ولا

تستتبع بل

يؤخذ الا انه ربما يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله
كما في حق المتمكنين في لذات الدنيا المترددين لها فان احدهم ربما دام التشبه بمن كفرض
فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا او لا يثبت عدد ركعاتها وسجداتها والتوبة
والاستغفار عن مثل ذلك يجذب العبد عن الاسباب الموجبة له انتهى والمراد هيهنا
ما يخطر بالجنان اما من قبل الرحمن بان ياتيه ملك الى ناحية صدره ويقول في سمع
قلبه وعقله وهو يقول نعم كلاما خفيا بان لك صانعا صنعك ومدبرا دبرك فيجب عليك
النظر لتعرفه واما من قبل الشيطان بان ياتيه بعض ابالسة فيمنعه عن ذلك ويسل
عليه طريقه بوسوسته والظنون كالفنون جمع ظن فقد يراد به اعتقاد راجح غير جازم
وقد يطلق على ما يقابل اليقين كما قاله الشيخ في منطق الاشارات وعلى اليقين نفسه
كما روى الرضا عليه السلم في حديث المامون انه قال معنى فظن ان لن نقدر عليه
استيقن ان لن نقدر عليه وقد يقال انه من الاضداد فيطلق على الراجح والمرجوح
معا وعلى الثاني حمل ان نظن الا ظنا وان الظن لا يغني من الحق شيئا وان بعض
الظن اثم وهو بهذا المعنى يرادف الوهم وهذا هو المناسب للمقام لان العقول وان كانت
في ادراك ما سوى الله كاملة بالغة كنه الاشيا وحقايق الامور على ما هي
عليه في نفس الامر الا انها فيما يتعلق بذات الله وصفاته تعالى كالظنون والاوهام
حيث انها لا تبلغ كنه الامور وحقيقتها بل يحكم احكاما غير مطابق للواقع قرر
بين يدي العالم عليه السلم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فقال عليه السلم
انما عنى ابصار القلوب وهي الاوهام فقال لا تدرك الاوهام كيفيته وهو يدرك
كل وهم واما عيون البشر فلا تلحقه لانه لا يحد ولا يوصف هذا وما نحن فيه
كلما ولذا قال عليه السلم وبعد عن ملاحظة البعد بين الشيئين انما يطلق على

اقصر

اقصر المسافات بينهما او على مسافة لا اقصر منها لا على الاول فقط الا يرى ان
بعد المركز من المحيط هو نصف القطر مع انه ليس اقصر الخطوط الواصلة بينهما وقد
عرفت ان القرب والبعد بالاضافة اليه تعالى ليس مكانيا مسافتيا لانه من صفات
الاجسام وهو متعال عن ذلك ومنه يعلم انه لا يمكن رؤيته تعالى لان المرئيات يجب
ان تكون جسما او عرضا حالا فيه وقد ثبت انه تعالى ليس كذلك وكلمة عن للمجاوزة
وهي متعلقة بمحذوف اي بعد بعدا متجاوزا عن ملاحظة العيون والملاحظة
المفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ واما الذي يلي الانف
فالموق والماق وفيه من المبالغة ما لا يخفى لان المرئي اذا كان لطيفا دقيقا
مشكلا ادراكه يجمع الرائي نور عينه الى ذلك الشيء رجاء ان يدركه واذا كان الله
تعالى لتجرده وعدم تحيزه بعيدا عن تلك الملاحظة ايضا فلا محالة يمتنع ان
تدركه العيون لان الافراط في البعد يمنع عن الرؤية والعيون الابصار
وكيفية قوة مرتبة في العصبة المجوفة مدركة لما يقابل العين بتوسط جرم
شفاف لا بخروج شعاع يلاقي المبصرات ولا بانعكاسه ولا بانطباع الصور
المرئية في الرطوبة الجليدية ولا في ملتقى العصبتين المجوفتين ولا بالاستدلال
لبطلان ذلك كله كما بين في محله بل بمقابلة المستنير للعين السليمة وهي ما
فيها رطوبة صافية شفافة مرآتية فيقع للنفس علم اشراقي حضوري على
ذلك المبصر المقابل لها فتدركه النفس مشاهدة والمراد انه تعالى لكونه مجردا النفس
غير ذي وضع ولا متحيز لا بالذات ولا بالعرض يمتنع رؤيته ولا تدركه العيون
والابصار ولا تحيط به الاوهام قال صاحب الدعا جعلت له الفدا
حين سئله رجل يقال له دعلب هل رايت ربك ويلك يا دعلب ما كنت
اعبد ربا لم اره فقال اويلك لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن كيف رايته

دائرة القلوب بحقائق الايمان وبالجملة الرؤية تستلزم كون المرئي اما جسما او جسمانيا
ذا جهة وحيز يكون بينه وبين الرائي هواء ينفذ فيه البصر فاذا لم يكن بينهما هواء
وعدم الضياء الذي هو شرط الرؤية لم تصح الرؤية بالبصر فالادراك المخصوص
للمعلوم بالوجه الممتاز عن غيره لا يمكن ان يتعلق بما ليس في جهة واذا لم يكن للبصر
فيه مدخل بل المدخل فيه للعقل فلا وجه لتسميته ابصارا فالقول بجواز رؤيته تعالى
عن ذلك منزها والجهة والمكان ليس مما يحتمله العقل بل هو محض الهذيان واستدل عن المقابلة م
في المشهور على نفي امكان رؤيته تعالى بان المرئي بالبصر يجب ان يكون في جهة وهو
تعالى منزه عنها والا وجب كونه عرضا او جوهرا جسمانيا وهو محال واعترضه الغزالي
بان احد الاصلين من هذا القياس مسلم وهو ان كونه في جهة يوجب المحال ولكن
الاصل الآخر وهو ادعاء هذا اللازم على اعتقاد الرؤية ثم نقول لم قلتم انه لو كان
مرئيا كان في جهة من الرائي اعلمتم ذلك ضرورة ام بنظر لا سبيل الى دعوى الضرورة
واما النظر فلا بد من بيانه ومنتهاه انهم لم يروا الى الان شيئا الا وكان في جهة
من الرائي مخصوصة ولو جاز هذا الاستدلال لجاز للمجسمة ان يقول ان الباري
تعالى جسم لانه فاعل لانا لم نر الى الان فاعلا الا جسما وحاصله يرجع الى الحكم بان
ما شوهد وعلم ينبغي ان يوافقه ما لم يشاهد ولم يعلم واجيب بان دعوى كون المرئي
هنا كعين مطهر يجب ان يكون في جهة ليس مبناها على ان المرئيات في هذا
العالم لا يكون الا في جهة حتى يكون من باب قياس الغائب على الشاهد بل النظر
والبرهان يؤديان اليه وهو ان القوة الباصرة التي في عيوننا قوة جسمانية
وجودها وقوامها بالمادة الوضعية وكل ما وجوده وقوامه بشيء فقوام فعله وانفعاله
بذلك الشيء اذ الانفعال والفعل بعد الوجود وفرعه اذ الشيء يوجد اولا اما بذاته
او بغيره ثم يؤثر في شيء او يتاثر عنه فكل ما كان وجوده كذلك فنفسها متعلقا
حيز

فيه بمادة جسمانية بما لها من الوضع كان تاثيرها او تاثرها ايضا بمشاركة المادة
ووضعها بالقياس الى ما تؤثر فيه او تتاثر عنه فلاجل ذلك يحكم بان البصر لا يرى
الا ما له نسبة وضعية الى المحل فالباصرة والسامعة لا تبصر ولا تسمع الا ما وقع
منهما في جهة او اكثر هذا هو البرهان قال السيد نظام الدين احمد قدس سره في
رسالته لاثبات الواجب تعالى قد ثبت في محله انه يجوز ان تعلم بعض النفوس المجردة
الالهية الكاملة ذات الواجب تعالى بالعلم الحضوري الذي هو عبارة عن مشاهدة
ذاته من غير تكيف ولا مسامتة ولا محاذاة واذا جاز ذلك فما المانع من قول
من يجوز رؤيته تعالى في الآخرة فان الرؤية في الحقيقة عبارة عن مشاهدة
حضورية ولا يشترط فيها وقوعها بالجارحة المخصوصة بل بعض القائلين بجوازها
صرح بان رؤيته تعالى لا يجب ان تكون بتوسط تلك الجارحة المخصوصة قال
في شرح التجريد لا يلزم من نفي الرؤية بالبصر نفي الرؤية مطلقا اذ يمكن ان يرى
لا بتلك الجارحة المخصوصة كما هو المدعى فان المثبتين لرؤيته تعالى يدعون ان الحالة
المخصوصة كما هو المدعى التي تحصل لنا بالبصر في الدنيا وتسمى رؤية تحصل لنا في تلك
النشاة تعلقها بالنسبة اليه تعالى من غير توسط تلك الجارحة انتهى ويؤيد ما ذكرناه
ما قاله المعلم الثاني في نصوصه من ان كل ادراك يحصل بلا واسطة استدلال فهو
المختص باسم المشاهدة وكلما لا يحتاج في ادراكه الى الاستدلال فهو ليس بغائب بل
هو شاهد فادراك الشاهد هو المشاهدة والمشاهدة اما بمباشرة وملاقاة
وهذا هو الرؤية والحق الاول تعالى لا يخفى عليه ذاته وليس ذلك باستدلال
فجاز على ذاته مشاهدة كماله من ذاته فاذا تجلى لغيره مغنيا عن الاستدلال
وكان بلا مباشرة ولا مماسة كان مرئيا لذلك الغير فانه صريح فيما ذكرناه

فان قلت اذا كانت المشاهدة الحضورية هي الرؤية فلا مانع منها في هذه
النشأة ايضا فلم اختص جواز الرؤية بالنشأة الاخرة كما هو مذهب اكثر القائلين
بجوازها قلت لعل هؤلاء لا يعنون الجواز بل الوقوع ولعل السر في ذلك ما
صرح به بعض الاعاظم من ان النفس سيما الكاملة المشرقة اذا شاهدت
المبدء الاول والتذت بلذات مشاهدته قل اقبالها على الجسم ~~وعالم~~
التجسيم وكلما زاد ~~اقبالها على الجسم~~ وعالم التجسيم وكل ما زاد اقبالها عليه نقص
توجهها الى هذا العالم فينقص توجهها الى ما تدبره من الجسم بل تعرض عنه
بالكلية فتتفتت اجزاء بدنها وتفسد وتنحل تركيبه ويبطل نظام اعضائه و فتفت
انفصالها فلم يبق حيوة بدنية لاعراضها عن البدن بالكلية فان نظام البدن
واتصاله من اثار المجرد المدبر على ما هو المشهور وبهذا يظهر تفسير الاية الكريمة
الحاكية عن سؤال موسى عم فانه حيث سئل الرؤية وهي المشاهدة الحضورية
اجيب بلن تراني اى لن تشاهدني وانت في هذه النشأة التعلقية ويؤيد هذا
ما في التورية لا يراني ابن آدم وهو حي اى في حال حيوته البدنية فان قيل فلا
يكون الرؤية مع بقاء الحيوة في النشأة الاخرة ايضا قلت لعل البدن الذي
في النشأة الاخرة غير قابل للتفرق والتفتت ولعل النفس لكمال قوتها التي
اكتسبها في تلك النشأة اذا شاهدت المبدء الاول فيها فان قبلت عليه اقبالا
كليا لا تعرض عن البدن بالكلية ولا يشغلها شان عن شان ولا يخفى على الخبير ان
ما ذكرنا ليس توجيها لكلام القائلين بجواز رؤيته تعالى وهم الاشاعرة فان
جمهورهم صرح بان الله تعالى يرى في الاخرة بهذه الجارحة المخصوصة

بل

بل هو تفسير وتاويل للايات والاخبار الدالة على جواز رؤيته تعالى ووقوعها في
النشأة الاخرة فيكون جوابا لاستدلالهم بتلك الايات والروايات سيما ما ذكرنا
من ان طلب موسى عليه السلم الرؤية دال على جوازها والا لزم ان يكون جاهلا و
بصفاته تعالى فانه انما طلب المشاهدة الحضورية الصرفة الخالية عن شوب الخيالات
والاوهام لا الرؤية بالبصر ولا حاجة الى تكلفات ارتكبها القائلون بامتناعها
فافهم انتهى كلامه وعلمه بما كان قبل ان يكون ما وان مصدرية ان كان ويكون
تامتان والمراد انه تعالى كان عالما بالكون اى الوجود على ما هو عليه قبل الكون قبلية
ذاتية او دهرية او زمانية على الخلاف والاوسط كما فصلنا القول فيه في رسالتنا المعمولة لبيان الحدوث الدهري وذلك لان ذاته تعالى بذاته مبدء فيضان اوسطه
جملة الموجودات عنه فعلمه بذاته علم بجميع الموجودات وانكشافها له ولا حاجة له في
ذلك الى امر مغاير لذاته وانكشافها له انكشاف تفصيلي اذ العلم التام بالعلة علم
تام بالمعلول منهم من قال بان علمه تعالى بما سواه لما كان علما حضوريا وظاهر ان
حضور الاشياء انما يمكن حين وجودها لا قبلها فلا بد من اثبات علم له تعالى اجمالي
هو عين ذاته ومقدم على كافة الايجادات واما من ذهب منهم الى ان علمه تعالى بالاشياء
علم حصولي وقال بان صورها في الازل كانت قائمة بذاته تعالى عن ذلك اما الكليات
فعلى وجهها واما الجزئيات فعلى وجه كلي فلا حاجة له الى اثبات ذلك العلم الاجمالي و
لظاهر من الاخبار ان علمه تعالى عين ذاته وانه كان عالما بالاشياء قبل احداثها
فلما احدثها وقع العلم منه على ما كان معلوما له في الازل وانطبق عليه وتحقق مصداقه
قال سيدنا ابو عبد الله الصادق عليه السلم على ما رواه عنه ابو بصير لم يزل الله عز وجل
ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما احدث
الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر و

القدرة على المقدور ويحتمل ان يكون المراد به توعده عليه بالعلم به على انه حاضر وكان قد تعلق به على وجه الغيبة وانه سيوجد والتعيين يرجع الى المعلوم لا الى العلم و لتفصيل المقام موضع آخر **يا من ارقدني في مهاد** الرقد النوم كالرقاد والرقود بعضها بضمها او الرقاد خاص بالليل وارقده انامه ولما كانت اسباب النوم واليقظة واتخاذ الليل والنهار منه سبحانه تعالى اسند الفعل في الموضع اليه مجازا فكانه تعالى كالوالد البر الرحيم الذي ارقد ولده الصبي في مهد امن وامان بحراسته له وكلائته اياه عما يضره ويؤذيه حكي ذو النون المصري انه كنت في البيت اذ وقعت زلزلة في قلبي وصرت بحيث ما ملكت نفسي فخرجت من البيت و انتهيت الى شط النيل فرايت عقربا قويا تعدو فتبعتها فوصلت الى طرف النيل فرايت ضفدعا واقفا على طرف الوادي فقربت العقرب على ظهر الضفدع واخذ الضفدع يسبح ويذهب فركبت السفينة وتبعته فوصل الى الطرف الاخر من النيل ونزلت العقرب عن ظهره واخذت تعدو فتبعتها فرايت شابا نائما تحت شجرة ورايت افعى يقصده فلما قربت الافعى من الشاب ووصلت العقرب الى الافعى لدغته والافعى ايضا لدغت العقرب فماتا معا وسلم ذلك الانسان انتهى فانظر الى حسن صنعه بعباده وكيف تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم هذا و يحتمل ان يكون محمولا على الحقيقة كما يدل عليه مرسلة ابي منصور المذكورة في اصول الكافي المروية عن ابي عبد الله الصادق عليه السلم قال ستة اشياء ليس للعباد فيها صنع المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة والمهد معروف وهو الموضع الذي يهيأ للصبي ويوطا والارض كالمهاد والارض فرشناها فنعم الماهدون الم نجعل الارض مهادا اي بساطا ممكنا للسلوك وقيل المهاد بالكسر الفراش

وجمعه

وجمعه مهد ككتاب وكتب ويكون المهاد جمع مهد ايضا كسهام وسهم ويجمع على مهود ايضا كفلس وفلوس والاضافة من قبيل لجين الماء حيث شبه الامن والامان بالمهاد بجامع كراحته ثم قدم المشبه به على المشبه واضيف اليه او بيانية او شبه الامن والامان بعضا متسع ثم اثبت له المهاد ولعله الانسب بالنظر الى لفظ الجمع واما على الاولين فلعله محمول على المبالغة او اريد به المفرد والامن ضد الخوف وهو اطمينان القلب وسكون البدن من عدم القلق والاضطراب الحاصل من مصادمة المكروه وهو في الوصف كعائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند وهو الذي امن عباده من الظلم والجور وقيل الامن عدم توقع مكروه في المستقبل وفي المصباح امن انيد الاسد امنا وامن منه مثل سلم وزنا ومعنى والاصل ان يستعمل في سكون القلب انتهى وامانه تعالى حفظه و حراسته وكلائته عباده عن الافات والعاهات والبليات التي لا اقتضى حكمته جلت عظمته اصابتها لهم وهو الذي يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ولارقادة تعالى عباده في مهاد امنه وامانه اسباب و بواعث من الطهر والدعوات والتعوذ بالكلمات التامات مذكورة في مكانها فليطلب من هناك **وايقظني الى ما منحني به من** اليقظة محركة نقيض النوم واليقظة تنبيه ومنحه كمنعه اعطاه والمنحة العطية والظرف متعلق بمحذوف اي منبهي ومرشدا الى ما اعطاه من توفيقه لعبادته وتاهيله لطاعته وما يحصل به المعاش وينتظم به المعاد ولفظة من بيانية والمنن جمع منة بالكسر بمعنى النعمة وهو الذي اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والمن العطاء وكثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه وفي القاموس من عليه منا انعم

واصطنع عليه صنيعة ومنه امن وقيل المنة النعمة الثقيلة وتطلق على معنيين احدهما

ان تكون بالفعل فيختص عليه انقله بالنعمة ومنه لقد من الله على المؤمنين الثاني

ان تكون بالقول وهو عد الاحسان وهو مستقبح ولهذا قيل المنة تهدم الصنيعة الا

عند الكفران وقال بعض العلماء المنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه

بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير موضع من

كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم للخلق والسبب المفادي

كون كل منعم سواه يحتمل ان يتوقع لنعمته جزاء ويستفيد كمالا يعود اليه مما ان

ويقدح بمن يعامل بنعمته ويتوقع جزاء ان يمن بها او بما يستلزم المن من التطاول

بما يتاذى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفسه لقبول كرمه وجزائه ولذلك

ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن و

الاذى فجعلها سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها وفيه نظر وقد ورد

في الدعاء عنهم عليهم السلام تنزيهه تعالى عن الامتنان بالمعنى المذكور كقول علي بن

الحسين ع في دعائه في طلب الحوائج يا من لا يكدر عطاياه بالامتنان وقوله في

وداع شهر رمضان ولم تشب عطاءك بمن وذلك لان الامتنان بالمعنى المذكور

صفة مدح للحق سبحانه وان كان صفة ذم للمخلوق ليس بشيء وعبارة الدعاء

تشهد ببطلانه واعلم ان النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب

الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس عن افعالها

لعدم انصباب الروح الحيواني اليها واليقظة زوال تلك الحالة وتفصيله

ان

ان الروح الحيواني وهو الجوهر البخاري اللطيف الحاصل من لطيف الاغذية المنتشرة

في الاعضاء والعروق وبسببه يحصل للاعضاء قوة الحس والحركة وهو مركب الروح

الانسانية اذا انتشر في جميع اعضاء البدن ظاهره وباطنه حصل الحس والحركة

وهذا هو اليقظة وان بقي في الباطن ولم يصل الى الظاهر تعطلت الحواس الظاهرة

وهذا هو النوم وبقاؤه في الباطن يكون لاسباب منها طلب الاستراحة عن

كثرة الحركة ومنها تحلله بسبب الافعال الكثيرة الصادرة من الحواس فتشتغل الطبيعة

بنضج الغذاء ليستمد الروح عن لطيفه ومنها انسداد المجاري فان الانسان اذا شرب

الشراب مثلا تصاعدت الابخرة من المعدة الى الدماغ ونزلت الى الاعضاء فا

متلات المجاري وانسدت فلا يقدر الروح على النفوذ كما ينبغي وربما كان اكل الطعام

موجبا للنوم لهذا السبب وكف اكف السوء عني بيده وسلطانه حسب اعاذني حين

ما انا منه من شر ما ذرء ومن شر ما برء ومن شر كل دابة هو اخذ بناصيتها من

العقارب والحيات والهوام وغيرها من المؤذيات الانسية والجنية والكف المنع

يقال كففت الرجل فكف يتعدى ولا يتعدى وهو الذي كيف ايديهم عنكم والاكف

جمع كف وهي الراحة مع الاصابع سميت بذلك لانها تكف الاذى عن البدن وفي القاموس

الكف اليد او الى الكوع والجمع اكف وكفوف انتهى وقال المطرزي يصف النساء الشر الاكبر شبه د

الوجوه دنانير وقوله تعالى عليهم دائرة السوء وقيل هما لغتان من ساءه يسوءه اذا قبح عنده

المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل

مصدر وقيل هو بالفتح مصدر وبالضم اسم منه وقيل السوء في الاصل مصدر ساءه

يسوءه اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح وافعال القلوب

لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها بعواقبها وكلاهما متعلقان بكف وبيده تعالى قدرته

بالوجوه

وقيل المفتوح الرداءة والفساد والمضموم الشر والضرر

لانها تستعمل مجازا تارة في القدرة واخرى في النعمة وعن الباقر عليه السلام اليد في كلام
العرب القوة والنعمة وكسماء بنيناها بايد بقوة ولفلان عندي ايادي كثيرة فواضل
واحسان وله عندي يد بيضاء اي نعمة وسلطان مصدر بمعنى الغلبة والتسلط والقدرة
ومنه قوله تعالى فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان اي بقوة وقهر وغلبة وقد يجيء بمعنى الحجة
والدليل لتسلطه على القلب واخذه بعنانه فالعطف تفسيري او قريب منه وفي الكلام
استعارة مكنية وتخييلية ومجاز مرسل وترشيح له وهو قوله كف والترشيح غير مختص
بما يقترن بلفظ المشبه به ولا بالاستعارة المبنية على التشبيه لتصريحهم بان اطلكن
ترشيح للمجاز المرسل الذي في اليد ولا تشبيه فيه اصلا واما تعبيرهم له بذكرها يلائم
المشبه به فانما هو في الترشيح الذي في التشبيه وكذا ما ذكروا من الاقتران بلفظ المشبه
به فالمراد انه كذلك فيما اذا كان في الكلام تشبيه صرح بذلك بعض المحققين والاولى ان
يكون ذلك جاريا على سنن التمثيل الذي يسميه اهل البيان تمثيلا تخييليا اي للايقاع
في الخيال بتصوير المعاني العقلية بصور اعيان الحسية لكونها اظهر حضورا واكثر خطورا
ولهذا قال الحكماء ان الناس للتخييل اطوع منهم للتصديق فاكثروا من استعمال القضايا
المخيلة في مقام الترغيب والترهيب والاستماعة والاستعطاف ونحو ذلك وهي وان
كانت ترى بحسب الظاهر كاذبة فليست بكاذبة لان القصد منها تشبيه تلك الحال
بحال من تعرض له تلك الصورة الحسية مثلا مثل حال كلائته وتسلطه وقدرته تم
على دفع الآفات والعاهات والموذيات عن العباد بحال من تكون له يد يكف بها الاذى
عن غيره فيحفظه ويحرسه من غير ان يذهب بها الى جهة حقيقة بالنسبة اليه تعالى
كما يذهب اليه المجسمة او مجاز بان يراد باليد القدرة وانما المراد بالمفردات في

مثل

مثل ذلك حقائقها في نفسها كما في قولك اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى لكن لا بالنسبة
الى الممثل له بل بالنسبة الى ~~الممثل له~~ بل بالنسبة الى الممثل به وهو باب جليل في علم البيان
وعليه يحمل كثير من متشابهات القرآن كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة و
السموات مطويات بيمينه وقوله والسماء بنيناها بايد قال صاحب الكشاف ان ذلك تمثيل
وتصوير لعظمته تعالى وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين والايدي
الى جهة حقيقة او مجاز بل يذهب الى اخر الزبدة والخلاصة من الكلام من غير ان يتخيل
بمفرداته حقيقة او مجازا كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه
مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط وشدد النكير على من
تاول القبضة بالملك واليمين واليد بالقدرة وقال انه من ضيق العطن والمسافرة من
علم البيان مسافرة اعوام قال وكم اية من ايات الله في التنزيل وحديث من احاديث
الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة والوجوه الرثة ولعذر الشيخ عبد
القاهر من تاويلهم القبضة بالملك واليد بالقدرة ونحو ذلك بان الغرض منه ان لا
يقع السامع في التشبيه والتجسيم ريثما ينبه على كون الكلام للتصوير والتمثيل

في الليل والايام صلى الله عليه وعلى الذين ايام

لما كانت النفوس البشرية في الاغلب منغمسة في العلائق البدنية الحاصلة
بسبب تدبير البدن وتكميله مكدرة بالكدورات الطبيعية الناشية من القوة الشهوية
والغضبية وكان ذات المفيض عز اسمه في غاية التنزه عنها ولم يكن بينهما بذلك مناسبة
موجبة لفيضان كمال وجب عليها في استفاضة الكمالات واستنجاح المطالب والحاجات
من تلك الحضرة المنزهة التوسل الى متوسط يكون ذا جهتي التجرد والتعلق ليقبل ذلك
المتوسط الفيض منه بتلك الجهة والجسمانية التعلقية التعلقية فلذلك وقع منهم في مقام التعليم
التوسل الى المؤيد بالرياستين مالك ازمة الامور في الجهتين والى ابنائه الذين

الجهة الروحانية
التجردية وتقبل النفس
منه بهذه الجهة

فهو امقامه بافضل الوسايل واكمل الفضايل اعنى الصلوة اصالة عليه وعليهم تبعاً
فقال يا من هذا الذي ذكرناه شانه صل عليه وعليهم على ان يكون اللهم بدل يا من
دليل واخواته المذكورة او هو استيناف كلام وما قبله تعداد صفات تقديما للوسيلة على
طلب الحاجة والصلوة اصلها الدعاء لكنها منه سبحانه مجاز في الرحمة والمشهور انها
منه تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء وقال بعض المحققين
والمخمين انها تستعمل في قدر مشترك بينها وهو الامداد لان المدد كما ان الكامل يصل
من فوق بالافاضة يصل من تحت بالاستفاضة وانما عدلنا عن المشهور لاستلزامه
الاشتراك والمجاز خير منه والمناقشة بان العطف في قوله تعالى اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة يدل على مغايرتها ولذا جعلها بعضهم بمعنى الرضوان مندفعة بان ا
لتصريح بالحقيقة بعد ارادة المجاز يفيد تقوية المقصود على ان العطف لا يدل على ا
المغايرة مطـ فان من اقسامه عطف الشئ على مرادفه وقد عد بعضهم منه الاية وقوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا وغاية السؤال بالصلوة عايدة
الى المصلي كما يدل عليه صحيحة صفوان بن يحيى المذكورة في الكافي في باب العطاس قال
كنت عند الرضا عليه السلم فعطس فقلت صلى الله عليك وقلت له جعلت فداك اذا
عطس مثلك يقال له كما يقول بعضنا لبعض يرحمك الله او كما نقول قال نعم قال اليس
تقول صلى الله على محمد وآل محمد قلت بلى وقد صلى عليه ورحمة وانما صلوتنا عليه رحمة
لنا وقربة وهي تدل على ان الله تعالى قد اعطاه من اعلاء الكلمة وعلو الدرجة و
رفع المنزلة ما لا يؤثر فيه صلوة مصل ولا دعاء داع وقد اوضحنا الكلام فيه في
تعليقاتنا على الابيات الاحكامية المنسوبة الى الفاضل الاردبيلي ره وقيل

بثي صح

قال ارحم محمدا وآل محمد قال بلى صح

بل غاية

بل غاية الصلوة طلب زيادة كماله صلى الله عليه وآله وقربه من الله اذ مراتب
استحقاق نعم الله عز وجل غير متناهية وقيل معنى الصلوة عليه تعظيمه في الدنيا
باعلاء كلمته وابقاء شريعته وفي الآخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في رفع
درجته وهل يجب الصلوة عليه عند ذكره على الذاكر والمذكور عنده ظاهر كثير من
الاخبار الوجوب لقوله صلى الله عليه وآله من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل
النار وقوله من ذكرت عنده فنسي الصلوة علي خطى به طريق الجنة وقوله من
ذكرت عنده ولم يصل علي فدخل النار فابعده الله الوجوب لمكان الوعيد الدال
عليه وهو مختار الصدوق والمقداد من اصحابنا والطحاوي من العامة وقال
الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط ومنهم من اوجبها في كل مجلس مرة ومنهم
من اوجبها في العمر مرة وهذه اقوال لا مستند لها فالقول بها محكم والاولى وجوبها
عند كل ذكر للاخبار الكثيرة المصرحة بالامر بها كلما ذكر والاصل في الامر الوجوب
واما القول بالاستحباب مطـ كما ذهب اليه جماعة مستدلين بالاصل وبشهرة المسلمين
الى عدم تعليمه ص للمؤمنين (المؤذنين ثم) وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم كما يفعلون الآن و
لو كان لنقل ففيه ان عدم التعليم م وكذا عدم النكير كعدم النقل لما في الكافي عن ابي جعفر ع
اذا اذنت فافصح بالالف والهاء وصل على النبي ص كلما ذكرته او ذكره ذاكر في اذان
وغيره على ان عدم النقل لا يدل على عدمه واصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد
ورود القرآن والاخبار هذا واسمه تعالى من حيث هو اسمه يتعلق به اهتمام وعناية وقد يعرض
له بحسب المقامات عناية اخرى كقصد الاختصاص مثلا فاذا اجتمعت العنايتان
كما في التسمية قدم لا محالة واذا انفردت الاولى عن الثانية فان لم يعارضها ما هو اولى
بالاعتبار قدم ايضا والا فلا كما في اقرأ فانه قد عارضها العناية بالقراءة مع رعاية

ضمها صح

مع رعاية الاصل الذي هو تقديم العامل وهذا التعنيه ما نحن بصدد بيانه فانه
قد عارضها العناية بالصلوة عليه وآله مع رعاية الاصل فلا جرم قدمه عليه و
كذا الحال في ساير الفقرات الغابرة والمشهور ان اللهم اصله يا الله حذف منه حرف
النداء وعوض عنه الميم المشددة ولذا لا يجتمعان وهذا من خصايص هذا الاسم
كدخول يا عليه مع لام التعريف والدليل فعيل من دله على الطريق اذا هداه اليه (فعيل بمعنى)
وارشده اليه وعلى الدليل متعلق بصل وهو من ابنية المبالغة يعني كلما تكررت
الضلالة من السالك تكررت منه الدلالة والهداية وانما علق الصلوة على كونه
دليلا وماسكا وغيرهما مما سياتي هذا السبيل بذلك على ان استحقاقها اياها (السلوك)
هو لاتصافه بتلك الاوصاف ولذا ترك التصريح بالاسم وهو الاعرف والاشهر
او الوجه فيه ادعاء تعينه وان الوهم لا يذهب من الاوصاف هذه الى غيره ثم
الظاهر انه عليه وآله السلم دليل وضعي وان كانت دلالته لفظية لانه انسان
كامل بعثه الله الى الخلق لتبليغ احكامه وتبيين كلامه وتعيين مرامه يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
ولما ضمنه معنى الهادي او الداعي عداه بالى والا فالغالب استعماله بعلى واللام
يتعلق به وفيه حذف وايصال اي الى معرفتك ورضوانك وقربك وجنانك
ودليل الحذف هو العقل واما تعيين المحذوف فانه ملايم المقصود الاصلي من بعثة الرسل
او فيه تمثيل يجلي على قياس ما مر في الفقرة السابقة يعرفه من له ادنى ملكة
بالبيان اذا تامله والاليل تاكيد على طريقة ظل ظليل وداهية دهياء وشعر
شاعر وحقيقته انهم يشتقون من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه

ما يتبعونه

ما يتبعونه تاكيدا وتنبيها على تناهيه في ذلك وذلك انه صلعم قد بعث على فترة
من الرسل واختلاف من الملل وانقطاع من السبل ودروس من الحكمة وطموس من
اعلام الهدى والبينات فبلغ رسالة ربه وصدع بامره وادى الحق الذي عليه
فهو دليل اليه وسلم به يرتقى اليه صلعم قال صاحب الدعاء جعلت له الفدا بعث الله (الهدى الى)
محمدا لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما
ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين
مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم من الضلالة وانقذهم
بمكانه من الجهالة انتهى واليه يشير قوله جل وعلا هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين وسياتي في ذلك كلام ابسط من ذلك انشاء الله تعالى وفي الكلام
استعارة مصرحة حيث شبه الفترة وما فيها من البدعة والجهالة والضلالة
بالليل لكونه جاعلا صاحبه كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي للطريق ولا باس ان يقال
مكروها ثم ذكر المشبه به واراد به المشبه وفيه دلالة على ان هذا الدليل انما ظهر من
قبيلة ما كانوا من اهل العلم بل كان من بلدة ما كان فيها احد من العلماء بل كانت
الجهالة غالبة عليهم فاذا خرج من هذه البلدة ومن مثل هذه القبيلة انسان من
غير ممارسة شيء من العلوم ولا تلمذ احد من العلماء ثم بلغ في معرفة ذات الله وصفاته
وافعاله واسمائه الى هذا المبلغ الذي عجز جميع الاذكياء من العقلاء عن القرب منه
بل اقروا طرا بانه لا يمكن ان يزداد في تقرير الدليل على ما ورد في القران ثم ذكر

[illegible]

قصص الاولين وتواريخ المتقدمين بحيث لم يتمكن احد من الاعداء ان يقول انه اخطأ في شيء منها او طالع كتابا او تلمذ استاذا وكانت هذه الاحوال لا يتيسر الا بالتعاليم الالهية والهدايات البرهانية والى ذلك يشير بقوله **وَالْمُتَمَسِّكِ مِنْ أَسْبَابِهِ بِحَبْلٍ** عطف على الدليل وكذا ما يليه من الجملتين معطوفتان عليه من باب عطف الصفات بعضها على بعض لاتحادها في الموصوف وتغايرها في المفهوم ويوجد في بعض النسخ المتمسك يقال مسك به وامسك وتمسك وتماسك احتبس واعتصم به والمسكة بالضم ما يتمسك به والمسك كالبخيل وزنا ومعنى من يمسك ما في يده ولا يعطيه احدا وكلمة من تبعيضية والسبب في الاصل حبل يتوصل به الى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المطلوب من الهداية والعلم والالة وغيرها وهذا معنى ما ورد في بعض الادعية يا مسبب الاسباب من غير سبب واتيناه من كل شيء سببا وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات وكثيرا ما يشبه النور الممتد بالحبل ومنه ما ورد في صفة القرآن كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض اي نور ممدود يعني نور هداه وفي خبر آخر ~~نور هداه~~ وهو حبل الله المتين اي عهده وامانه الذي يؤمن من العذاب والحبل العهد والميثاق واضافة الحبل الى الشرف اضافة الذهب الى الاصيل والشرف بفتحتين القدر والقيمة والرفعة والعلو ومنه الاستشراف وهو ان تضع يدك على حاجبك وتنظر كالذي يستظل من الشمس ليتبين الشيء كانه ينظر اليه من موضع مرتفع فيكون اكثر لادراكه شرف ككرم وهو شريف وشرفه تشريفا

اعلاه

اعلاها اصله من الشرف وهو المكان المشرف العالي ثم استعمل في القدر والمنزلة مجازا قال في الاساس ومن المجاز لفلان شرف وهو علو المنزلة وشرفه الله والمراد باطوليته انه اشرف من ساير الكتب السماوية واجمع منها علما وبيانا وهو معجزة دونها فهو حبل وثيق عروته ومعقل منيع ذروته وفي الكلام استعارة مصرحة حيث انه استعار له الحبل من حيث ان التمسك سبب للنجاة عن الردى كان التمسك بالحبل للسلامة عن الردى واستعار للوثوق به والاعتماد عليه التمسك والاعتصام ترشيحا للمجاز واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا هذا اذا كان المراد بحبل الله كتابه واما اذا كان المراد دينه فشرافته واطوليته ظاهرة لانه صلى الله عليه وآله لما كان خاتم النبيين كانت شريعته الغراء وملته البيضاء باقية الى يوم الدين او يقال ان الحبل الاطول كناية عما هو اقوى واحكم في الايصال الى المطلوب والاول هو المتبادر والمنساق الى الذهن وهو الاكمل **وَالنَّاصِعِ الْحَسَبِ فِي ذِرْوَةِ الْكَاهِلِ الْأَعْبَلِ** الناصع الخالص من كل شيء ومن الالوان حسنها ونصع الامر نصوعا وضح ولونه اشتد بياضه ويقال للذي فيه حمرة من الصفرة احمر ناصع والحسب في الاصل الشرف في الآباء وما يعده الانسان من مفاخرهم وقيل الحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن له آباء لهم شرف والشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء ومنه الحديث حسب الرجل نقاء ثوبه اي انه يوقر لذلك حيث هو دليل الثروة والجدة وبالجملة الحسب عبارة عن شرف الانسان ومكارمه ومناقبه كالشجاعة والسخاوة وحسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وآله آفة الحسب الافتخار اي ان الافتخار يهدم الحسب ولذا قال سيد البشر على ما ورد عنه في الخبر انا سيد ولد آدم ولا فخر وكذروه بالكسر

منطات

والضم اعلى سنام البعير وذروة كل شي اعلاه ومنه الحديث على ذروة كل بعير
والكاهل البعير مقدم ظهره وهو الذي يكون عليه الحمل والمذكور في كتب الادب انه
ما بين الكتفين ويجمع على كواهل ويقال فلان كاهل بني فلان اي عمدتهم في الملمات
واسندهم في المهمات وفي القاموس الكاهل كصاحب الحارك او مقدم اعلى الظهر
مما يلي العنق وهو الثلث الاعلى وفيه ست فقر او موصل العنق في الصلب والعبل
الضخم من كل شي والعبل حجارة بيض قال الشاعر كانما لامتها الاعبل وكانما استعير
البياض لخلوص الحسب والنسب والخلق والخلق ولما كان كناصع ماضيا لم يحل
او يقال انه مضاف الى الحسب بنا على تقدم اعتبار الاضافة على دخول اللام كما هو
مذهب الفراء واضافة الذروة لامية والاعبل صفة للكاهل والمعنى صلى الله على
من وصحب وخلصت مفاخره الجسمانية والروحانية من شائبة نقص وقدح ما
لكونهما ثابتة في اعلى محل واشرف موضع واحفظ مكان لا يمكن ان تناله يد طاعنة
فتشبيه الحسب وهو من المعاني المعقولة بالاجسام المحسوسة تشبيه معقول بمحسوس مبالغة
في وضوحه وظهوره وعدم خفائه كانه امر محسوس مشاهد وكذا في استناد الخلوص و
الوضوح اليه وكونه في ذروة الكاهل ثم في وصفه بالعبل عنه تاكيد ومبالغة في
وضوحه وعدم امكان انكاره والقدح فيه كيف وله بابي وامي صلى الله عليه وآله مفاخر عزيزة و
ماثر كثيرة لا يحيط بها احد ولا يحصيها عدد فان البحر لا ينزف وسر الغيب لا يعرف منها
تسبيح الحصى وحنين الجذع واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل وانشقاق القمر و
نبوع الماء من بين اصابعه وشكاية الناقة وشهادة الشاة المسمومة وتكلم الضب
وظل الغمام ورؤيته من خلفه وسماع الصوت نائما والتكلم بكل لسان والعلم
بالسنة الطيور والوحوش وكلما يدب على الارض وما كان من حال ابي جهل

وصحبه

وصخرته حين اراد ان يضرب على راسه وما كان من شاة ام معبد حين مسح
على ضرعها وانه ما كان للدنيا في قلبه وقع اصلا وكان مع اهلها في غاية الترفع
ومع الفقراء واهل المسكنة والدين في غاية التواضع وكان في اعلى مراتب الفصاحة
والبلاغة حتى اوتيت جوامع الكلم ولم يسمع منه لا في مهمات الدين ولا في مهمات
الدنيا كذب قط ولم يقدم على قبيح قط ولم يفر من عدوه قط وكان عظيم الرافة
بامته حتى كاد ان يذهب نفسه عليهم حسرات وكان في اعلى درجات السخاء حتى
عوتب بلا تبسطها كل البسط وقصة فداء عباس لما اسر يوم احد ودعاء الشجرتين في
قتال بني قريظة لما اراد قضاء الحاجة وضمان الظبية من صيادها وشفاء رمد ابن عمه
صلوات الله عليهما وآلهما يوم خيبر بريقه الى غير ذلك من مفاخره وماثره الغير
المحصورة مشهورة وفي كتب السير والاخبار مسطورة ويمكن ان يكون قوله صلوات الله
عليه في ذروة الكاهل الاعبل اشارة الى انه صلى الله عليه وآله مع انه كان خالص النسب كان في
ظل حماية عمه ابي طالب واسمه عبد مناف ولقبه عمران وكنف رعايته وهو الذي تسود
القريش بعد ابيه عبد المطلب ورعى النبي صلى الله عليه وآله حق رعايته وحماه حتى ادكف عنه اذى
المشركين وشر المنافقين فكان كاهل قومه وعمدتهم في الملمات وسندهم في المهمات
ففي الكافي في رواية صحيحة وحسنة على المشهور بابرهيم بن هاشم القمي عن ابن ابي عمير
عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام عليه ثياب
له جدد فالقى المشركون عليه سلا ناقة فملوا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب الى
ابي طالب فقال يا عم كيف ترى حسبي فيكم فقال له وما ذاك يا ابن اخي فاخبره الخبر فدعا
ابو طالب حمزة واخذ السيف وقال لحمزة خذ السلا ثم توجه الى القوم والنبي معه فاتى
قريشا وهم حول الكعبة فلما راوه عرفوا الشر في وجهه ثم قال لحمزة امر السلا على اسبلتهم

فعل ذلك حتى اتى على آخرهم ثم التفت ابو طالب الى النبي ص فقال يا ابن اخي هذا
حسبك فينا وفيه عنه ع قال لما ولد النبي ص مكث اياما ليس له لبن فالقاه ابو طالب
على ثدي نفسه فانزل الله لبنا فرضع منه اياما حتى وقع ابو طالب على حليمة السعدية
فدفعه اليها وفيه عنه ع قال لما توفي ابو طالب نزل جبرئيل على رسول الله ص فقال يا
محمد اخرج من مكة فليس لك بها ناصر وثارت قريش بالنبي ص فخرج هاربا حتى
جاء الى جبل بمكة يقال له الحجون فصار اليه والاخبار والقصائد في ذلك من طرق
العامة والخاصة اكثر من ان تحصى روى الثعلبي في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى
وهم ينهون عنه وينأون عنه باسناده قال مقاتل نزلت في ابي طالب واسمه عبد مناف
وذلك ان النبي ص كان عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى
ابي طالب يريدون سوء بالنبي ص فقال ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر
بذاك منك عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل
امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا والى ذلك اشار ع
بقوله وكنا صحبه في ذروة كاهل الاعبل والثابت القدم على زحاليفها
في الزمن الاول الثبات القرار وعدم العثرة في الغابر والقدم معروفة وهي الرجل
كذا في القاموس مؤنث سماعي والالف واللام فيها عوض عن المضاف اليه اي قدمه
وحمل كلمة على على معنى مع يعطي من المبالغة ما لا يعطيه حملها على معناها يعرفه العاقل
اذا تأمله والزحاليف كالاكاليب والزحلوفة موضع تزل فيه الاقدام ولا يكاد
تثبت لوجه وفي القاموس الزحلوفة مكان منحدر مملس وفي مجمع البحرين الزحاليف

جمع

جمع زحلوفة وهي المكان المنحدر الاملس ومنه في وصفه ع كالثابت القدم على زحاليفها
في الزمن الاول اي قبل النبوة والظاهر للدنيا وان لم يجر لها ذكر لمعلوميتها والكلام
استعارة انتهى والاضافة لامية والزمن لفظ مفرد مقصور من كرمان كم وعم
دلم وفي الزمن الاول يتعلق بالثابت والمعنى صل اللهم على من كانت قدمه ثابتة
مع وجود مزالها في الزمن الاول فان حملت القدم على ما هو المعروف منها وهو الرجل
فالمراد بالزمن الاول صدر الاسلام قبل شوكته كيوم الاحد ويوم الاحزاب فانه عليه
وآله السلام كان قوي القلب فارسا كميا شجاعا في الحروب محاميا وانقا بالله وعدوا عدم
لم يفر من احد من اعدائه قط لا قبل النبوة ولا بعدها وان عظمت البلية واشتدت
المحنة الا ما كان فيه مأمورا من الله بالهرب والفرار لضرب من المصلحة كهربه من قريش
في ليلة الغار وعلى هذا فثبات قدمه كناية عن شجاعته من باب ذكر الملزوم وارادة
اللازم فان ثبات القدم في المخاطر والمهالك ادل دليل واقوى امارة على الجرأة و
الشجاعة وقوة القلب والجسارة فهو كقولك زيد طويل النجاد او كثير الرماد تريد به
طول قامته وغاية جوده وسخائه وكثرة طبخه وضيافته وان حملتها على قدم الذهن
وثبات الفكر على سبيل الاستعارة بالكناية والتخييل والترشيح فيحتمل ان يكون المراد
بالزمن الاول ما قبل بعثته فان هذا الزمان كان زمان فترة وجاهلية وكان الناس فيه
كانوا عابدين اصنام لهم عاكفين عليها ساجدين وهو عليه وآله السلام كان عارفا
بالله وبصفاته العليا واسمائه الحسنى ولم يسجد لصنم اصلا كما قال انتهت الدعوة الي
والى علي لم يسجد احد منا لصنم ~~اصلا كما قال انتهت الدعوة الي والى علي~~ فاتخذني
نبيا واتخذ عليا وليا هكذا رواه ابن المغازلي الشافعي في تفسير كريمة لا ينال

عهدي الظالمين وتفصيل هذه الجملة ان الخلق عند مقدمه صم كانوا بين من عليه
اسم الشرايع وغيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والمجوس وكانت اديانهم اضمحلت
من ايديهم وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه و
مذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمجوس اثبتوا
اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني الشر وسموهما النور والظلمة و
بالفارسية يزدان واهرمن وزعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة توسطت و
اصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي خالصا لاهرمن الذي هو الظلمة سبعة الاف
سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى يزدان الذي هو النور الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم و
اما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرايق المتشتتة فهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد
كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق
والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القران عنهم وقالوا
ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الموت والحيوة على
تحلل الطبايع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم
ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث و
الاعادة وهم المحكي عنهم في القران الحكيم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم وصنف منهم اعترفوا
بالخالق ونوع من الاعادة ولكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم عند
الله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله

ومن

ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطايف وقريش وبنى كنانة وغيرهم
اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة
ومنهم من كان يعبد الملائكة واما المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلثة انواع
من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان الثاني علم الانواء وذلك مما يتولاه — علم تاويل الرؤيا والثالث
الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما
انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين و
التقبيح العقليين والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرايع وانتسابهم الى
رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البددة والبددة عندهم شخص في هذا العالم
لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اصحاب الفكرة وهم
اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسايط
روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فتامرهم و
تنهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون
بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا تستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه — ويرجعون في مهماتهم اليهم
ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها فكان في
الاصل في وضع الاصنام ذلك اذ يبعد ممن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا او حجرة
بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم بها من غير
اذن شرعي وبرهان من الله كان عكوفهم عليها وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها
ووراء ذلك من اصناف الاراء الباطلة والمذاهب العاطلة المزلة للاقدام اكثر من
ان يحصيها لسان الاقلام او يعلمها الا الله العلام والى الاشارة بقوله عليه السلم

وكثابت القدم على ذخائلها في الرض الاول ويمكن ان يكون المراد بهذا الزمان بدو فطرته واول زمان خلقته صلى الله عليه وآله فانه اول من اقر بربوبيته تعالى ووحدانيته على ما دلت عليه اخبار جمة صحة منها ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام ان بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله باي شيء سبقت الانبياء وانت بعثت اخرهم وخاتمهم فقال اني كنت اول من آمن بربي واول من اجاب حيث اخذ الله ميثاق النبيين واشهدهم على انفسهم الست بربكم فكنت اول نبي قال بلى فسبقتهم بالاقرار بالله عز وجل ويحتمل ان يكون اشارة الى عصمته وطهارته صلى الله عليه وآله وعدم خطائه في امر الدين والدنيا من مهده الى لحده والله اعلم بمقاصد اوليائه فان كلامهم صعب مستصعب ذو وجوه ومخارج لا يعقلها الا العالمون

وعلى آله الاخيار المصطفين آل الرجل اهله وعياله وآل النبي صلى الله عليه وآله عند الامامية عترته الطاهرة من اهل العصمة عليهم السلام ولا وجه لتخصيص الشهيد الثاني في شرحه على اللمعة باصحاب الكساء وهم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام ثم قال وقد يطلق تغليبا على باقي الائمة عليهم السلام اقول بل على غيرهم ايضا كما ورد عنه صلى الله عليه وآله ان كل تقي ونقي آلي لان آل كل من يؤل اليه اما مآلا صوريا جسمانيا كالاولاد ومن يجذو حذوهم من اقربائه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة في شريعته او مآلا معنويا روحانيا كالاولاد الروحانيين من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين والحكماء المتالهين المقتبسين من مشكوة انواره سبقوه بالزمان او لحقوه ولا شك ان النسبة الثانية اكد من الاولى واذ اجتمعت النسبتان كما في الائمة المعصومين من عترته الطاهرة عليهم صلوات الله الزاكية التامة كان نورا على نور وكما حرم على اولاده الصورية الصدقة الصورية حرم على اولاده المعنوية الصدقة المعنوية وهي تقليد الغير في العلوم والمعارف

المعارف

والمعارف وفي نهج البلاغة عن معدن الفصاحة سلام الله عليه ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثم تلا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ثم قال صلوات الله عليه ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وللعامة في آله صلى الله عليه وآله اختلافات فقيل آله امته وقيل عشيرته وقيل من حرم عليه الزكوة من بني هاشم وعبد المطلب وفي هذا الكلام دلالة ظاهرة على ان الخبر المشهور من فصل بيني وبين آلي بعلي لن ينله شفاعتي لا صحة له ولم نجده في اصل بل ولا في كتاب معتبر ومنهم من قرء المكتوب بصورة على علي عليه السلام اسما وحمل الباء على السببية واراد ان من فصل بيني وبين آلي بسبب عداوته وخصومته لعلي عليه السلام فلم ينله شفاعتي والظاهر انه على تقدير ثبوته لا بد من حمله على هذا اذ من المستبعد جدا ان يكون لمجرد ايراد كلمة على بينه وبين آله الحرمان من شفاعته كيف والمحروم هو الكافر ويؤيده ما في رواية اخرى من فرق بيني وبين آلي بعلي فرق الله بين راسه وجسده يوم القيمة وفيها ايماء لطيف الى انه عليه السلام من اكمل افراد آله واشرفهم حيث صار منهم بمنزلة راسهم من جسدهم ويحتمل ان يكون هذا اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله علي مني بمنزلة راسي من جسدي على ان الادعية المنقولة عنهم عليهم السلام وخصوصا السجادية منها ولا سيما ما نقل عنه عليه السلام من ملحقات الصحيفة الكاملة من ادعية ايام الاسبوع مشحونة باعادة الخافض والفصل بينه وبين آله بايراد كلمة على وهو المطابق لقواعد اهل الادب قال الفخر المحقق ولد العلامة طاب الله ثراهما في جواب من سئله عن جماعة من اصحابنا فهم

بلزم؟

وقيل صلى الله عليه وعلى آله

من ينسب الى اهل العلم اذا ذكر بحضورهم سيدنا رسول الله ص وعلي ينكرون ذلك
غاية الانكار ويقولون لا تفصل بين النبي وآله بعلي ينكرون ذلك غاية الانكار
ويقولون لا تفصل بين النبي وآله بعلي مع ان النحاة ذكروا ان العطف على
المخفوض بغير اعادة الخافض ضعيف فهل ورد في هذا امر مخصوص يخالف
ما عليه النحاة ام لقول اصحابنا رحمهم الله وجه لهذا القول بل القول ما قاله النحاة
ولولا اتباع النقل لما جاز الا باعادة الخافض على انه ورد في كثير من ا
لادعية عنهم عليهم السلام صلى الله على محمد وآله انتهى وقال الفاضل الاردبيلي رده
في آيات احكامه ان العامة انما يذكرون كلمة على بعد قوله صلى الله عليه وعلى
آله عنادا وتعصبا لان تركها شعار للرافضة فذكرها خير من تركها انتهى
وفيه دلالة على ان الشيعة يحافظون على تركها ويلازمونه بحيث صار ذلك
بمنزلة شعارهم وهذا منهم كذب محض عليهم وافتراء وهم برآء منه قال صدر الدين محمد
المشهور بسيد علي المدني واما ما زعم بعضهم من ان الشيعة تلتزم عدم اعادة
الخافض وهو على في مثل هذه العبارة لحديث يأثرونه وهو من فصل بيني وبين
آلي بعلي فقد جفاني فزعم محض لا عين له ولا اثر ولا تعرف الشيعة هذا الخبر
ولم ترد به رواية من طرقهم ولم يذكروه لا مسندا ولا منقطعا في شيء من كتبهم
كيف والادعية المأثورة عن اهل البيت ع مشحونة باعادة الخافض في مثل
ذلك انتهى وقد فصلنا القول فيه في تعليقاتنا فليطلب من هناك تنبيه
اذ قد ثبت جواز الفصل بينه وبين آله ص باعادة الخافض وهو على في غير صورة
العطف على الضمير المخفوض من دون اعادة الخافض وايجابهم اعادته فيه نعم
ذهب الكوفيون ويونس والاخفش الى عدم وجوب الخافض في ذلك واختاره

فجوازه في هذه الصورة اولى لمنع جمهور البصريين عن العطف على الضمير المخفوض

الشلوبين

الشلوبين وصححه ابن مالك وابو حيان وجرى عليه ابن هشام في شرح الشذور
والتوضيح لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام بخفض الارحام عطفا على الضمير المخفوض بالباء وحكاية قطرب
ما فيها غيره وفرسه بخفض الفرس عطفا على الهاء المخفوضة باضافة غير اليها
وقول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب بخفض الايام عطفا على
الكاف المخفوضة بالباء والى ذلك اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة وعود
خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا وليس عندي لازما
اذ قد اتى في النظم والنثر الصحيح مثبتا والاخيار جمع خير [illegible]
او جمع خير بالتخفيف كعين واعيان وبها يجيء واحد الاخيار الخير وقيل المخفف
في الجمال والميسم والمشدد في الدين والصلاح والاشهر قال الجوهري رجل
خير وخير مخفف ومشدد انتهى والخير قيل هو شيء من اعمال القلب نوراني
زائد على الايمان وغيره من الصفات المرضية يدل على ذلك حديث الا انه
يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه ما يزن مثقال ذرة
من خير وقيل هو الوجود ويطلق على غيره بالعرض وهو اما خير مطلق كوجود
العقل لانه خير محض لا يشوبه شر ونقص واما خير مقيد كوجود كل من
الصفات المرضية وقيل هو ما يطلبه ويؤثره ويختاره كل عاقل وهو ينقسم الى
خير بالذات وخير بالعرض فالاول هو الحقيقي ومرجعه الى الوجود البحت و
الموجود بما هو موجود كالعلم والايمان الحقيقيين والثاني ما هو وسيلة الى ا
لاول كالعبادة والزهد وقيل هو ما يتشوقه كل احد بلا شوبه وهو المختار من
اجل نفسه والمختار غيره لاجله فان الكل مطلبه بالحقيقة الخير وان كا

الاول هو

قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره لخير ويضاده الشر وهو المحتوي من اهل
نفسه والمحتوي غيره من اجله والحق ان الخير كلي مندرج تحته جميع الاعمال
الصالحة كما يدل عليه قول امير المومنين ع افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان
صغيره كبير وقليله كثير ويؤيده ما في بعض الاخبار يخرج منها اي من جهنم قوم
لم يعملوا خيرا قط وهولاء الذين ليس معهم الا الايمان انتهى ويقابله الشر فيكون
كليا يندرج تحته جميع الاعمال السيئة والمصطفين جمع المصطفى اي المختار اسم
مفعول من اصطفى قلبت كليا الفا وحذفت يعني انه تعالى اختارهم للامامة
الخلافة واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فكانوا خير امة اخرجت للناس
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والابرار جمع بر كاصحاب والبر هو العطوف كارباب او جمع بار
المحسن وقد يكون بمعنى الصادق ومنه برت يمين فلان اذا صدقت وصدق فلان وبر
يقال بر الرجل يبر برا مثل علم يعلم علما فهو بر بالفتح وبار وخلاف الفاجر وقيل هو م
هو كثير البر اي كثير الخير والاتساع في الاحسان قال الطبرسي هو الذي بر الله
بطاعته اياه حتى ارضاه وهم عليهم السلام ابرار بجميع هذه المعاني فانهم من اصدق
الناس لهجة واعطفهم عليهم لطفا واحسانا والخير منهم معروف وهم بالاحسان
موصوف وقد بروا الله بطاعتهم اياه حتى ارضوه ولما قدم الوسيلة على طلب الحاجة
تقربا للمرام الى مقام المسئلة قال **وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح**
بمفاتيح عطف على صل اللهم وفي بعض النسخ لي وهو الانسب بالفقرة الاتية الرحمة والفلاح
الا ان التعميم في الدعاء اقرب الى الاجابة من التخصيص اذا دعا احدكم
فليعم لانه اوجب للدعاء ثم لما كان من شرائط اجابته تسمية الحاجة ان الله

بادر

تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد لكنه يحب ان يبث اليه الحوائج وكان هذا الدعاء
موضوعا للاستفتاح في الصباح صرح بذلك اشارة الى ذلك والفتح ازالة
الاغلاق والمصراعان من الابواب والشعر ما كانت قافيتان في بيت وبابان منصوبان
ينضمان جميعا في الوسط بينهما والمفتاح آلة الفتح وهي ما يفتح به المغلاق والمفتح مثله مدخلهام
وكانه مقصور من الاول وجمع الاول مفاتيح والثاني مفاتح بغير ياء ثم استعير لما
يتوصل به الى الامر ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو قال الراغب
يعني ما يتوصل الى غيبه المذكور في قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا
فيها للالية كما في ضربت بالسوط وكتبت بالقلم والفلاح كالبقاء والفوز والظفر وهو
من افلح كالنجاح من انجح وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ
وفلى يدل على الشق والفتح وفي الكلام استعارة بالكناية وتخييلية وترشيحية حيث
شبه اجزاء الصبح لكونها ظرفا بالمنزل والدار المعقول الجامع عدم العلم بما فيه من الحوادث الصباح
الاستقبالية وطوى ذكر المشبه به مصرحا بالمشبه واثبت له المصاريع والمفاتيح ثم ذكر
الفتح ترشيحا للاستعارة او هو استعارة تبعية والاضافة في الموضعين لامية او في
الاول لامية وفي الثاني بتقدير من كما في خاتم فضة او بيانية ولا يخفى لطافة تشبيه
الرحمة والفلاح بالمفتاح فيكون من اضافة المشبه به الى المشبه ولعل المراد بمصا
ريعه طلوع قوس النهار وقطعه قطعة في الفضاء اجزاء النهار تدريجا ويمكن ان
يقال لما كانت الافاق المائلة مختلفة قطعها باختلاف عروض البلدان ولذا اختلف
الليالي فيها فكان لكل افق منها صباح وله مصراعان جمعها بقوله مصاريع ويمكن ا
اعتباره بالنسبة الى الافاق الاستوائية لكن بالاضافة الى الاشخاص لا بالنسبة
الى الانواع ولما كانت الهداية والصلاح مقولين بالتشكيك طلب اكمل افرادهما

وافضل اصنافها فقال والبسني اللهم من افضل خلع الهداية الخلعة الثوب
تلبسه وهذا الفعل وما شاكله من الافعال التي لا يتعلق معناها الحقيقي با
لهداية والصلاح من باب الاستعارة التمثيلية او شبه ما يغشى الانسان
عند كونه مهتديا صالحا من الفيوضات الربانية والكرامات الرحمانية
باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس فالاستعارة
مصرحة حيث اطلق اسم المشبه به على المشبه ويحتمل ان يكون تبعية و
واضافة الخلع الى الهداية اضافة اللجين الى الماء بيانية او يقال تشبيه
الهداية والصلاح باللباس مكنيتان واثبات الالباس والاخلاع
لهما ترشيحيتان وهم كثيرا ما يشبهون صلاح الرجل بشعاره وتقواه
بدثاره واما هنا فجعل الهداية بمنزلة الشعار والصلاح بمنزلة الدثار وانما سمي
اللباس المخصوص بالخلعة لانه يخلع عن البدن اي ينزع ليصلح ويحفظ
فيه ايماء الى ان الصالح والمهتدي مكرمان عنده تعالى ومعظمان اذ الملك
لا يخلع الا من اراد اكرامه واعظامه اما لفضله او لسابقة استحقاقه لذلك
والهداية الدلالة على ما يوصل الى المطلوب اي الدلالة الموصلة ولعل الاول
اولى وعلى اي تقدير فالمراد بها هنا الاهتداء اما من باب تنزيل المتعدي
منزلة اللازم كما اشرنا اليه بقرينة عطف الصلاح اللازم عليه او يكون من هدى
بمعنى الاهتداء قال الجوهري هدى واهتدى بمعنى وهو بهذا المعنى لازم والمراد با
لاهتداء الاهتداء الى كل حق وصواب والقبول له والعمل به وعدم الرجوع
منه الى باطل وخطاء قال الراغب الاهتداء يختص بما يتحراه الانسان

من

من الهدى طريق الاخيار اما في الامور الدنيوية او الاخروية قال الله تعالى هو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها ويقال ذلك لطلب الهداية نحو قوله تعالى قد ضللت اذا وما
انا من المهتدين ولتحري الهدى نحو واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ويقال
المهتدي لمن يقتدي بعالم نحو ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون تنبيها على
انهم لا يعلمون ولا يقتدون بعالم وقوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه يتناول
وجوه الاهتداء من طلب الهداية ومن الاقتداء وتحريها وقوله اني لغفار لمن تاب وعمل
صالحا ثم اهتدى معناه ادام طلب الهداية ولم يفتر عن تحريها ولم يرجع الى المعصية وقوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون اي الذين تحروا الهداية
وقبلوها وعملوا بها انتهى والصلاح ضد الفساد وهو خروج الشيء عن الاعتدال الذي
به فالصلاح حصول الشيء على الحالة المستقيمة النافعة وكلاهما يعمان كل ضار و
نافع ولعل المراد به هنا الائتمار بالاوامر والكف عن النواهي الشرعية قال الزمخشري في الاساس امر الله ونهى
لاستصلاح العباد والصالح قيل هو الخالص من كل فساد وقيل هو المقيم بما يلزمه من
حقوق الله وحقوق الناس وكذا قال الزجاج في معاني القرآن الصالح هو الذي يؤدي
ما افترض الله عليه ويؤدي الى الناس حقوقهم ولما كان للهداية انواع مترتبة من
افاضة القوى ونصب الدلائل الفارقة وارسال الرسل وانزال الكتب وكشف السرائر
على القلوب واراءة الاشياء كما هي اما بالوحي او الالهام طلب ان تكون خلعة
التي هي الهداية من افضل الخلع في هذا النوع لان استعمال افعل مضافا مشروط بان
يكون موصوفه بعضا مما اضيف اليه داخلا فيه بحسب مفهوم اللفظ وان كان خارجا
بحسب الارادة لان المقصود من استعمال هذا التفضيل موصوفه على ما ذكره في
هذا المفهوم العام وبالجملة المراد بالهداية اما اهتداؤه او هداية الله له او

هداية لغيره فيكون المراد بافضلها على الاول الثبات عليها والرسوخ فيها وعلى المعنيين
الاخيرين الايصال الى المطلوب اذ كان الصحيح انها عبارة عن الدلالة على ما من
شانه الايصال الى البغية من غير ان يشترك في مدلولها الوصول ولذلك كانت
الدلالات التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس والبينات الواردة في الكتب
السماوية على الاطلاق بالنسبة الى البرية كافة برها وفاجرها هدايات حقيقية
فايضة من الله تعالى ويحتمل ان يراد بافضلها هنا الهداية الخاصة وهي كشف
الاسرار على قلب المهدي بالوحي او الالهام وهي مرتبة صاحب الدعاء ع ومن هو في
رتبته وكذا الكلام في الصلاح المذكور في هذا المقام فلا يرد ان الصلاح اول در
جات الصالحين فكيف يليق بمن رتبته الخلافة والامامة ان يطلب البداية و
اما قول يوسف ع توفني مسلما والحقني بالصالحين فقد قالوا انه اراد بالصالحين
الصالحين من آبائه فظاهر وان اراد الالحاق بعامة الصالحين فوجهه ان جميع
النفوس البشرية بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة
التي تتعاكس اضواؤها وتتكامل انوارها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة
وكلما كانت اكثر كان الاشراق اظهر فلا يرد عليه نظير ما سبق ذكره فتامل ولا
يذهب عليك انه تعالى قد اجاب دعوته ع هذه حيث جعله من صالح المؤمنين
كما اخبر عنه بقوله عز اسمه وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين للاتفاق
على ان المراد به في الاية سيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ابنائه ا
لمعصومين ولما كان الخشوع من احسن صفات الصالحين واشرف سمات ا
لمهتدين وكان من اسباب اجابة الدعاء ادعوا ربكم تضرعا وخفية يا موسى

كن

يا موسى كن اذا دعوتني خائفا مشفقا وجلا وعفر وجهك في التراب واسجد لي
بمكارم بدنك واقنت بين يدي في القيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب
وجل اتمه عليه السلم منه تعالى بقوله فقال واغرس اللهم لعظمتك في شرب
جناني ينابيع الخشوع غرس الشجر يغرسه غرسا وغروسا اثبته في الارض كاغرسه
كذا في القاموس والعظم في صفات الجسم كبر الطول والعرض والعمق والله تعالى
جل قدره عن ذلك وهو الذي جاوز قدره وجل عن حدود العقول حتى لا
يتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته فعظمة جلاله ورفعته وقدره فهو منصرف
الى عظم الشان وجلالة القدر وقيل ان عظمته تعالى صفة اضافية ثابتة له تعالى
بالقياس الى اعتقاد العبد وتصوره واثباته لغيره عز وجل والا فليس لما سواه
في جنب وجوده تعالى وجود حتى يتصف بالعظمة بالقياس اليه لكن الانسان
يتصور لنفسه بالقوة الوهمية وجودا مستقلا وبواسطة وجوده الموهوم يثبت
للعالم وافراده وجودا مستقلا فيقيس اليها وجود الحق فيصفه بالعظمة ثم بقدر
ما يظهر قصور وجوده وضعفه وقصور الوجودات الامكانية وضعفها يزيد في نظره
عظمة الحق ولهذا قيل ان ظهور الانسان سبب خفاء الحق في هذا العالم فبقدر
انكساره يظهر وجود الحق وعظمته وكبرياؤه والشرب بالضم والكسر وبالكسر الماء و
الحظ منه وفي التنزيل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم والمراد به هنا العرق
الذي يعمر القلب وحيوته وشبهه المعد للصالحة وهو ظرف للغرس والاضافة
لامية والجنان بالكسر الجنة وبالفتح القلب وهو المراد هنا سمي به لاجتنانه و
استتاره ونبع الماء نبعا ونبوعا خرج من العين والينبوع العين والجدول

لعظمتك

عن الثاني واستعمل في الاول كان المعنى مستقيمًا وانما لم يقل اخرج مكان اغرس
لكون الترشيح ابلغ بيانه ان في قوله ينابيع الخشوع استعارة مكنية وهو انه شبه
الينابيع باشجار رطبة خضر واستعير لها الينابيع واثبت له الاغراس الملائم
للاشجار المشبه بها فهي تخييلية وترشيحية نظيره فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
حيث لم يقل فكساها لان الترشيح ابلغ قال صاحب الكشاف في لباس الجوع والخوف
استعارتان تصريحية وهي انه شبه ما غشي الانسان عند الجوع والخوف من
بعض الحوادث باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس ومكنية
وهي انه شبه ما يدرك من اثر الضر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع حتى اوقع
عليه الاذاقة بمعنى بمنزلة الاظفار للمنية فيكون تخييلية ولا يخفى ما في هذه
التوجيهات والتاويلات من التكلف والاظهر ان النسخة كانت في الاصل
ينابيع الخشوع بتقديم النون على الموحدة من النبع وهو شجر يتخذ منه القسي قال
ابن الاثير في النهاية قيل كان شجرا يطول ويعلو فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا
اطالك الله من عود فلم يطل وفي القاموس النبع شجر للقسي والسهام ينبت في
قلة الجبل وقولهم لو اقتدح بالنبع لاورى مثل في جودة الراي لانه لا نار فيه و
عليه فلا اشكال مع مناسبة التعليل بالعظمة بخلاف ما سبق فانه عليه السلام
لما اراد ان يطلب خشوعا كاملا كثير الافراد بالغا طويلا غالبا على القلب وعلى
جميع الجوارح والاعضاء ليكون التوجه والاقبال على الله تعالى والخوف منه والاعراض
عما سواه دائما مستمرا بحيث لا يشغله شان غير هذا الشان توسط صفة العظمة
ليجعلها وسيلة لطلب ما هو عظيم وهو الخشوع المشبه بالنبع في طوله وعلوه

الكثير الماء، وينابيع الخشوع مفعول اغرس والاضافة اما بيانية او لامية
او من قبيل اضافة اللجين الى الماء، والخشوع التذلل والخوف والخضوع و
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يعبث بلحيته في صلوته فقال اما انه لو خشع
قلبه لخشعت جوارحه فدل على ان الخشوع كما يكون بالقلب يكون بالجوارح
وفي الصحاح خشع ببصره غضه ولعله عليه السلام شبه جنانه بالجنان فاثبت
له الترب وشبه الخشوع بالاشجار فاثبت له الغرس ثم طلب الاسقاية وانما نسب
الينابيع الا انه جعلها من متعلقات الغرس توسعا او ضمن الاغراس معنى الانباع
والابداع اي اغرس منبعا او مودعا في شرب جناني او كان في الاصل
شجرات الخشوع بقرينة ذرات الدموع وفي بعض النسخ اغصص اغز اللهم
وهو من الغزارة بمعنى الكثرة يقال اغضض كقوم اذا كثرت الناس مواشيهم
وهو قريب لكن لا يناسبه التعليل بالعظمة وقد بلغنا انه في نسخة كانت
بخطه عليه السلام كان فيها اغرس والاشكال انما هو فيها اذ الغرس ليس من
ملائمات الينبوع وانما الملائم لها الغزارة والنبع وما شاكل ذلك ومن
الناس من يقول ان اغرس محمول على التضمين بمعنى الاخراج بقرينة ينابيع فانها
ليست من متعلقات الغرس ولا يصح ان يكون من متعلقاته لانه استعماله مع
الينابيع يوجب التضمين اي اغرس مخرجا وتعقبه بعضهم بان استعمال الغرس
على اصل وضعه الذي هو غرس الشجر مطلقا في هذا المعنى بعيد جدا غير مانوس
على ان التضمين لهذا المعنى غير مصرح ويمكن ان يقال انه محمول على التجريد
فان الغرس اخراج التراب عن الارض وادخال الشجرة فيها فلوجود عن

الذي

وعروقه وكثرة جذوعه واغصانه ثم لما اراد ان يبالغ في ذلك لتيسر بحصره وحزه وجهه فيه جمعه ليكون اوفى ببادية المرام وادل على الغرض المسوغ له الكلام والمراد استدعاء حالة تتمكن معها عظمة تعالى في القلب على وجه يقلب الخوف والخشية على قلبه ويستولي عليه فيثمر بذلك خشوعه واقباله على الله تعالى بكليته وذهابه اليه بجملته وانما خص الجنان بموضوعية الخشوع لانه بمنزلة السلطان والجوارح بمنزلة العسكر فاذا توجه السلطان الى جانب توجه العسكر اليه فمتى توجه القلب الى جناب الله تعالى توجه كل جارحة اليه ولذا قال عليه السلام اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه

واعلم ان كلا من الفرح والحزن قد يوجب الدمع الا ان الحاصل من الاول بارد ومن الثاني حار لان الفرح كيفية تتبعها حركة الروح الى خارج البدن قليلا قليلا للوصول الى الملذ فاذا تحرك الروح الى الخارج انفصل اجزاء الشئون والمفاصل بعضها عن بعض فتخرج الرطوبات الباردة المحتبسة في الدماغ وتحزن كيفية تتبعها حركة الروح الى الداخل قليلا قليلا هربا من الموذي فاذا انقبض الروح متراجعا نحو الدماغ عصر شيئا من الرطوبات الباقية على سخونتها الشاقة والى هذا القسم اشار بقوله واجر اللهم لهيبتك من اماقي زفرات اذ الهيبة وهي الخطرة والخوف يقال هاب الشيء يهابه اذا خافه واتاه وقره وعظمه يوجب انقباض الروح كما في صورة الهرب من الموذي وقيل الهيبة خوف داع للخضوع عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل في كل محتشم قال الشاعر اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها وقال العارفون الهيبة

حالة

حالة فوق الخوف مقتضاها غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق بل من احوال نفسه بما يرد عليه من الحق اذ عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة قالوا وهي لا تكن الا في كل قلب منيب اواب ولا تلم الا بساحة كل مصلح تواب والموق بهمزة وغيرها طرف العين الذي يلي الانف وفي نهاية ابن اثير موق العين مؤخرها وماقها مقدمها جمع الموق اماق وهي متعلقة باجر ومن ابتدائية والزفرة النهر الكثير الماء والاضافة بتقدير من او من قبيل اضافة للذهب الى الاصيل حيث شبه الدموع بالزفرات ثم قدمت عليها واضيفت اليها والدمع ماء العين من حزن او سرور والجمع الدموع كالمنع والمنوع والدمعة القطرة منه ولما كان البكاء الى الله سبحانه فرقا وخوفا وصفا ممدوحا محمودا وفيه دلالة على رقة القلب التي هي دليل الاخلاص وجمود العين من القساوة المؤذنة بالبعد من الله يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو قلبك والقاسي القلب مني بعيد وقد ورد ان بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله وما من شيء الا وله كيل او وزن الا الدموع فان القطرة تطفي بحارا من النار فاذا اغرورقت العين بماءها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة واذا فاضت حرمه الله تعالى على النار ولو ان باكيا بكى في الله لرحموا وما من قطرة احب الى الله من قطرة الدموع في سواد الليل مخافة من الله و لا يراد به غيره ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل يكون في ميزانه من الاجر وكان له بكل قطرة عين في الجنة على حافتيها من المدائن والقصور ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا

خطر على قلب بشر استدعاه من الله عز وجل وطلبه منه ولما كان الخشوع من
اسباب الدموع ومن جملة عللها فان من غفل قلبه عن الله كيف يدمع عينيه
مخافة منه قدم عليها وطلبه قبلها للتبرك بذلك وليكون الكلام على طبق نظمه
الطبيعي وبظهر منه فايدة الخشوع كثرة عيني **تنبيه** قوله صلوات الله عليه من اماني
صريح في صحة اطلاق صيغة الجمع على الاثنين حقيقة اذ الاصل في الاطلاق
هو الحقيقة فما نقل عن صاحب الفتوحات ومدعي الكشف والكرامات انه قال
رايت رسول الله صلعم في بعض الوقايع فسالته عن اقل مراتب صيغة الجمع وقلت
ذهب فريق الى انه ثلثة وفريق الى انه اثنان فقال اخطا هولاء وهولاء بل
ينبغي ان يفصل ويقال الجمع اما جمع الفرد او جمع الزوج فاقل مراتب الاول ثلثة
واقل مراتب الثاني اثنان اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين هذا
ولما كان الفقر والفاقة وضيق المعاش يشوش الانسان فيمنعه عن الخشوع والدموع
بل قد يحدث فيه طيشا وخفة في عقله تغلبه قواه الحيوانية عليه فيتجاوز بذلك
بعض حدود الله ويرتكب محارمه اذا لم يكن قانعا بما يصيبه من الدنيا وكانت القناعة
كنزا من خزاين الله عز اسمه استدعاه منه سبحانه ليكون حاجزا له يكفه بنفسه عن
ذلك فقال **وَادِبِ اللّٰهُمَّ نزق الخُرُقِ مِنّي بازمة** ادبه علمه فتادب والادب
محركة حسن التناول ادب يحسن ادبا فهو اديب كذا في القاموس وقيل الادب رياضة
النفس ومحاسن الاخلاق وقال ابو زيد الانصاري الادب يقع على كل رياضة محمودة
يتخرج به الانسان في فضيلة من الفضايل وفي حواشي ملا عبد الغفور على
شرح الجامي الادب نگاه داشتن حد هر چيزي ولعله ضمنه معنى الازالة
دكنغ

والمنع اي ادب اللهم مزيلا ومانعا نزق الخرق مني وهو الانسب بالمقام لان
القوى الحيوانية لما كانت عاصية عن حكم الشرع خارجة عن تحت فهم العقل فلا بد
لها من مانع يمنعها من ذلك ويقسرها على امره ونهيه وهو تاديب الله ومنعه اياها
بزمام القنوع ولذا قال صاحب الدعاء جعلت له الفدا الادب صورة العقل لانه يمنع
العاقل عن ارتكاب ما لا ينبغي ارتكابه وانما رجحنا تضمين المنع على الازالة لان الاول مطابق للامر
نفسه دون الثاني فانهم اختلفوا في الخلق فقيل هو غريزي من جنس الخلقة لا يستطيع
تغييره خيرا كان او شرا كما قال وما هذه الاخلاق الا غرايز فمنهن محمود ومنها مذموم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا يسطيعه متكرم ويدل عليه قوله صلعم من اتاه
الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله ومحال ان يمكن المخلوق تغيير فعل الخالق فالتكليف
بتهذيب الاخلاق تكليف بما لا يطاق وقيل بل هو كسبي لقوله صلعم حسنوا اخلاقكم
فلو لم يكن كسبيا لما امر به ولانا نرى كثيرا من الناس يزاولون ويمارسون خلقا من
الاخلاق حتى يصير ملكة وقيل الحق ان اصله غريزي وتمامه مكتسب وبيانه ان الله تعالى
خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء والارض وهيئته
والثاني بالقوة وهو ما خلقه خلقا ما وجعل فيه قوة ورشح الانسان لاكماله وتغيير حاله
ان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل وسهل للانسان سبيلا ان يجعله
بعون الله نخلا وان يفسده افسادا فالخلق من الانسان يجري هذا المجرى في انه لا سبيل الى
تغيير القوة التي هي السجية والغريزة وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولهذا قال الله تعالى
قد خاب من دسيها ولو لم يكن كذلك لبطلت فايدة المواعظ والوصايا والوعد و
الوعيد والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون
هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهايم ممكنا فالوحشي قد ينقل بالعادة

الى التناسل والجامع الى السلامة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبل جبلة سريعة القبول وبعضهم بطيئة القبول وبعضهم في الوسط والكل لا ينفك من اثر قبول وان قل ومن هنا ورد في الادعية من طلب التوفيق لمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال و في الاحاديث من الامر بها والحث عليها اقول ويظهر من بعض الاخبار ان الخلق منه غريزي ومنه كسبي مثل ما في اصول الكافي في باب حسن الخلق عن اسحق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام ان الخلق منحة يمنحها الله عز وجل خلقه فمنه سجية ومنه نية فقلت فايهما افضل فقال صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبرا فهو افضل والطاعة للنية المكتسبة بقرينة المقابلة يقال نوى ينوي اي قصد والاسم النية مثقلة والتخفيف لغة وهذا صريح في ان الخلق منه طبيعي غريزي خلقه الله في بدو الفطرة ومنه مكتسب بان يتمرن حتى يصير كالغريزة فبطل قول من من قال امر غريزي لا مدخل للاكتساب فيه قال الراغب وارى ان من منع من تغيير الخلق فانه اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح فان النوى محال ان ينبت الانسان منه تفاحا ومن اجاز تغييره فانه اعتبر اظهاره ما في القوة الى الوجود وامكان افساده باهماله نحو النوى فانه ان يتفقد فيجعل نخلا وان يترك مهملا حتى يفسد و هذا ايضا صحيح فاذا اختلافهما بحسب اختلاف نظريهما انتهى وانت خبير بان كلام صاحب الكتاب جعلت له فدا صريح الدلالة على امكان تغيير الخلق و السلامة بالمعنى الذي سبق ولكن بفضل الله وحسن توفيقه كما قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم هذا والنزق الوثوب والسرعة والتنابذ والطيش والخفة عند الغضب ومنه ما ورد في رواية عبد الله بن سنان قال قلت لابي عبد الله ع جعلت فداك اني لارى بعض اصحابنا يعتريه النزق والحدة والطيش فاغتم

لذلك

لذلك

غما شديدا واري من خالفنا فاراه حسن السمت قال لا تقل حسن السمت فان السمت سمت الطريق ولكن قل حسن السيماء فان الله تعالى يقول سيماهم في وجوههم قال قلت فاراه حسن السيماء له وقار فاغتم لذلك قال لا تغتم لما رايت من نزق اصحابك ولما رايت من حسن سيماء من خالفك ان الله تعالى لما اراد ان يخلق آدم خلق تلك الطينتين ثم فرقهما فرقتين فقال لاصحاب اليمين كونوا خلقا باذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يسعى وقال لاهل الشمال كونوا خلقا باذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يدرج ثم رفع لهم نارا فقال ادخلوها باذني فاول من دخلها محمد ص ثم اتبعه اولوا العزم من الرسل واوصياؤهم واتباعهم ثم قال لاصحاب الشمال ادخلوها باذني فقالوا ربنا خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لاصحاب اليمين اخرجوا باذني من النار فخرجوا لم تكلم منهم النار كلما ولم تؤثر فيهم اثرا فلما راهم اصحاب الشمال قالوا ربنا نرى اصحابنا قد سلموا فاقلنا وامرنا بالدخول قال قد اقلتكم فادخلوها فلما دنوا واصابهم الوهج رجعوا فقالوا يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا فامرهم بالدخول ثلثا كل ذلك يعصون و يرجعون وامر اولئك ثلثا كل ذلك يطيعون ويخرجون فقال لهم كونوا طينا باذني فخلق منه آدم ع قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء وما رايت من نزق اصحابك وخلقهم فمما اصابهم من لطخ اصحاب الشمال وما رايت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فمما اصابهم من لطخ اصحاب اليمين انتهى وفيه اشياء تظهر على من تامله واما الجبر الذي يتراءى من احاديث الطينة فتوهم ضعيف وظن ضعيف سخيف قد ذكرنا وجه ضعفه وسخافته في اواخر رسالتنا المعمولة لابطال الجبر والتفويض فليطلب من هناك واضافة النزق الى الحرق اما لامية او بيانية او كان في الاصل ادب اللهم النزق والحرق نزق الحرق مثنى فحذف العاطف واضيف النزق الى الحرق

اشد امتزاج بينهما في المناسبة اللفظية والمعنوية كما قال الشيخ الرضي في نظائره
وسمى هذا التركيب تشبيها بالمزجي والخرق ضد الرفق ومنه ما ورد الرفق يمن والخرق
شوم وفي آخر من قسم له الخرق حجب عنه الايمان وعن صاحب الصحاح جعلت له الفدا
من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة والخرق فيه بمعنى الجهل والحمق و
ان لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الامور وهذا من جملة معانيه كما صرح به علماء
العربية اللغة وعن النبي صلى الله عليه وآله السلام لو كان الخرق خلقا يرى ما كان شيء مما خلق
الله اقبح منه وفي القاموس الخرق الفقر واعلم ان الحدة غير الخرق المذموم فان
من الناس من يشاكل ظاهره ظاهر الشرير في الحدة والاستطالة ويرجع باطنه
الى قلب سليم منطو على الخير وذلك من غلبة الصفراء على مزاجه وفي الحديث الثناء
على مثله قال عليه السلام خيار امتي احداوها وقال عليه السلام الحدة تعتري خيار امتي
هذا وكلمة من ابتدائية والازمة كالائمة جمع زمام وهو ما يعمل ويجعل في انف
البعير ليقاد به والباء للملابسة او السببية والظرف متعلق بادب والقنوع با
لضم السؤال والتذلل والرضا بالقسم ضد ومن دعائهم نسئل الله القناعة
ونعوذ به من القنوع وفي المثل خير الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع والقناعة الرضا
باليسير من العطاء وقد قنع يقنع قنوعا وقناعة بالكسر اذا رضي وقنع يقنع با
لفتح قنوعا اذا سئل والى المعنيين المذكورين اشار من قال العبد حر ان قنع والحر
عبد ان قنع فاقنع ولا تطمع فما شيء يشين الا الطمع قنع الاول بالكسر بمعنى رضي
والثاني بالفتح بمعنى سال وقيل القناعة الرضا بما دون الكفاية وفسرها المحقق الطوسي
بعد ما عدها من الانواع المندرجة تحت العفة الحاصلة من الاعتدال في القوة
الشهوية بانها رضا النفس في الماكل والملابس وغيرها بما يسد الخلل من

اي

اي جنس اتفق وقد ورد في شان القناعة والحث عليها من الكتاب والسنة ما لا خفاء
فيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا وبالقناعة فسر الرزق الحسن في قوله تعالى ليرزقنهم رزقا حسنا وبها فسرت
الحيوة الطيبة في قوله عز وجل لنحيينه حيوة طيبة وعن الباقر عليه السلام من قنع بما
رزقه الله فهو اغنى الناس بيان ذلك ان حاجات الناس كثيرة فاغناهم اقلهم حاجة
لان الغنى هو عدم الحاجة فلذلك كان الله سبحانه اغنى الاغنياء اذ لا حاجة به
الى شيء نقل ان رجلا من حاشية السلطان راى حكيما ياكل ما تساقط على دكـ
ما من البقل فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت لو
قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقال صفوان بت ليلة استمتع بالمنى واقلب
قلبي على حواشي الغنى فكبت البحر الاخضر بالذهب الاحمر وجعلت ما بين كوفان الى
اسيان عمان فاخرة اللباس وسارحة النعم فاذا الذي يكفيني له من ذلك رغيفان
وطمران وقال وهب خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا وقد فسرت
في الاخبار بان تقنع بما تصيب من الدنيا تقنع بالقليل وتشكر باليسير وفي
الحديث القناعة كنز لا تنفد عز من قنع وذل من طمع وعن صاحب الدعاء جعلت
له الفدا لا كنز اغنى من القناعة ولا مال اذهب للفاقة من الرضا بالقوت ومن
اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم وتبوأ خفض الدعة والرغبة مفتاح النصب و
مطية التعب والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب والشر جامع مساوي العيوب ا
تشبيه قوى النفس الامارة بالسوء التي ينشا منها النزق ويصدر عنها الشرور وهي
المفتقرة الى التاديب لنزقها بالنوق بجامع عدم القيادة والسكون وترك الشهوة

فاثبت لها الازمة اما لتعددها او للاشارة الى انها لا تنقاد ولا تطيع بزمام
واحد او لاختلاف متعلقات الشهوة واحتياج النفس في الكف عن كل واحد منها بزمام
قناعة اخرى وصبر آخر ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح واضافة الازمة
الى القنوع اضافة اللجين الى الماء او الاضافة فيه بيانية او بتقدير من او بتقدير آخر
شبه نزق الخرق وهو من الكيفيات النفسانية بالناقة المحتاجة الى التاديب با
الازمة وسكت عن ذكر المشبه به وذكر المشبه فالاستعارة مكنية واثبات ا
لتاديب بالازمة له تخييلية ثم شبه القنوع بالازمة فانه كما يمنع الزمام نزق
الناقة يمنع القنوع نزق النفس ثم قدم المشبه به واضيف الى المشبه كما في ذهب
الاصيل ولجين الماء وحاصل المعنى اللهم وامنع اللهم او سكن وثوب نفسي وضطرابها
لاجل الفقر وعدم الصبر بازمة القنوع ولما كان الخرق اي الفقر منشا نزق النفس
وعلتها اضافه اليه والاضافة فيه لما يكفيه ادنى ملابسة كما في كوكب الخرقا او المراد
اذل واذهب شرة الخرق مني بازمة القنوع واعطني لين العريكة باستعمال الخضوع — الرفوع
تذنيب قد اجيب دعوته عليه السلم هذه اذ لا خلاف بين الامة في انه كان ازهد
اهل زمانه طلق الدنيا ثلثا وكان يصوم النهار ويقوم الليل وكان يفطر على جريش
الشعير من غير ادم وختمه لئلا يادمه الحسنان بسمن او زيت وكان اخشن الناس
ماكلا وملبسا ولم يشبع من طعام قط وكان يقول والله لدنيا كم هذه اهون
من عراق خنزير في يد مجذوم وكان يقول يا دنيا يا دنيا اليك عني ابي تعرضت
ام الي تشوقت لا حان حينك هيهات هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد
طلقتك ثلثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير واملك حقير وهذا شي

اختص

اختص به ثم لم يشاركه فيه غيره ولم ينل احد بعض درجته وكان نعلاه من ليف
وكان يرقع قميصه من جلد تارة ومن ليف اخرى وقال ان يا تدم فان فعل
فبالملح او الخل وان ترقى فبنبات الارض فان ترقى فبلبن ومن كلامه عليه السلم
وايم الله يمينا برة استثني فيها بمشية الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها
الى القرص اذا قدرت مطعوما وتقنع بالملح مادوما ولتستلين للصوف ملبوسا
ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها اتمتلى السائمة من رعيها
فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علي من زاده فيهجع قرت
اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية
الى آخر كلامه وهذا مذكور في نهج البلاغة صلى الله عليه وعلى من انتسب بالزهد
والقناعة اليه الهي ان لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق فمن السالك بي اليك
في واضح الطريق الهي منادى بحذف حرف النداء اي يا مالوهي ومعبودي او مفزعي
وملجاي او من يسكن اليه قلبي او من اليه اتضرع في شدائدي والاله في الاصل
يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق بحيث لا يطلق على غيره تعالى وان
للشرط في الاستقبال وقد نص ارباب البيان ان الاصل فيها ان لا يجزم بشي
من طرفي الشرط لكنها قد يستعمل في مقام الجزم لنكتة قال صاحب التبيان قد يستعمل
ان في الجزم اما للاحتياط كما اذا سئل العبد عن سيده هل هو في الدار وهو يعلم انه فيها
فيقول ان كان اخبرك فيحتاط بالتجاهل خوفا من السيد واما لتقرير وقوع الجزاء و
تحققه نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت منك وعبارة
الدعاء من هذا الباب والنكتة فيها اما الاحتياط واما تقرير وقوع الجزاء وتحققه
حيث علق انكار من يسلك به اليه تعالى في واضح الطريق بعدم ابتداء الرحمة منه

بحسن التوفيق بانه جازم بذلك وهو امر محقق عنده كيف لا والهداية امر من لديه و
جميع اسبابه يعود اليه وهذا منه فزع الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء
والاوصياء والصالحين في تفويض الخيرات والنجاة من الشرور الى جناب الله عز وجل
وسلب القوى والقدرة عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه تعالى فكانه عم قال
لا تخل بيننا وبين انفسنا بمنعك التوفيق واللطف عنا فنعجز عن سلوك طريق
معرفتك وسبيل طاعتك وفي هذا الكلام دلالة على بطلان قول من قال بعدم
مدخلية توفيق الله وخذلانه في افعال العباد وهم المشهورون بالمفوضة اذ الا
نسان بمجرد جده وجهده لا يصل اليه وانما يتقدر وصوله اليه بالاجتهاد فان الجهد
وحده ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط اخر وحسن التوفيق عبارة
عن اجتماع جميع تلك الشرائط وسوء التوفيق عبارة عن فقدها كلا او بعضا و
الرحمة النعمة ومن ابتدائية اي الرحمة المبتداة من جنابك من غير استحقاق
مني والاضافة اما بيانية او من اضافة الصفة الى الموصوف اي بتوفيق حسن
والتوفيق لغة جعل الشيء موافقا لآخر وعرفا جعل الله فعل العبد موافقا لما يحبه
ويرضاه وهو وان كان في الاصل موضوعا على وجه يصح استعماله في السعادة
والشقاوة ولذلك قيده عليه السلام بان يكون حسنا لا قبيحا الا انه قد صار متعارفا
في السعادة فقط فلعله المراد بقولهم التوفيق توجيه الاسباب نحو المطلوب الخير و
قيل هو الدعوة الى الطاعة والمآل واحد والتوفيق مما لا يستغني الانسان عنه في
كل حال كما قيل للحكيم ما الشيء الذي لا يستغنى عنه في كل حال فقال التوفيق
والمراد بقوله بتوفيقه تعالى له عليه السلام تسديده وتذكيره ولطفه به و

الهام

والالهام للقيام بما اتاه من ادب الاوصياء واخلاق الاصفياء من صدق الانقطاع
اليه والتوكل عليه وفرط اليقين به واطمينان القلب بفضله فلم يلتفت الى غيره و
لا الى نفسه وهكذا من كان دائم المراقبة لربه مدققا الحساب على نفسه قد قام
معها على ساق مقام الخصم الالد عند الشقاق كان مترشحا للعصمة من ربه
مطرحا لاشعة انوار لطفه ومحبته هذا ويقال سلكت الطريق سلوكا من باب
قعد اي ذهبت فيه وفي القاموس سلك المكان سلكا وسلوكا وسلكه غيره و
فيه واسلكه اياه وفيه وعليه ويده في الجيب سلكها ادخلها فيه ولعله عليه السلام
ضمنه معنى الهداية ولذا عداه بالى والسلوك الى الله تعالى هو التقرب اليه بالاعراض
عن الدنيا الدنية وحطامها وما فيها ثم باتيان ~~الواجبات~~ الفرائض ثم النوافل
فانها قربان كل تقي ثم بمراعاة الآداب والسنن ثم الصبر على البلايا والمحن و
ملاحظة الذكر ومداومة الفكر والتخلي عن الشهوات النفسانية والهواجس الشيطانية
وجعل الهموم هما واحدا مع اخلاص النية وصفاء الطوية والعمل بما يعلمه شيئا ومراقبة النفس
آنا فآنا الى ان يصير العلم عيانا والعيان يقينا ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين ومنه الى
حق اليقين وقد اشار اليه صاحب الدعاء جعلت له الفداء عند ذكر السالك على ما هو المذكور
في نهج البلاغة حيث قال قد احيى عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه
وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب
السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل
قلبه وارضى ربه انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه ويحتمل ان يكون المراد با
الرحمة منه تعالى بحسن التوفيق اي التوفيق على السلوك اليه احداث الشوق في السالك
واهتياج قلبه وجذبه الى ارادته ومحبته والمواظبة عليه فان الشوق هو دا

فشيئا م

لذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة بالم المفارقة يكون في حال السلوك
بعد اشتداد الارادة ضروريًا وربما كان حاصلا قبل السلوك وذلك لانه اذا
حصل الشعور بكمال المطلوب ولم تنضم اليه القدرة على السير وقل الصبر على المفارقة
وكلما ترقى السالك في سلوكه كثر الشوق كذا افاده المحقق الطوسي قدس سره في بعض
رسائله والاضافة في واضح الطريق من اضافة الصفة الى الموصوف وفي الكلام
استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه العبادات والرياضات والمجاهدات الشرعية
بسلوك الطريق ثم ذكر المشبه به واريد به المشبه والمراد بوضوحه ان الله تعالى
خلق الانسان بشرا سويا مكلفا ونصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته و
استحقاقه الطاعة والعبادة لما ركب فيهم وفي غيرهم من عجائب خلقته وغرائب
صنعته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلال والهداية
لكن هذا الطريق على وضوحه مخوف وفيه مهالك ومزالق ولذلك فهو محتاج
الى العنايات الربانية والهدايات السبحانية فانه ما دام في سيره الى الحق يكون مضطربا
غير مستقر الخاطر لخوف العاقبة وما يعرض في اثناء السير والسلوك من العوارض
العائقة كالانحراف عن القصد في عبادة الله واستيلاء القوى الشهوانية بحسب
مجرى العادة في استعمال الشهوات المالوفة فان هذه وامثالها قصدت الكثير عن
السلوك الى الله وهم على خوف منها ومن خواطر الشيطان كما قيل السالك الى الله تعالى
خائف من قطع الطريق من الشيطان وهو لا يامن ان ياتيه من اي جهة امكن
منها الاتيان فليس للتخلص منه مساغ الا بان يلتجئ الى الله سبحانه ويسأله الحفظ
من جميع الجهات فاذا هبت نسيم العناية الازلية وارتفعت الحجب الحائلة الظلمانية

وقال الصبر حتى
يصل الى المطلوب
فتخلص لذة نيل
الكمال من الالم وتبقى
الشوق

تورد

تنور القلب بنور العيان وحصلت الراحة والاطمينان وزال الخوف وظهرت تباشير
الامن والامان كما سبق آنفا في كلام صاحب الدعاء وجعلته الفداء وهذا المقام
من مقامات اصحاب النهايات لا من احوال ارباب البدايات الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وَاِنْ اَسْلَمَتْنِي اَنَاتُكَ لِقَائِدِ الأَمَلِ وَالْمُنَى فَمَنِ الْمُقِيلُ عَثَرَاتِي
مِنْ كَبَوَاتِ الْهَوَى يقال اسلم فلان فلانا اذا القاه في الهلكة ولم يحمه من عدوه و
هو عام في كل من اسلمته الى شيء لكن غلب عليه الالقاء في الهلكة ومنه الحديث اني
وهبت لخالتي غلاما فقلت لا تسلمه حجاما ولا صائغا ولا قصابا اي لا تعطه
لمن يعلمه احدى هذه الصنائع والاناة على وزن حصاة اسم من تانى في الامر اذا
تمكث ولم يعجل والمراد بها هنا الحلم وتاخير العقوبة والاستدراج ولما كان الغرض
العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله اقتضت عنايته سبحانه عدم معاجلة
العباد بالعقاب والانتقام والاخذ بالذنوب والمعاصي في هذه الحيوة
الدنيا ليراجعوا التوبة ويرجعوا الى الانابة ولذلك انظرهم ببقاء الدنيا و
امهلهم مدة حيوتهم فيها والقائد بعير جره خلفه يقال قاد الدابة قودا من باب
قال اذا اتقدمها اخذا بقيادها وهو خلاف السوق ومنه قائد الجيش لانه يتقدمهم
كانه يقودهم وجمعه قادة وقواد وقد يقال للدليل ايضا القائد لهذا الاعتبار ومنه
قائد الغر المحجلين والاضافة بتقدير من واللام في لقائد الامل متعلق باسلمتني و
اللام فيه بمعنى الى واحتمال كونها لام التقوية للعمل بعيد فانها انما تزيد لتقوية عامل
ضعيف كالمصدر وشبهه فانه لكونه فرعا في العمل عن الفعل ضعيف فاحتاج الى
التقوية والعامل هنا فعل متعد فاية حاجة له اليها فتامل والامل محركة الرجاء
وحقيقته ابتهاج النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن

كبوات الهوى

علم ويقتضي عملا وقال بعضهم اكثر ما يستعمل الامل فيما يستبعد حصوله فانه من عزم
الى سفر الى بلد بعيد يقول املت الوصول اليه ولا يقول طمعت الا اذا قرب منه فان
الطمع لا يكون الا فيما قرب حصوله وقد يكون الامل بمعنى الطمع والرجا يجمع بين الامل
والطمع فان الراجي قد يخاف ان لا يحصل ماموله ولهذا يستعمل بمعنى الخوف فان قوي
الخوف استعمل استعمال العلم وعليه قول [زهير] ارجو وامل ان تدنوا مودتها ومنشا
الامل الحرص على الاسباب الدنيوية وجمع القنيات الفانية وثمرته الاعراض عن
الامور الاخروية الموجبة لا سعادة الابدية ولذلك قال صاحب الدعا جعلت له
لفدا ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع
الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة بيان ذلك ان طول التوقع
الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها ويستلزم دوام اعراض النفس عن
ملاحظة احوال الاخرة وهو مستعقب لانمحا ما تصور في الذهن منها و
ذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي وكشفا للسر مكرو وقد ورد من ا
لاثار والاخبار في التحذير من طول الامل والتقصير [التنفير] عنه ما تضيق عنه دائرة ا
الاحصا، وتقصر عن قطع مسافته قدم الاستقصا، وكفى في ذلك قوله تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون نبه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل
اخلاق الكافرين لا من صفات المؤمنين وعنه ص يا ابا ذر اياك والتسويف بامك
فانك بيومك ولست بما بعده فان يكن لك غد فكن في الغد كما كنت في اليوم و
ان لم يكن غدا لم تندم على ما فرطت في اليوم يا ابا ذر كم من مستقبل يوما لا
يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه يا ابا ذر لو نظرت الى الاجل ومسيره لابغضت

الامل

المصرع كانه من كعب بن زهير في قصيدته التي امتدح به النبي ص وقبله خط ١٣

الامل وغروره يا ابا ذر كن كانك في الدنيا غريب او عابر سبيل وعد نفسك من
اصحاب القبور يا ابا ذر اذا اصبحت لا تحدث نفسك بالمسا، واذا امسيت فلا تحدث
نفسك بالصباح وعن انس ان النبي ص خط خطا وقال هذا الانسان وخط الى جنبه
خطا وقال هذا اجله وخط آخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه
الاقرب وفي خطبة لصاحب الدعا جعلت له الفدا اعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي
الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور فنهى عن الامل وبين سروره وضرره
وفي حديث القدسي يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو لذلك قلبك والقاسي
القلب مني بعيد هذا ومنى كشيء قدره لان المتمني يقدر حصول ما يتمناه والتمني
تشهي حصول الامر المرغوب لحصول ما يحتاج اليه من اهل ومال وادوات واسباب
وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون ومنه ما قال لصاحب الدعا جعلت له الفدا
لا تتكل على المنى فانها بضاعة النوكى والاصل في من ان يطلب به الامر الذي يعرض
لذي العلم فيفيد التخصيص الا انه هنا استعمل لمجرد الاستبعاد والاستنكار كما
في قولك من ذا يفعل كذا اي ليس لعثرته مقيل دونك والاقالة التجاوز عن الذنب و
اصلها من اقال عثرته اذا رفعه من سقوطه ومنه الاقالة في البيع لانها رفع العقد
ومنه اقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم وفي الحديث اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم وفي
رواية اخرى ذوي المروات والاقالة العثرة استعارة للتجاوز عن الذنوب والعثرة الزلة
والخطيئة من عثر يعثر من باب قتل عثارا بالكسر اذا كبا وسقط لانها سقوط في الاثم
وقيل هي كلمة من العثار في المشي وهي الزلة ومنه العاثور المكان الوعث الخشن لانه
يعثر فيه ومنه قول ابي يوسف يعقوب المعروف بابن السكيت وكان من اكابر علماء
العربية وعظماء الشيعة وهو من اصحاب الجواد والهادي عليهما السلام في التحذير من عثرات
اللسان ؎ يصاب الفتى من عثرة بلسانه ؎ وليس يصاب المرء من عثرة الرجل ؎

هذم

المتمني

نعثرته في القول تذهب راسه وعثرته في الرجل تبرى عن مهل قيل فاتفق ان المتوكل
لما سبع الزمه تاديب ولديه المعتز والمؤيد فقال له يوما ايما احب اليك ابناي هذان ام
الحسن والحسين عليهما السلام فقال والله ان قنبر خادم علي خير منك ومن ابنيك فقال
المتوكل لاتراكه سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات وهذا من غريب ما رتع منه رحمه الله
هذا والكبوة العثرة ومنه الجواد قد يكبو ومن ابتدائية والاضافة من اضافة الصفة
الى الموصوف والهوى مقصود وهو الذي يميل اليه القلب من المحبوبات والمشتهيات هواي
مع الركب اليماني مصعد وتحقيق ان الهوى ما يحكم الطبع بلا عمد ولا يرعى
فيه المآل بل يخالف العقل ويسرع بمعونة الوهم والخيال فيختار العاجل ولو كان
فانيا دون الآجل ولو كان باقيا فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله
وفي الحديث ابغض اله عبد في الارض الهوى والشيطان واما من خاف مقام
ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعاص هوى النفس التي ما طاعت
اخو ضلة الا هوى هن عقابه والمعنى ان الفتى اناتك وتاخير عقوبتك
وحلمك الى قابل من جنس الامل والمنى يقودك ويجرك الى حيث ما يجرك فتكثر
عثراتك من القبل عثرات المبتدي من الهوى الكابية كعاثرة فتشبيه النفس
الامارة بالسوء المائلة بالشر بالشخص الاعمى الجامع عدم التبصر والاهتداء
الى طريق الصواب استعارة بالكناية واثبات القائد له تخييل واسناد الاسلام
الى الاناة مجاز عقلي ونسبة الاغلاط لكن منشأه من ذلك قدم النفس بفعل المنهيات
وترك المامورات الموجبة لكونها رهينة بذلك مفتقرة الى الاقالة بالعثرات في
المثل استعارة مصرحة او هو تشبيه المعقول بالمحسوس وكذا تشبيه الهوى بالناقة
الهابطة العاثرة مكنية اخرى واثبات الكبوة له تخييل آخر وهذه الفقرة الجليلة
من ادق الكلام وافصحه وفيها دلالة على ان تعجيل بعض العقوبات الدنيوية لعود

الى الشر

بالله

بالله
منه ومن موجبات لطف من الله على عباده يوجب تنبيههم على سيئات اعمالهم واعراضهم
عن الدنيا واقبالهم على الآخرة وان تاخيرها استدراج لهما منه الامال والاماني
وانهما يقودان لصاحبهما الى المهالك ثم يلقيانه فيها وادنى ما يترتب عليها
نسيانه الآخرة وتاخيره التوبة واقباله على الدنيا وامور مستغرقة فيها الى ان
يختطفه الموت وهو غافل عنه غير مستعد له فتطول في الآخرة حسرته وندامته
تذنيب قوة الفكر بين العقل والهوى والعقل فوقها والهوى تحتها فمتى ارتفعت ا
لفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة وتولدت المحاسن واذا اتضعت ومالت
نحو الهوى صارت وضيعة فتولدت القبائح ومن شان العقل ان يرى ويختار ابدا
الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النفس منه في المبدا مؤنة ومشقة والهوى
على الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع المؤذي في الوقت ~~وان كان على النفس منه~~
~~المبدا مؤنة ومشقة والهوى على الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع المؤذي في الوقت~~
وان كان يعقب مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر اكل
الحلاوة واللعب في الشمس على اكل الهليلج والحجامة ولذا قال عم حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات وايضا فالعقل يرى صاحبه ما له وعليه والهوى يريه
ما له دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال عم حبك الشيء يعمي ويصم
فعلى العاقل ان يتهم رايه في الاشياء التي هي له لا عليه ويظن انه هوى لا عقل و
يلزمه ان يستقصي النظر فيه قبل امضاء العزيمة حتى قيل اذا عرض لك امران فلم تر
تتمة ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير في الكراهة قال تعالى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا ولهذا قال الاحنف بن قيس كفى بالرجل رايا اذا اجتمع عليه امران
فلم يدر ايهما الصواب ان ينظر اعجبهما اليه واغلبهما عليه فيحذره هذا ولنا ان

مع هواه ثلث احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيستعبده كما قال تعالى ارايت من اتخذ
الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا والثانية ان يغالبه فيقهر مرة ويقهره مرة واياه
نصد بمدح المجاهدين وعناه صلى الله عليه وآله بقوله وقد سئل اى الجهاد افضل جهاد
هواك وقال عليه السلام جاهدوا اهواكم كما تجاهدون اعداكم والثالثة ان يغلب
هواه كالانبيا والاوصيا وكثير من صفوة الاوليا وهذا المعنى قصد النبي صلعم بقوله
ما من احد الا وله شيطان فقيل يا رسول الله ولا انت فقال ولا انا الا ان الله قد
اعانني على شيطاني حتى ملكته فان الشيطان يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى و

وَانْ خَذَلَنِى نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ وَكَلَنِى خِذْلَانُكَ اِلَى حَيْثُ النَّصَبِ وَالْحِرْمَانِ

خذله من باب قتل خذلا ترك نصره واعانته فهو خاذل والاسم الخذلان
بالكسر والاسناد فيه وفي وكلني مجازيان عقليان وفي الاول تجريد فان الخذلان هو
ترك النصر كما تبين وخذلانه تعالى نعوذ بالله منه ان يترك المرء ونفسه لسوء استعداده
وشناعة صنيعته فيمنع منه الطافه الخاصة وفيه دلالة على مدخلية سبحانه في افعال
عباده بالتوفيق والخذلان بحيث لا يصل الى حد الالجا والجبر في شيء منها كقول
المعتزلة لا صنع لله اصلا في فعل العبد لا اصل له والمحاربة كالمجادلة مصدر من باب
المفاعلة من باب الافعال واقع بين اثنين فصاعدا بفعل كل مع صاحبه ما يفعل به
وبمعنى الحرب مستعارة من المجاهدة وهي الجهاد الاكبر المشار اليه بقوله عليه السلام رجعنا
من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهي مجاهدة النفس الامارة بالسوء كشهوة البطن
والفرج والغضب وساير الافات والعيوب وهي اعدا عدو المرء ويتخذها عقول
كثير من الناس قيامهم بما يامرهم والمحاربة معها بالمجاهدة والرياضة والتصفية
الباطن واركانها الجوع ثم السهر ثم العزلة ثم الصمت ثم ذكر الله تعالى وهو عند

اهل

اهل السلوك كلمة التوحيد والمحاربة مضافة اما الى الفاعل او المفعول اى محاربتهما
اياى او محاربتي اياها او محاربة كل مع الاخر على ان يكون المراد بالنفس النفس اللوامة
او الملهمة وعلى الاولين الامارة بالسوء المايلة الى الشر فانها في حال الشهوة بهيمة وفي
الغضب سبع وفي المصيبة طفل وفي النعمة فرعون وفي الشبع تراها مختالة وفي الجوع
مجنونة ان اشبعتها بطرت وان جعتها صاحت وجزعت ومن ردائها وجهلها انها
اذا همت بمعصية وانبعثت لها شهوة لو تشفعت اليها بالله تعالى وبحرمة رسوله وجميع
انبيائه وكتبه ورسله والملائكة المقربين وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة
والنار لا تعطي القياده فلا تسكن ومن ردائها وجهلها وغفلتها انها لا تبالي والغفلة عنها والاسترسال الشهوة عم
طرفة عين ابدا وعلم ان المحققين على ان النفس الانسانية اى النفس الناطقة شيء
واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى الشهوة والغضب سميت
امارة وهذا في اغلب احوالها لالفها بالعالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت
وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث ذاتها امارة بالسوء
ان كانت منجذبة تارة الى العالم العلوي وتارة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم
من ذهب الى ان المطمئنة هي الناطقة بالعلوم والنفس الامارة منطبعة في ا
لبدن تحمله على الشهوة والغضب وساير الاخلاق الرزيلة وفيه ايما الى قدرة العبد
وكونها موثرة فيما يصدر عنه من الافعال والتروك والا لم يتصور منه المحاربة
والمدافعة مع اعدا عدوه وخاصة في حال تشكيه وعتوه فقول الجبرية لا موثر
في الوجود الا الله باطل فقد اشار عليه السلام بهذا الكلام ان لا جبر ولا تفويض
بل امر بين امرين وقد فصلنا القول فيه في بعض رسائلنا المعمولة لشرح قولهم
وقد سئل عن معنى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله انا لا نملك مع الله شيئا ولا
نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا

ثم الى تستغلبها
بمنع رغيف او اعطاء
رغيف فتسكن وتترك
شهوتها فتعلم خستها

وضع تكليفه عنا فليقف من هنالك من اراد الوقوف عليه والشيطان وهو عدو لك
ومترصد صرف قلبك عن الله حسداً لك عن مناجاته والشيطان فيعال من الشطن
وهو البعد لبعده عن الله تعالى او عن الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله لكونه العبد من
اجله او فعلان من شيط وهو البطلان والهلاك والاحتراق لانه باطل في نفسه
مبطل المصالح ومصالح من ابطل من اجله هالك باللعنة يريد اهلاك من لعن
لاجله محترق غضبا عليه اذا راه يتقرب الى ربه والالف واللام فيه للجنس فتدخل فيه
جنوده ولو جعل للعهد جاز ويدخل فيه جنوده تبعاً والمثبتون لوجود الشياطين اختلفوا
في حقيقتهم فالمتكلمون منهم قالوا هي اجسام شفافة تتشكل باشكال شتى
وتقدر على الولوج في بواطن الحيوان وتنفذ في منافذها الضيقة نفوذ الهواء
المستنشق وظ بعض الاخبار لبعضه وقال قوم هي النفوس الارضية المدبرة
للعناصر وقيل هي النفوس مجردة تتصرف بالتعلق وتدرك بالآلة هي كرة الاثير
واول به خلقهم من النار وقال جمهور الفلاسفة ان الشيطان عبارة عن الوهم
المعارض للعقل وجنوده ساير القوى التي تعينه في معارضة العقل في تخاصم
الكفار ولها سميت عصاة امر الله سبحانه والوهم رئيس القوى البدنية فهي اذا
عند معارضتها ومتابعتها جنود ابليس وقبيله قالوا والمراد بكونه خلق وقبيله
قالوا والمراد بكونه خلق وقبيله من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى اجسام
لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وهي حارة جدا مائلة الى الافراط والنارية
والهوائية عليها اغلب وتولدها عنها اسهل وهي اجزاء الكبد وكذا القلب الذي
الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسبوا
الى النار تذنيب فان قلت كيف يتصور المحاربة بين الانسان والشيطان

وهو

وقيل هي النفوس الناطقة البشرية المفارقة لابدانها
وتعلق بالنفوس البشرية وتعاونها على الشر والفساد

وهو لا يراه على العيان ولا يشاهده في المكان قلت قد ظهر جوابه على مسلك الفلاسفة
واما على طريقة المتكلمين فمحاربة الشيطان للانسان عبارة عن تسويله ووسوسته
وتزيينه له ما حرمه الله عليه ودعوته له الى ذلك رجاء ان يغلبه بذلك فيهلكه كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وحقيقة محاربته ان
الانسان بينما هو ذاهل عن شيء ذكره ذلك فيحدث له ميل جازم يترتب الفعل على
حصول ذلك الميل فمحاربته ذلك التذكير واجابته حصول ذلك الميل الذي هو من
شان النفس ولذلك قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان
اذا احس بشيء او ادركه يترتب عليه شعوره بكونه ملائما له او منافرا ويتبع هذا الشعور
الميل الجازم الى الفعل او الترك وكل هذه الاشياء من شان النفس ولا مدخل للشيطان
في شيء من هذه المقامات الا بان يذكره شيئا مثل ان الانسان كان غافلا عن
صورة امراة فيلقي الشيطان حديثها في خاطره قال امين الاسلام الطبرسي في الآية
المذكورة دلالة على ان الشيطان لا يقدر على اكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه
عقاب المدعو فحسب ومحاربة الانسان للشيطان عبارة عن كفه نفسه عن طاعته
واجابته الى ما يدعوه اليه وتسويله له وذلك انما يكون بتوفيق الله ونصرته على فعل
الطاعة وترك المعصية وعدم الالتفات الى ما يلقيه اليه الشيطان من خطراته فانه
بذلك يقهره ويغلب ومما يطرد اللعين عن الانسان ذكر الله تعالى كما ورد عن النبي صلعم
ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه والخطم
من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم انفه وفمه وعنه صلعم ان الشيطان ليجثم على
قلب بني آدم له خرطوم كخرطوم الكلب اذا ذكر العبد الله عز وجل خنس اي رجع على
عقبيه واذا غفل عن ذكر الله تعالى وسوس وعن ابن عباس ان الله تعالى جعل

معاصيهم وانما عليه
عقاب الدعوة

الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم قيل وجريانه اما حقيقي فانه لطيف من نار لا يمتنع
سريانه كالدم او مجازي لكثرة وسوسته وعلاجه سد المجاري بالجوع وقيل انه يلقي
الوسوسة في مسام لطيفة فتصل الى القلب وقيل معنى جريانه مجرى الدم انه لا يفارق
ابن آدم ما دام حيا كما لا يفارقه دمه وهذا على ضرب المثل والجمهور حملوه على ظاهره
قالوا ان الشيطان جعل له هذا القدر من التطرق الى باطن الآدمي بلطافة هيئته فيجري
في العروق التي هي مجرى الدم الى ان يصل الى قلبه فيوسوس على حسب ضعف ايمانه وقلة
ذكره وكثرة غفلته ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه الى باطنه بقدر قوته ويقظته
ودوام ذكره واخلاص توحيده وقيل ان ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت
بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب
زدني فقال لا يولد لولد آدم ولد الا ولد لك عشرة فقال رب زدني فقال تجري منهم
مجرى الدم فقال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال
والاولاد فشكى آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه
عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك
ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال ٢ لا احجب
عن احد منك التوبة ما لم يغرغروا والغرغرة تردد الروح في الحلق وفي الكافي
بسند صحيح عن احدهما عليهما السلام قال ان آدم عليه السلام قال يا رب سلطت الشيطان علي
واجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا فقال يا آدم جعلت لك ان من هم من ذريتك بسيئة
لم تكتب عليه فان عملها كتبت له سيئة ومن هم منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له
حسنة وان عملها كتبت له عشرا قال رب زدني قال جعلت لك ان من عمل

الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال

منهم

التوبة وبسطت لهم التوبة
منهم سيئة ثم استغفر غفرت له قال يا رب زدني قال جعلت لهم لكل ان من عمل منهم سيئة
ثم استغفر غفرت له قال يا رب زدني قال جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة
حتى تبلغ النفس هذه قال يا رب حسبي هذا وقوله فقد وكلني اي الجأني ومنه
وكلت امري الى فلان اي الجأته اليه واعتمدت فيه عليه كذا في نهاية ابن الاثير و
في القاموس وكل الامر اليه وكلا ووكولا سلمه وتركه وحيث ظرف المكان بمنزلة
حين وهو ظرف الزمان ويجوز ان يكون مستعارا للزمان وهو على المشهور من
اكثرهم مبني على الضم اضيف الى الجملة كما في قولك قعد زيد حيث قعد عمرو وام الى
المفرد كما في حيث النصب والحرمان اما على الاول فلمشابهته بالظروف والغايات
في حذف المضاف اليه لان الجملة المضاف هو اليها لما كانت مؤولة الى المفرد كانت كانها
محذوفة واما على الثاني فلان اضافته الى المفرد لما كانت نادرة وكالنادر كالمعدوم
حكما حكموا عليه بالبناء واجروا عليه حكم الاغلب والاكثر خلافا لبعضهم حيث ذهب
الى انه في هذه الصورة معرب لانتفاء ما يوجب بناءه على الاول حيث هنا مضموم
وعلى الثاني مجرور والنصب التعب ومنه فاطمة بضعة مني ينصبني ما انصبها اي يتعبني
ما اتعبها والحرمان مصدر حرمه الشيء حرمانا بالكسر منعه والمحروم الممنوع من الخير
ووجه ظ فان عداوة الشيطان للانسان بالجبلة والذات فاذا وجد معاونا و
هو النفس الامارة بالسوء غلب عليه وظفر به خاصة عند خذلانه تعالى وتركه
نصره فيأسره ويستعبده ويستخدمه في مراداته المشاكلة لافعاله القبيحة واعماله
الشنيعة فتصير تلك الاشياء عادة للانسان وجبلة فيه وطبيعة ثانية فتصير النفس
الناطقة التي هي جوهرة شريفة ودرة نفيسة شيطانا فتكون من اهل الكبر محشورة
مع الشياطين محترقة بنار الجحيم مشاركة لهم في عذاب الجحيم فنعوذ بالله من

الشيطان الرجيم **الهي اتراني اتيتك الا من حيث الامال ام علقت باطراف حبالك الا حين باعدتني** حرف النداء محذوف كما في يوسف اعرض عن هذا يعني اخبرني يا الهي عن حالي هل اتيتك دون وقت الامال وكلمة ام متصلة ويكون لطلب تعيين احد الامرين وعلامتها ان تكون معادلة لهمزة الاستفهام كما في قولك ادبس في الاناء ام عسل ويجوز ان تليها الجملة والمفرد بخلاف المنقطعة اي اخبرني اي الفعلين كان واقعا والهمزة لانكار الفعل اي لم يقع شيء منهما ولكن ما كان ينبغي عدم وقوعها وهذا معنى التوبيخ والتنبيه على الخطاء و تزجر عما كانت تفعله فيما مضى وفي هذا الاستفهام تقرير بمعنى التحقيق والتثبت فان عدم وقوعها امر ثابت محقق وانكار بمعنى انه ما كان ينبغي ان يكون ما كان ويوجد في بعض النسخ لفظة الا بعد قوله اتيتك وقوله باطراف حبالك والاظهر عدمها لانه عليه السلم في مقام الاعتراف بعدم رجوع النفس عن المعاصي والذنوب والاقرار بعدم انفلاعها من المساوي والعيوب وفي صدد توبيخها وتهديدها بانها مع كونها ذات امال وذنوب لا تاتي اليه لاجل الامال بل تاتي غيره ولا تعلق باطراف حباله حين تباعدها ذنوبها عن دار الوصال بل لا ترجع ولا تتوب عما صدرت عنها من الذنوب ولا تتنبه على قبائح اعمالها ومتابع افعالها وهذا من خصايص النفس الامارة واما على النسخة الاخرى فلعله اشارة الى مقام النفس اللوامة بانها لا تاتي الله الا من جهة الامال ولا ترجع اليه الا وقت البعد عن دار الوصال واما في غير هاتين الحالتين فلا وهذا ايضا قبيح مذموم

واجب

دونه عن دار الوصال

للتوبيخ

واجب تركه بل ينبغي عبادته والنظر مقطوع عن جلب النفع ودفع الضر كما اشار اليه علي خير البشر ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك والاولى ان يكون اصل الكلام صادرا عن اللوامة واللوم فيه متوجها الى الامارة وكلمة من تعليلية مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا وقوله بعضي حيا ولفظي من مها وقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب اي لمكان الامال والحبل الرباط والرسن والعهد والذمة والامان والجمع الحبال قوله تعالى فاذا حبالهم و عصيهم يخيل اليه انها تسعى وانما اسند التعلق الى اطراف الحبال دون نفسها اظهارا للعجز والقصور والمراد بها هنا التوبة والانابة والندامة على ما مضى ونية ترك المنهيات وفعل المامورات فيما ياتي من زمان التكليف فانها اسباب اذا علق المذنب باطرافها توصله الى دار الوصال وتقربه الى من هو منتهى الامال والدار محل يجمع البناء والعرصة ففي الكلام استعارة تصريحية او تشبيه للمعقول بالمحسوس فان دار وصاله تعالى عبارة عن محل الزلفة لديه حيث تعالى قوله يغشى رحمته وفضله وكرامته الدائمة الذي لا يتغير صاحبه بعلة القهر ولا يزول عنه بالستر والحجاب فهو كناية عن القرب منه والرفعة عنده بواسطة نيل الثواب تشبيها بالقرب المكاني وليس المراد به الملاصقة في الاماكن ولا بالوصال اتصال شيء بشيء كما يتوهمه المجسمة ومن يحذو حذوهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد التبتل والانقطاع الى الله والتجافي عن دار الغرور

والترقي الى عالم النور والانس بالله والوحشة عما سواه وتصيير الامور هماً واحداً بجعل الفكر مستغرقاً في اسرار الملكوت وقصر الجوهر الى اجلال انوار الجبروت فان العارف اذا جلس متخليا بربه يلقى ذلك راحة لنفسه وفراغا لسره ودعة لعقله وطمانينة لقلبه ونورا مشرقا قد جلله وتاج لها تكلله وصار جليسا لربه ودثار الخالقه ومقترحا على دارقه ومنادما لمالك دار الفنا ودار البقا ثمرتها مجضرة سلطان السما وهو شوق نفسه في اوقات البكا والدعا اليه تعالى كما شوق نفس المريض الى العافية والشفا والعطشان الى الدبيد الشرب والما

قيل لراهب ما اصبرك على الوحدة قال انا جليس ربي اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه وشئت ان اناجيه صليت وفي كتاب التوحيد عن الصادق عليه السلام ان روح المؤمن لاشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها وفي مصباح الشريعة عنه ع العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا اليه والعارف امين وذايع الله وكنز اسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا ولا مونس له سوى الله ولا نطق ولا اشارة ولا نفس الا بالله من الله مع الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله متزود والمعرفة اصل فرعه الايمان وعن العسكري ع من انس بالله استوحش من الناس وسال الصادق ع ما بال المتهجدين احسن الناس وجها قال لانهم خلوا بالله سبحانه فكساهم من نوره وعنه ع عن ابيه قال كان فيما اوحى الله الى موسى بن عمران كذب من زعم انه يحبني فاذا جنه الليل نام يابن عمران لو رايت الذين يصلون لى في الدجى

وعلامة الانس بالله الوحشة من الناس

وقد

وقد صلّت نفسي بين اعينهم يخاطبوني وقد جليت عن المشاهدة ويكلموني وقد غرضت عن الحضور يابن عمران هب من عينيك الدموع ومن قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ثم ادعني في ظلم الليل تجدني قريبا مجيبا ومن سيد الساجدين ع في مناجاة المحبين الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك واخلصته لودك ومحبتك وشوقته الى لقائك وارضيته بقضائك ومنحته بالنظر الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك وقلاك وبواته مقعد الصدق في جوارك وهذا الكلام منه عليه السلم اشارة الى الجنة العقلية التي للمقربين وهي جوار الله وحضرته كما اشار اليها بقوله سبحانه ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا يبعد ان يراد بدار الوصال هذه الجنة والمجاورة قال صاحب عرايس البيان وصف الله سبحانه بقوله هذا منازل المتقين الذين اقبلوا على الله بنعت المعرفة والمحبة وخرجوا مما دونه من البرية فتلك المنازل عالم الشهادة ومقاماته العندية جنانها رفارف الانس وانوارها انوار القدس اجلسهم الله على بساط الزلفة والمداناة التي لا يتغير صاحبها بعلة القهر ولا يزول عنها بالحجاب ولذلك سماه مقعد الصدق اى محل كرامة دائمة وقربة قائمة ومواصلة سرمدية وزلفة ابدية انتهى وسئل ابو جعفر الشامي عن الغريب فقال الذي يطلبه رضوان في الجنة فلا يجده ويطلبه مالك في النار فلا يجده ويطلبه جبرئيل في السموات فلا يجده ويطلبه ابليس في الارض فلا يجده فقال له اهل المجلس وقد انفطرت قلوبهم يا ابا جعفر فاين يكون هذا الغريب فقال في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال بعض العارفين من اصحابنا ان هؤلاء الاصفياء وان كانوا من جهات هوياتهم العقلية مقربين منه تعالى احبا

العتبة ...

في مقعد الصدق تحت قبة الجبروت ولكنهم من جهة نفوسهم المطيعة لامر الله المسلمة
لحكمه يسرحون في مراتع اللذات ويتنعمون بنعيم الجنان فلارواحهم التي هي عقول
بالفعل جنان معنوية من المعارف والعلوم ولانفسهم جنان صورية من اللذات
والشهوات تنالها من طريق قواها الحسية والعملية من اكل وشرب ونكاح
وغيرها جزاء بما صبرت في الدنيا من لذاتها وحبست عنه قواها من شهواتها
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار هذا ولما كانت الذنوب المبعدة عن دار الوصال من دواعي النفس
الامارة بالسوء وشهواتها البهيمية السبعية من الكبر والحسد والغل و
الغرور والحرص وحب الجاه والمال وما اشكلها ذمها وفرع على الفقرة لما
فبئس المطية التي امتطت نفسي من هواها فان الهوى ما دام متمكنا في ارض
النفس لا يمكن حسم مواد هذه الآفات عنها راسا بل كلما دفعتها عادت
الى ما كانت اولا والا لزم تخلف المعلول عن علته التامة والمطية فاعل
فعل الذم والموصول بصلته صفة للمخصوص بالذم وهو المطية المحذوفة المعينة
بصفة المطية المذكورة لان اللام فيها للعهد الذهني وهي لواحد غير معين يصير
معينا بذكر المخصوص ففي الكلام تفصيل بعد الاجمال فيكون اوقع في النفس ومن
هواها بيان للمطية المخصوصة بالذم هو المخصوص به حقيقة لانه لما قال فبئس
المطية واجمل فكانه سئل عنها وقيل ما هي فقال هي هوى نفسي التي امطتته
اي جعلته مطية لها عطى بها في كثير اي تعدو وتسرع ولا يقف الى حد وهذا
لبيان حال الهوى فانه سريع كثير مديد الذهاب بحد لا يقف موقفا اصلا
ولذلك شبهه بالمطية ويليها به والمطية الناقة التي تركب مطاها اي ظهرها

يقال

نسا كلهام

يقال مطا اذا جد في السير واسرع وهذا مقام النفس اللوامة والذم فيه يتوجه الى
الامارة ودل الكلام على ان عليه السلام كان ماقتا عليها نادما عما صدرت عنها
من الذنوب تائبا عما ارتكبته من المساوي والعيوب وهذا من اجل المقامات
واشرف الصفات واحسن السمات روي ان عابدا عبد الله سبعين عاما
صائما نهاره قائما ليله فطلب الى الله حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه فقال
من قبلك اتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله اليه ملكا
فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازديت فيها على نفسك خير من عبادتك التي
مضت تذنيب توبيخ النفس ومعاتبتها باب عظيم في ابواب المرابطة في سبيل الله
ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمس المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة
ثم المعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال الانسان مع نفسه
حاله مع شريكه اذا اسلم اليه مالا للتجربة فالعقل هو التاجر في طريق الآخرة
ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بها فلاحها قد افلح من زكيها فالعقل يستعين با
النفس في هذه التجارة اذ يستخيرها فيما يزكيها كما يستعين الانسان بشريكه و
كما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا
ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه رابعا ويعاقبه خامسا فكذلك العقل يحتاج
الى هذه المقامات الخمس الاول المشارطة وهي ان يشارط النفس اولا فيوظف
عليها الوظائف ويامرها بسلوك طريق ويرشدها اليه ويحرم عليها غيره كما
يشترط التاجر على شريكه الثاني المراقبة وهي ان لا يغفل عنها لحظة فلحظة
عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة فان الانسان ان غفل

فان للعارفين في سبيل الله مع

ليستجرها في

عن نفسه واهلها لم يرضها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين
اذا انفرد بمال سيده الثالث المحاسبة وهي ان يحاسبها بعد الفراغ من العمل
ويطالبها بالوفاء لها بما شرط عليها اولا فان هذه تجارة ربحها الفردوس
الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها
بالنسبة الى نعيم الآخرة فلا ينبغي ان يترك مناقشتها في ذرة من حركاتها
وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة
لا عوض لها يمكن ان يشترى به كنز من كنوز الآخرة لا يتناهى نعيمه ولا ينفد
معينه قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح بنفسه ويقول
لها اي نفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس مالي ووقع
الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد امهلني الله فيه ولو توفاني
لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسب انك توفيت ثم
رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه والرابع المعاتبة و
التوبيخ وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد
امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها
المعاتبة والتوبيخ ان يعد على النفس عيوبها ويذكر لها ما هي عليه من الجهل في
ارتكاب المعاصي وانحرافها عن سلوك سبيل الله لتذل وتنكسر وتضعف
سورة شهوتها وتستعد بذلك الى استنزال رحمة الله تعالى ورافته قال
بعض العارفين النفس شرود جموح فان اهملتها لم تظفر بها بعد ذلك وان
لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة واللائمة كانت نفسك هي النفس اللوامة
الخامس المعاقبة والمجاهدة وذلك اذا راى نفسه قد قارفت معصية

ولحظاتها بدل

او

او همت بها فينبغي ان يعاقبها بالتضييق عليها في الامور المباحة ويأخذها بالصبر
عنها واذا راها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد عاقبها
ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات وواها لها ما سولت لها ظنونها
ومناها اي تلهفا او توجعا او تعجبا فان واها في الاصل من الاصوات
الجارية على لفظ الانسان ثم نقل الى باب المصادر ولزمه المصدرية من
غير ان يصير اسم فعل فحكمه حكم المصادر وهو للتعجب وفي الحديث من ابتلي فصبر
واها واها قيل معنى هذه الكلمة التلهف وقد توضع موضع الاعجاب بالشيء
يقال واها له وقد ترد بمعنى التوجع وقيل التوجع يقال فيه اها ومنه حديث
ابي الدرداء ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم ان يكن خيرا فواها
واها وان يكن شرا فاها اها وفي الكتب الادبية في افعال التعجب واها كلمة
تستعمل في التعجب منصوبة على المصدرية ولم يجيء فعلها عند الاكثر وقال الجوهري
تعجبت عن طيب شيء قلت واها له اي ما اطيبه والتسويل تحسين الشيء وتزيينه
وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله يقال سولت له نفسه كذا وسول له الشيطان
اغواه وفي التنزيل بل سولت لهم انفسهم ما كانوا يعملون وانما اسند التسويل
الى ظنونها ومناها ليدل بذلك على خستها وغرورها بانها تظن امرا وتتمناه
فيصير بذلك عندها محبوبا مستحسنا مقبولا تستاثره فتفعله وهي على غير
بصيرة ويقين منه فانها مثلا تتمنى البقاء في الدنيا ولا بقاء فيها فتاخذ في
تحصيل ما يحتاج اليه من اهل ومال وادوات واسباب وتؤخر التوبة و
الاقبال على الامور الاخروية الى الكهولة ومنها الى الشيخوخة وهكذا من وقت
الى وقت ومن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر ومن سنة الى سنة وهذا انما

فينبغي ان يؤدبها
بتثقيل الاوراد عليها

مجرد تسويل شيطاني وتغرير نفساني مستند الى ظنونها ومناها فانها لليست على
يقين من بقائها الى الكهولة فربما ياتيها موتها من شاهق الغتة فيختطفها وهي
غافلة عنه غير مستعدة له مستغرقة في الدنيا وامورها فتطول حسرتها و
نداماتها في الاخرة وهذا منها غريب عجيب لتوقع هجوم الموت في كل ساعة فانك
لا تدري متى الموت نازل فما عذر من يلهو وقد شاب راسه وقد نفدت
ايامه وهو غافل وتبا لها لجرائتها على سيدها ومولاها التب النقص والخسار و
القطع والهلاك تبت يدا ابي لهب يقال تب يتب تبا فهو منصوب بفعل مضمر
متروك الاظهار اي تبت نفسي تبا لجرائتها بالاقدام على معصية سيدها والا
حجام عن طاعته والمضاف محذوف واضافة الجراة الى الضمير لقصد تعظيم شان
المضاف او اظهار التاسف والتحسر على عدم الطاعة والانقياد امره وا
لتعبير عنه بانه سيده ومولاه ادخل في المقصود والاضافة اخطر الطرق
الموصلة اليه او للتنديم بانه ما كان ينبغي للعبد ان يجترى على سيده وسيما
سيد السادات ومالك الملوك الذي اوجده والغه نعمة ظاهرة وباطنة غير
متناهية ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والجراة بالضم الشجاعة وهي صرامة
القلب على الاهوال وربط الجاش في المخاوف وهي فضيلة بين التهور والجبن فا
لتهور هو الثبات المذموم في الامور المعطبة والجبن هو الفزع من الامور المعطبة
فان قلت كيف يجوز على امام معصوم ان تسول له نفسه ويغلب عليه هواه الى ان
يجترى على سيده ومولاه قلت هذا من باب التعبير بالفعل عن مشارفته اي شارفت
ان تسول نفسي لا ان التسويل قد وقع فهو من قبيل وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم اي شارفوا ان يتركوا ليصح وقوع خافوا

فان تعظيم الظن حال الاعتراف والاعتذار ادعى لقبول التوبة واما اضافة السيد الى الضمير فاما للتهويل او تعظيم شان المضاف

جزا الاشفاء الخوف بعد الموت ومنه قول الشاعر الى ملك كاد الجبال لفقده تزو
وزال الراسيات من الصخر فان المراد شارفت الزوال لا ان الزوال وقع وعلى
هذا فلا بعد في ان يقال ان المعصوم لما كان في قالب بشري وجلباب
ناسوتي وكانت له قوى حيوانية متجاذبة متداعية الى الشر صادفت ان
تسول له المعصية والجراة عليها وليس في ذلك ما ينافي العصمة او يكون هذا من
باب عدهم للاشتغال بالمناجاة ذنبا واعتقادهم كونه خطيئة مع ما
فيه من كمال الخضوع والخشوع له تعالى والاعتراف بالتقصير وكانوا لا
يخرجون انفسهم عن حد التقصير ابدا في جميع الطاعات والعبادات وسيأتي
فيه كلام ابسط او يكون هذا من باب تعليمهم الامة والرعية كيفية الطاعة
والعبادة والخضوع والخشوع هذا والمولى اسم يقع على جماعة كثيرة والمراد
به هنا اما الرب او المالك او المنعم او المعتق بالكسر او السيد فالعطف تفسيري
ولما تنبه لسوء حاله وشناعة ماله وذمائم افعاله وقبائح اقواله واستشعر
منه خوفا وندما عما كان منه رجع الى قرع باب الرجا والحرب من كثرة الا
هوا فقال الهي قرعت باب رحمتك بيد رجائي وهربت اليك لاجيا من فرط اهوائي ما لي
سوى قرعي لبابك حيلة فلان رددت باي باب اقرع القرع الدق والضرب
قرع ناقته ضربها بسوطه ومنه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب ومنه من قرع الباب ولج ولج ومنه ما ورد في الخبر من
كثر قرع الباب يفتح له والرجا بالفتح والمد حالة نفسانية موجبة لفرحها
بسبب توقع امر مطلوب مظنون حصوله ويقال لجات الى فلان اذا استندت
اليه واعتضدت به والفرط من افرط في الامر اذا جاوز فيه الحد اي من

٢ وارتفاع الضرم
٣ التسول م

كثرة اهوائي وتجاوزها الحد وبيد رجائي متعلق بقرعت وفيه استعارة با
لكناية وتخييل وكذا في تشبيه الرحمة بالنفائس المصونة في دار مغلق بابها ا استعارة
واثبات الباب تخييل والقرع ترشيح والبواب الديار كالفاتح لباب الرحمة هو الخا ظ
جلت عظمته وعمت رحمته ومن فرط اهوائي متعلق بهربت والاضافة لامية
واليك متعلق بلاجيا وهو منصوب على الحالية من ضمير المتكلم اي وليت عنك
مستندا اليك ظهري ومعتصما بك تهري فتشبيه الاهواء المفرطة بالاعداء المهلكة
والهرب منهم والالتجاء الى الله تعالى استعارة بالكناية وترشيح وفيه دلالة
على غالبية تلك الاهواء الطاغية ومغلوبية النفس الضعيفة وافتقارها في
الغلبة عليها وجعلها منقادة تحت قلم العقل الى اعانة الله تعالى ونصرته والا
عتصام بحضرته وعلقت باطراف حبالك انامل ولائي محبتي اياك فالاضافة لامية
والاضافة مكنية وتخييلية وترشيحية حيث شبه الولاء بالشخص الانساني ثم
اثبت له الانامل والعلاقة او عبوديتي او معتقيتي لك لانك منعمي شرعا ولم
تتبرء من ضمان جريرتي وليس لي وارث سواك والانملة رؤس الاصابع وفيه
في اسناد العلاقة على الاطراف نوع اشعار بالعجز والقصور كما سبق في نظيره
والولاء بالفتح اصله القرب والدنو ويطلق على ولاء العتق وهو تقرب احد الشخصين
بالآخر على وجه يورث الارث بغير نسب ولا زوجية وفي اطراف حبالك استعارة
مصرحة وترشيح او تخييل ولما اعترف بمساويه واقر بذنوبه ومعاصيه ثم التجا
الى الله قارعا باب رحمته عالقا باطراف حباله وهو تعالى حث على التوبة والكرم
وكرمه وكتب على نفسه الرحمة فقال توبوا الى الله جميعا ان الله هو التواب
الرحيم ان الله يغفر الذنوب جميعا فرع على ذلك قوله فاصفح اللهم عما كان

ايما اجرمته

اجرمته من زللي ايماء على الاعتراف بالذنوب والاقرار بالمعاصي والعيوب موجب وخطائي
لغفرانها سبب لكتمانها باعث لسترانها ففي الكافي عن الباقر عليه السلام اما
والله ما اراد من الناس الا خصلتين ان يعترفوا بالنعم فيزيدهم وبالذنوب
فيغفر لهم وعنه عليه السلام والله ما ينجو من الذنوب الا من اقر بها وقال الصادق عليه السلام
والله ما خرج عبد من ذنب الا بالاقرار وفي الاقرار به خمس فوائد الانقطاع
الى الله والانكسار للقلب وفيه من الفضيلة ما لا يخفى ان الله عند المنكسرة قلوبهم
وربما يحصل عنده رقة القلب وهو دليل الاخلاص وعنده تكون الاجابة وربما كان
سبب البكاء وهو سيد الآداب الخامس موافقة امر الباقرين عليهما السلام والصفح
العفو والتجاوز واصله من الاعراض بصفحة الوجه كأنه يعرض بوجهه عن ذنبه
ومنه الصفوح في صفة الله وهو العفو عن ذنوب العباد والمعرض عن عقوبتهم
تكرما وقيل الصفح هو ان تعرض عن الشيء وتوليه بصفحة وجهك وتبقى له اثرا
ما والعفو ان تعفو فلا تبقي له اثر وقيل العفو ان لا تؤاخذ والصفح الاعراض وعدم
التثريب والاعتراض فهو من حيث شموله لعدم تذكر الجناية كان ابلغ ولعله
لذلك اثره والعفو ابلغ من وجه آخر وهو المحو بالكلية من عفى الرسم اذا ذهب اثره
ومنه رسم عفى من بعدما قد امحى وكلمة ما عبارة عن الذنوب والمعاصي وكان تامة مصدرية
ولفظة من التعليلية اي من الذنوب التي وقعت وصدرت مني لاجل زللي وخطائي
ويحتمل ان تكون مبهمة مضيقة للعموم مفسرة بمدخول من فلفظة من بيانية والزلل
الخطاء والذنب بالعطف للتفسير واصله من زلة القدم اذا ازلقت ولم تلبث ففيه
استعارة مصرحة والتشبيه للمعقول بالمحسوس وقال الزمخشري هو نوع من انتقال
الجسم من مكان الى مكان يقال زل عن مكانه زلا من باب ضرب تحي والاسم
الزلة بالكسر والزلة بالفتح المرة ثم استعير للزوال عن الحق والصواب والخطاء

مهموزا بفتحتين ضد العمد وهو ان تفعل شيئا من غير ان تقصد فعله وقصده دفع
عن معنى الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل انه العدول عن الصواب
بان يريد غير ما يحسن ارادته فيفعله وهو الماخوذ به او يريد ما لا يحسن فعله
ويتفق منه خلافه فهو مخطئ ارادة مصيب فعلا وهو مذموم بقصده غير محمود
بفعله وقد يطلق على المعصية وان كان فاعلها متعمدا من حيث انها ضد
الصواب والخطا الذنب والاثم يقال خطا في ذنبه خطا اذا اثم فيه واقلني اللهم
من صرعة ردائي الصرعة بضم الصاد وفتح الراء الذي يصرع الناس ولا يصرعونه
وبفتح الصاد وسكون الراء مصدر صرعه اذا رماه والقاه على الارض و
منه المصروع وهو المختل الفاسد العقل لمرض يعرض له في العقل والفكر فيوثر
اضطرابا كالجنون فيلقيه على الارض والعامة يزعمون ان الشيطان يتخبطه
فيصرع وبعضهم يظنون ان الجن عشقه فيختلط عقله والرداء بالمد معروف و
هو الثوب او البرد الذي يضعه الانسان على عاتقه وبين كتفيه وفوق ثيابه
شبه بالخطيئة والذنوب والاثام والعيوب مبالغة في كثرتها واحاطتها واشتمالها
وغلبتها من قبيل قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته او اشعارا
بلزومها وعدم انفكاكها من باب حديث صاحب الدعاء جعلت له الفداء من
اراد البقاء ولا بقاء فليخفف الرداء فالاستعارة تحقيقية تصريحية او يكون من
الردى بالقصر الهلاك كما يوجد في بعض النسخ واراد به هنا الوقوع في الاثم فانه
يوجب الهلاك الابدي والشقاء السرمدي والاضافة من اضافة الصفة الى الموصوف
او لامية اي اقلني من ذنوبي واثامي الصارعة والاول اوفق بالفقرة الماضية
تلك والتالية انك سيدي ومولاي تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة فان

ولكن يقع له خلاف ما يريد او يريد ما لا يحسن فعله

العبد

العبد اذا جنى خطا فديته على سيده ومولاه فكيف اذا كانت الجناية بالنسبة
الى السيد وبالاضافة الى المولى وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة القبلية وانك بحذف
حرف الجر وهو قياس مطرد ويقال لما كان مضمون الخبر مظنة للتردد والانكار
حسن فيه التاكيد والقول بان المخاطب به هو الله تعالى وهو لا يتردد في
سيادته ومولويته كيف وهو سيد السادات ومولى الموالي يجاب بان امثال
هذه الخطابات من قبيل اسمعي يا جاره واكثر ما يخاطب الله به العباد مما
فيه لنا كيس من هذا القبيل وقد ذكر الزمخشري وعبد القاهر ان له فوايد
اخرى غير دفع الشك ورد الانكار منها الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره و
اظهار كمال العناية به كما في انا فتحنا وانا اعطيناك وكم مثلها والمولى اسم يقع
على جماعة كثيرة الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع
والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمنعم عليه والاولى بالتصرف
ومنه من كنت مولاه فعلي مولاه اي من كنت اولى منه بنفسه فيضاف كل واحد الى
ما يقتضيه المقام وسياق معنى السيد ومعتمدي لاني لا اعتمد الا بقولك ولا اثق الا
بصفحك واقالتك لا التفت الى شيء من الوسايط بيني وبينك فاوردت رجائي
عليك مسترفدا فضلك متلبسا بالاعتماد على وفائك بما وعدت الراجين لك من
انجاح مطالبهم واسعاف ماربهم قالوا من عرف الله بجوده وكرمه وعناه قصده
للرجاه وعلامة رجائه رغبته في عبادته وحرصه لطاعته والاعتماد على فضله وحرمه
وعدم الالتفات الى غيره واليه اشار بقوله ورجائي لاني لا ارجو الا فضلك وكرمك والرجاء
قيل ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة وقيل تعلق النفس بحصول المحبوب في المستقبل و
هو على اقسام رجاء المغفرة مع عدم التوبة عن السيئات ورجاء القبول الحسنات ورجاء
للتفضل والمصدر بمعنى المفعول اي مرجوي ففيه مبالغة كما في قوله وانما هي اقبال و

يتردد

عيوبه ودام الاقامة في جواره و دياره وكان الوهم يزاحم العقل في ذلك زعمًا
منه انه يطرده ويرده ويخيبه عما قصده استبعد منه ذلك فقال الهي كيف تطرد مسكينًا
التجا اليك من الذنوب هاربًا الاصل في كيف ان يسئل به عن الحال اي عن كيفية
الشيء وصفته التي هو عليها وهي هنا للاستفهام لا بمعنى انكار الواقع كما في
قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية بل بمعنى انكار الوقوع و
التعجب منه كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الاية
وفي توجيه الانكار الى كيفية طرده تعالى المسكين الملتجي اليه من المبالغة ما
ليس في توجيهه الى نفس طرده بان يقال لا تطرد مسكينا التجا اليك لان
كل موجود يجب ان يكون وجوده على الطريق البرهاني وهي اعني كيف في محل
النصب على التشبيه بالحال او الظرف اي على اي حال او في اي حال وصفه يطرد
مسكينًا والطرد الدفع والابعاد طردت الرجل طردًا اذا ابعدته فهو مطرود
وطريد وطردته اي دفعته والمسكين من المسكنة وهي الذلة والافتقار وهو مفعيل
من السكون ويطلق على من لا كسب له ولا مال يكفي مؤنته وهل هو اسوء حالا
ام الفقير خلاف والحق انه اسوء حالا لما ورد في الصحيح عن ابي عبد الله الصادق عم
انه قال الفقير الذي لا يسال الناس والمسكين اجهد منه والبائس اجهدهم و
المراد به هنا من لا حسنة له ولا قدرة له على كسب حسنة بل هو مغمور في بحار
الذنوب مستور في حجب العيوب فهو اسوء حالا من الفقير ولذا اثره عم عليه وفي
الكلام استعارة تحقيقية تصريحية او استعارة تمثيلية وجملة التجا اليك
منصوبة محلا صفة له والالتجا الاستناد والاعتصام يقال لجات الى فلان و
التجات وتلجات اذا استندت اليه واعتصمت به اي التجا الى رحمتك و
مغفرتك

على حال من الاحوال فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده مع

ومغفرتك وعفوك وصفحك بحذف المضاف وهاربًا حال من ضمير الفاعل و
من الذنوب متعلق به والهرب الفرار وهما مترادفان وفرار العبد الى الله تعالى على
مراتب فاولها الفرار من بعض اثاره الى البعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته
كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا
به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله تعالى وافعاله
ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يغني العبد عن مشاهدة الافعال
ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات
فيفر من بعضها الى بعض كما ورد من زين العابدين عم اللهم اجعلني اسوة من
قد انهضته بتجاوزك عن مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر
سخطك والسخط والعفو صفتان فاستعاذ باحدهما من الاخرى الثالثة
ان يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى
لا ملجا من الله الا اليه وكالوارد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك
ولك واليك اي منك بدو الوجود وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه
ثم اكد ذلك بقوله لا ملجا ولا منجا ولا مفر منك الا اليك وقد جمع الرسول
صم هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى فاسجد واقترب فقال في
سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك
فاستعاذ اولا ببعض افعاله من بعض ثم ترقى الى ملاحظة الذات فاستعاذ
به منه فهذه ثلث مراتب للفرار الى الله تعالى والمرتبة الثالثة هي اول مقام
الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة في لجة الوصول درجات لا تتناهى
كذا نقل عن بعض العارفين ولا يخفى ان ما نحن فيه من القسم الاول اذ المراد

مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته من بعض ثم ترقى الخ

انه فر من عقاب الذنوب وهو اثر الغضب الى كنف حمايتك وهو اثر الرحمة
فتامل وعلى هذا التقدير فكلمة من ابتدائية ولفظ هرب محذوف اى هرب من
عذابها او خوفها اليك وهذا التقدير متحتم اذ لا معنى للهرب من ذات
الذنوب فان قلت هلا حملت من على معنى التعليل ليكون المعنى هرب اليك
من اجل الذنوب قلت تعين كونها ابتدائية مقابلتها بالى قال الرضى وتعرف
من الابتدائية بان يحسن في مقابلتها الى نحو تبرات من فلان الى فلان
على انه قال من التعليلية نحو لم اتك من سوء ادبك كانها ابتدائية لان ترك
الاتيان حصل من سوء الادب انتهى وتشبيه الذنوب بالعدو الغالب الجامع
الاهلاك والاضرار استعارة مكنية والهرب منه الى الله ترشيح ثم انه
التفت بعدما استعمل من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل كيف تطردني في الكلام
واستعطافا بالمسكنة والذلة واشعارا بان المسكين الملتجي لا ينبغي طرده
فهو على طريقة قوله: الهي عبدك العاصي اتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا فان
تغفر فانت لذاك اهل وان تطرد فمن يرحم سواكا فان في ذكر المسكنة وكذا
الاسترشاد والظما من استحقاق الرحمة وترقب الشفقة ما ليس في تطردني وتخيبني
وتردني وهو: ام كيف تخيب مسترشدا قصد الى جنابك ساعيا خاب يخيب خيبة
حرم وخيبه الله لم ينل ما طلب وفي المثل الهيبة خيبة ويقال خيبة لزيد بالرفع
والنصب دعاء عليه ومنه الحديث خيبة لك ويا خيبة الدهر والرشد بالضم
والسكون وبفتحتين والرشاد الهدى والاستقامة وقال الواحدي الرشد اصابة
الخير وهو خلاف الغي ومنه ارشاد الضال اى هدايته الطريق وتعريفه

قال

قال الراغب الرشد عناية الهية تعين الانسان عند توجهه في اموره فتقويه
على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده واكثر ما يكون ذلك في الباطن نحو قوله تعالى
ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالمسترشد من يطلب الرشد
والهداية ساعيا وجاهدا فهدايته على الله تعالى واجب لقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقصد الشيء وله واليه من باب ضرب طلبه بعينه وقصدت
قصده نحوت نحوه والجملة في محل النصب على الوصفية والسعي العدو والمبالغة في
الذهاب والمشي والكد فيه والجد والتصرف في كل عمل ويعدى بالمعنى الاول بالى
وبالمعنى الثاني باللام وفي محكم اللغة السعي الكسب وكل عمل من خير او شر سعي وقال
الفيومي في المصباح اصل السعي التصرف في كل عمل وعليه قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وساعيا منصوب على الحالية او التمييزية فتشبيه الخاطر جل عن ذلك
بالملك الكريم المنعم النعيم استعارة بالكناية واثبات الجناب وهو الفناء والرحل
له تخييل وترشيح والمراد انه نزه سره عما يشغله عنك وتبتل بسرائره اليك
لترشده مراشد الحق واليقين وينظمه في سلك الاولياء المتقين ام كيف ترد ظمانا ورد
الى حياضك شاربا الرد المنع يقال رده عنه ردا وهو كناية عن الحرمان ومنع المعروف
ومنه رد السائل اذا حرمه ولم يعطه شيئا والظما شدة العطش ومنه قول القاضي
عبد العزيز الجرجاني: يقولون لي فيك انقباض وانما راوا رجلا عن موقف الذل
احجما اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى ولكن نفس الحر تحتمل الظما والظمان
كالعطشان وزنا ومعنى ويقابله الريان وفيه استعارة تحقيقية تصريحية حيث
شبه العاصي المحتاج الى الرحمة والغفران والمغفرة بالظمآن ثم ذكر المشبه به و
اريد به المشبه وتقول وردت الماء اورده ورودا اذا حضرته للشرب ويقال
ورد زيد علينا اى حضر واصل الورود بلوغ الابل الماء وموافاتها اياه ثم

استعمل في غيره مجازاً قال في الاساس ورد عليه امر لم يطقه واوردت على ما
عني وهذا يدل على انه مستعمل لعلى فلعله عم ضمنه معنى التوجه فعداه بالى
الحوض معروف وهو ما يجتمع فيه المياه وحياضك بحذف المضاف اى حياض جود
عفوك ومغفرتك ففيه استعارة بالكناية وتخييل والورود ترشيح وشاربًا
منصوبٌ على الغاية اى لتشرب او الحالية اى قاصدًا للشرب كما قالوا في نظيره
في قوله تعالى فتبسم ضاحكا وهو ايضًا من ملائمات المشبه به **تذنيب** كلمة ام
متصلة لطلب التصور ولتعيين احد الامرين مع العلم بثبوت اصل الحكم
وعلامتها ان تكون معادلة لهمزة الاستفهام وقرينة لها كما في قولك ادبس
في الاناء ام عسل ويجوز ان تليها الجملة والمفرد ومنقطعة لطلب التصديق
ولا تليها الا الجملة وهي كبل في الاضراب عن الاول ومثل الهمزة
للشك في الثاني والواقع قبلها اما خبر كقولك انها لقطيعة التي اراها لابل
ام شاة فانك لما علمت انها ابل اعرضت عن هذا الاخبار ثم شككت
في انها شاة او شيء آخر فاستفهمت عنها بقولك ام شاة اى بل هي شاة
واما استفهام كقولك ازيد عندك ام عمرو اى بل عمرو حين تقصد الاضراب عن
الاستفهام الاول بالاستفهام الثاني ثم لما ظهر له انه عز اسمه لا يخيب المسترشدين
القاصدين الحياضه اضرب عنه ثانيا فاستفهم ثالثًا ثم لما علم انه
جل جلاله لا يرد كثيرين الواردين الى حياضه انكر ذلك ايضاً بقوله
كلا وحياضك مترعة في ضنك المحول حاشاك وجنابك وانزهك ان اصفك
بهذه الصفات او انسبك الى تلك السمات فانها صفات واجب تنزيهك عنها
وكلا ردع في الكلام وتنبيه وزجر ومعناه انتبه لا تقل انه تعالى متصف

لها

لها ومنسوب اليها فهو رد على من وهم اتصافه تعالى بها كما سبق اليه الايماء
الا انه عليه السلام لما اضرب عن الاولين خص الانكار بالثالث ولذا قال
وحياضك مترعة مملوة ومنه قوله فبا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان
منه البر والبحر مترعًا واترعت الحوض ملاته **والضنك** الضيق مصدر يستوى في
الوصف به المذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة
ضنكًا ضيقًا والاضافة من باب جرد قطيفة واخلاق ثياب **والمحول** كالمحول
جمع محل وهو الجدب وفي الاصل انقطاع المطر من ارض محل وزمن محل وماحل
والحاصل انه كيف اصفك بهذه الصفات وحياض جودك وكرمك مملوة من مياه
العفو والاحسان والرحمة والغفران في سنهات مجدبة مقطوعة لطرائب العشب
ففي الكلام استعارة تمثيلية او استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية حيث شبه الجود
والفضل والكرم والرحمة والمغفرة والنعم بحذف المضاف في بالمياه ثم اثبت له الحوض و
الاتراع **بشارة** هذا الكلام منه عليه السلام اشارة الى ان خزائن رحمة ربه جل و
عز لا تنفد وبحار مغفرته وفضله لا تنزف فاستوسع اليها المذنب العاصي
والمدبر اللاهي رحمة ربك تعالى ولا تقنط من رحمته ومغفرته ان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم انه يغفر الذنوب جميعًا انه هو الغفور الرحيم وورد في الخبر
عن سيد البشر عليه وآله السلام الله عدد قطرات المطر انه قال ليغفرن الله تعالى
يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان
تصيبه بيان لقول لطاولت لها تشاوفت وحرصت عليها حتى اشرأبت وظهرت
وجهى وتصديت لذلك ليتذكرني وفي الكافي عنه عم لولا انكم تذنبون وتستغفرون
الله لخلق الله خلقًا حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم ولكن لا تدلهن برجوها

من عمل خالص معد لحصولها بترك الاهمال فى تحاصيل المزايا لهذا الاستعداد
او لا تنظر الى حال الانبياء والاوصياء والاولياء وجهادهم فى الطاعات وصرفهم
العمر فى العبادات لبلهم ونهارهم اما كانوا يرجون الله عفوه ورحمته وحسانه
مغفرته بلى انهم كانوا اعلم بسعة رحمته وارجى لها ولكنهم علموا ان رجاء المغفرة
من دون سابقة العمل غرور محض وسفه بحت فصرفوا فى العبادات اعمارهم
وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم فاياك ان يغرك الشيطان ويثبطك عن
العمل ويقنعك بمحض الرجاء ومجرد الامل وقد عرفت ما قيل للسيد بالصادق
عليه السلم وما قال عم فى جوابه فتذكر واعلم انه قد جاء فى الخبر عليه السلام ان
الله تعالى ينزل ملكا الى السماء الدنيا كل ليلة فى الثلث الاخير وليلة الجمعة
فى اول الليل فيامره فينادي هل من سائل فاعطيه سؤاله هل من تائب فاتوب
اليه هل من مستغفر فاغفر له يا طالب الخير اقبل ويا طالب الشر اقصر فلا
يزال ينادي بها حتى يطلع الفجر فاذا طلع عاد الى محله من ملكوت السماء حدثني
بذلك ابي عن جدي عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ذلك اشار عم بقوله
وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّالِبِ وَالوَاغِلِ الباب مدخل الشيء واصله مداخل الابنية كباب
المدينة والدار ثم تجوز فيه فاستعمل فيما يتوسل به الى الشيء ومنه انا مدينة
العلم وعلي بابها يعني به يتوصل الى العلم وابواب المغفرة هي الاسباب التي
بها يتوصل اليها اي باب رحمتك وفضلك واحسانك وجودك وامثالها
بحذف المضاف ففيه مكنية وتخييل وترشيح او شبه الخاطر حال طوله وعم نواله با
لنعم الجواد المحسن الكريم فاثبت له بابا مفتوحا لطلب الطالبين ودخول ا
لراغبين ليستفيضوا من كرمه وينتفعوا من نعمه جلت نعماؤه وعظمت الاؤه

او

ويثبطك

عن الرضا ص

او يقال بابه تعالى عبارة عما يتوصل به الى تحصيل نعمه من الاسباب اذ كان الباب
فى الاصل كما سبق مدخل الدار الذي يتوصل منه اليها ثم استعير لكل ما يتوصل به الى
شيء وذكر الفتح تخييل او ترشيح ويشبه ان يكون هذا جوابا عما يقال من اين علمت انه
لا يطرد المسكين ولا يخيب المسترشدين ولا يرد الظمآن فقال لان بابه مفتوح للداخلين
وجوده مباح للطالبين هر كه آيد كو بيا و هر چه خواهد كو ببر نيست در انجا
حاجب ودربان دربن دركاه نيست قال محمود الوراق شاد الملوك قصورهم
وتحصنوا من كل طالب حاجة او راغب فارغب الى ملك الملوك ولا تكن
يا ذا الضراعة طالبا من طالب حكى ان رجلا قال لرابعة العدوية اني قد
عصيت الله افتراه يقبلني ان انا انبت قالت ويحك انه يدعو المدبرين عنه
فكيف لا يقبل المقبلين عليه والوغول الدخول فى الشيء ومنه حديث المقداد فلما
ان وغلت فى بطني اي دخلت وقد وغل يغل وغولا وَأَنْتَ غَايَةُ السُّؤْلِ وَنِهَايَةُ
الْمَأْمُولِ ان كان جمع سائل كالقعود والجلوس والفسوق جمع قاعد وجالس و
فاسق فالمراد انه تعالى غاية كل سؤال السائلين بحذف المضاف ونهاية امال
الاملين على ان يكون المفعول بمعنى المصدر كالمفتون فى قوله تعالى بايكم المفتون
وان كان مصدرا كالقفول والغموض والحدوث فهو بمعنى المفعول كالخلق و
الصيد ويوجد فى بعض النسخ المسئول على هيئة المفعول وهو الاظهر لتتوافق
القرينتان والمراد كما سلف ان لكل احد فى حوائجهم مطلوبا حتى ينتهي اليه تعالى
فليس فوقه مطلوب فهو الغاية والنهاية وهذا وان كان خبرا لفظا الا انه
انشاء معنى اي ينبغي لكل احد ان يجعل الله تعالى غاية مطالبه ونهاية مآربه بان
ينوي مثلا باكله وشربه ولبسه وجماعه الى غير ذلك تقوية جسمه على عبادة الله

من حيث انه مستحق للعبادة ولو قال في اول نهاره اللهم ما عملت في يومي هذا من خير فهو في ابتغاء وجهك وما تركت فيه من شر فتركته لنهيك عدّ ناويًا وان ذهل عن
النية في بعض الافعال والتروك وكذا يقول في اول الليله وتجري نية اعمال متصلة
في اولها ولا يحتاج الى تجديد لافرادها وان كان كل واحد منها مباينا للصاحبه
كالتعقيب الواقع بعد النية وبالجملة كل ما كان لله سبحانه من الافعال والتروك
حتى المباحات لو قصد فيها الله تعالى وفعل توسلا الى عبادته فهو تعالى غايته
ولما كان لله عز اسمه مدخلية في كل شيء جواهره واعراضه التي هي من فعله او من
فعل العباد من حيث الخلق والاقدار والتمكين والامر والنهي كان كل شيء صالحًا
لان يكون الله تعالى غايته فلا عتبار اذن بالقصد والملاحظة وبهذا التقرير
يظهر ان الالف واللام في المسئول والمامول للاستغراق الافرادي ويحتمل ان
يكون المراد كما سبق انهم يطلبون منه تعالى حوائجهم بعد ياسهم عن المخلوقين قال
ذرعة بن محمد كان رجل بالمدينة وكانت له جارية نفيسة فوقعت في قلب رجل — ذرعة

واعجب بها فشكى ذلك عند ابي عبد الله ع فقال تعرض لرؤيتها فكلما رايتها
فقل اسئل الله من فضله ففعل فما لبث الا يسيرًا حتى عرض لوليها سفر فجاء
الى الرجل وقال يا فلان انت جاري واوثق الناس عندي وقد عرض لي سفر
وانا اودعك فلانة جاريتي لتكون عندك فقال الرجل ليس لي امراة ولا معي في
منزلي امراة فكيف تكون جاريتك عندي فقال اقومها عليك بالثمن وتضمنه لي وتكون
عندك فاذا انا قدمت فبعنيها اشتريتها وان نلت منها نلت ما تحل لك ففعل
وغلظ عليه في الثمن وخرج الرجل فكنت عنده ومعه ما شاء الله حتى قضى وطره
منها هذا ولما شبه ع النفس في جموحها بالناقة واثبت لها الازمة وهي امر

مخوس

مخوس جعلها مشارا اليها بالاشارة الحسية فقال **الهي هذه ازمة نفسي عقلتها
بعقال مشيتك** هذه مبتدا وازمة نفسي خبره وعقلتها جملة مستانفة كان
المخاطب عز اسمه قال باي شيء عقلتها حتى تسكن وتنقاد لك في امر دينك
ودنياك قال عقلتها بعقال مشيتك او هذه مبتدا وازمة نفسي بدل منه و
عقلتها بعقال مشيتك خبره والعقل الشد والحبس والمنع وعقل البعير يعقل
عقلا شد وظيفه الى ذراعه ومنه العقل لانه يعقل العاقل ويمنعه عن ارتكاب
الامور التي لا ينبغي ارتكابها والعقال الحبل الذي يعقل به البعير ومنه قوله
ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال واضافته الى المشية اضافة
اللجين الى الماء او بيانية بالتشبيه المشية بالمحض لم عقال يعقل الجموح ثم تشبيه النفس — او الامير عم
بالبعير الجامع استعارة بالكناية والازمة والعقل والعقال كلها من ملا
يمات المشبه به وقد سبق ان في العدول عن الزمام الى الازمة ايماء لطيفا الى انها
لا يكفي لها زمام واحد بل لا بد في انقيادها واطاعتها من ازمة متعددة هي تسليط
القوة العقلية على القوى النفسانية المتضادة واهوائها المتنازعة المتداعية
الى الشرور والغرور وجعلها منقادة تحت قلم العقل وذلك انما يحصل بدوام الذكر و
الفكر وقصر النظر في عواقب الامور والفكر عن دار الغرور والتوسل الى عالم النور كما هو من شان
صاحب الدعاء ومن في مرتبته سلام الله عليهم وعقل زمامها بعقال مشية الله
كناية عن تفويض امرها اليه والتوكل في اصلاحها عليه والتبتل عن غيره و
الذهاب بشراشره اليه وفيه دلالة على انها امارة بالسوء مبالغة الى الكثير لولا
ان تداركها رحمة من الله والطافه الخاصة فتوهم الجبر مدفوع ولمشية الله تعم
معنيان احدهما متعلق بالشيء وهو من صفات الذات قديم هي نفس ذاته
سبحانه وهي كون ذاته بحيث يختار ما هو الخير والصلاح وهي نفس علمه الحق

بالمصالح والخيرات وثانيهما متعلق بالمشاء، وهو من صفات الفعل حادث بحدوث
المخلوقات ولا تتخلف المخلوقات عنه وهو ايجاده بحيث انه اياها بحسب اختياره
وليست زائدة على ذاته تعالى وعلى المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث
المنتسبين وهذه اعباء ذنوبي درأتها برحمتك اي ما اشير اليه اشارة عقلية
او حسية فهو امر مبهم تفسره الاعباء فصح الحمل وان دلت باعتبار الابهام
الموضوع وتعين المحمول كما في هذا زيد والحاصل انه لما شبه الذنوب بما له
مقدار وحجم يحتاج الى فراغ يشغله اخترع له الاعباء، وهي امر محسوس مشاهد
فجعلها مشارا اليها بالاشارة الحسية على قياس ما سبق والعباء ضرب من
الاكسية الواحدة عباءة وعباية وقد يقع على الواحد لانه جنس فالاعباء اما
جمع او جمع جمع والمراد به هنا صحائف الاعمال ففيه استعارة تحقيقية تصريحية
او هذه اشارة الى الصحائف وهي المشبه والاعباء بحذف اداة التشبيه هي المشبه به والاضافة
لامية اي صحائف اعمالي كاعباء الذنوب فيكون من تشبيه المعقول بالمحسوس كتشبيه الحجة
بالشمس وتشبيه الذنوب وهي الاعراض الغير المتحيزة بالذات المالئة للمكان ثم اثبات
الاعباء لها وهي الاعباء مكنية وتخييل والقول بتجسم الاعمال على تقدير ثبوته انما هو
في النشأة الاخرة ولعله عليه السلام يشير بذلك الى قوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر
وكل صغير وكبير مستطر وقد ورد في الخبر ان لكل انسان معه ملكان من كتفيه
قلمهما لسانه ودواتهما فمه ومدادهما ريقه وصحيفتهما فؤاده فيكتبان عمله الى مدته
ودرأتها برحمتك مستانفة كان المخاطب جل قدره قال فما تفعل وهذه الذنوب
الكثيرة وان عذابي لشديد قال درأتها برحمتك استئنافية بعضك وكل اما سببية
اوالية او استعطافية والدرء الدفع ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات والحديث

وعفوك ورافتك

بالاجسام المتحيزة بالذات صح

الاخر

الاخر اللهم اني ادرأ بك في نحورهم ويمكن ان يكون هذه اشارة الى الصفات
الذميمة والاخلاق الردية الحالة او الملكة في النفس فان كل ما يدركه الانسان
بحواسه يرتفع منه اثر الى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته وكذا كل
مثقال ذرة من خير او شر يعمله يرى اثره مكتوبا ثمة وخاصة ما رسخ بسببه
الهيئات وتاكدت به الصفات وصار خلقا وملكة فان ذلك مما يوجب خلود
الثواب والعقاب فكل انسان نفسه صحيفة اعماله وهو مكتوم اليوم عن مشاهدة
الابصار وانما يكشف بالموت ودفع ما تردده الشواغل الحسية المعبر عنها بقوله
واذا الصحف نشرت فاذا كان حين ذلك وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة
والسر علانية والخبر عيانا فيقال لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد هذا كتابنا ينطق عليكم انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
فمن كان في غفلة من حساب سره فاذا وقع اثره بصره على ذلك والتفت الى
صحيفة باطنه وصحيفة قلبه يقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها قال الله تعالى كل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة
كتابا يلقيه منشورا اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وعلى هذا فيكون
قوله وهذه اهوائي المضلة وكلتها الى جنابك كالتفسير لما سبق ولما شبه هواه
بالشخص المضل فكانه جعله امرا محسوسا فاشار اليه بما يشار اليه ووكلت فلانا
فكانه جعله الى فلان من باب وعد الجاءه اليه وفوضت امري اليه فجعلته متوكلا و
معتمدا عليه ومنه لا تكلني الى نفسي طرفة عين ووكلتها جملة مستانفة او خبر على
قياس ما سبق من اختها والجناب الفناء والرحل والناحية اي صرفت امرها الى
ناحية لطفك لتتلطف بي وتعينني عليها وتحفظني عن اختلالها اضلالها ففي

لطفك م

الكلام استعارة تمثيلية او مكنية وتخييلية حيث شبه الهوى بالشخص المضل ثم اثبت
له الاضلال وكذا الحال في تشبيه اللطف بالقضاء الواسع او بالشخص القادر على
اصلاح الفاسد وترويج الكاسد بارشاد الضال وصرفه عن الضلال ثم اثبات الجناحين
والجناب له الاستعارات المذكورة ولطفه تعالى علمه بدقايق المصالح وغوامضها
وما دق منها ولطف ثم ايصالها الى المستصلح بالرفق دون العنف وقيل هو تصرفه
في الذوات تصرفا خفيا بفعل الاسباب المعدة لافاضة كمالاتها وقيل هو اجراء
القضاء على وفق الارادة وايصال النفع فيه ويمكن ان يراد به هنا المغيب عن
المشهود وهو ما يقرب به العبد الى الطاعة ويبعد عن المعصية واللطف في اللغة
البر والتكرمة وفلان لطيف بالناس بارٌّ بهم يبرهم ويلطفهم وفي بعض الاخبار
في جواب زنديق اللطف منا على حد اتخاذ الصنعة او ما رايت الرجل يتخذ شيئا يلطف
في اتخاذه فيقال ما الطف فلان فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف اذ خلق
خلقا لطيفا جليلا وركب في الحيوان منها ارواحها وخلق كل جنس متباينا من
جنسه في الصورة لا يشبه بعضه بعضا فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير
في تركيب صورته ثم نظرنا الى الاشجار وحملها اطايبها الماكولة وغير الماكولة
فقلنا عند ذلك ان خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم الحديث
ولما فوض امره اليه واقر بكثرة الذنوب والمعاصي والهوى اخذ في التضرع و
الاستغاثة والدعاء فقال **فاجعل اللهم صباحي هذا نازلا علي بضياء الهدى**
لفظ هذا اشارة الى الصباح الحاضر هي اما بدل عنه او تاكيد له كما في قولك
اخي هذا امير البلد والباء للملابسة وهي مع مدخولها متعلقة بنازلا منصوب محلا
على الحالية من ضمير نازلا والمراد بملابسته للوضوح للهدى وقوعه فيه بان يكون

ظرفا للحسنات والطاعات دون المعاصي والسيئات واضافة الضياء الى الهدى من اضافة
اللجين الى الماء فشبه الهدى بالنور في الدلالة على المطلوب والتقرير وهدى كالنور
ثم قدم المشبه به واضيف اليه كقوله: والريح تعبث بالغصون وقد جرى
ذهب الاصيل على لجين الماء وهذا التشبيه متداول بينهم حتى انهم شبهوا السنة
وكل ما هو علم وهداية بالنور تخيلا منهم انهما مما له بياض واشراق والبدعة
وكل ما هو جهل وضلالة بالظلمة ظنا منهم انهما مما له سواد وظلام والنزول
هنا مجاز اذ الصعود والنزول مستلزمان للحركة وهي من خواص الاجسام والصباح كما
علمت ليس منها ففي الكلام استعارة مكنية وتخييلية ولعله صلوات الله عليه
عبر عن استضاءة الاجسام المقابلة لضياء النير الاكبر في اول النهار الذي هو
عبارة عن الصباح بنزول الضوء منها اليها او هو مبني على كون الضوء جسما متحركا
من المضيء الى المستضيء كما ذهب اليه قوم من الاوائل والاكثرون وان كانوا على بطلانه
الا ان ادلتهم كلزوم كونه ساترا وكون ما هو اشد ضوءا اشد استتارا لا تقوم عليه
حجة فان بعض الاجسام الشفافة غلظته وكثرته موجبة لزيادة ظهور ما خلفه
والقول بان غلظة صفحة من البلور جدا موجبة لما تحتها ستر الا بد على ان
كل شفاف كذلك فان كرتي الهواء والنار وافلاك ما تحت الثوابت مقدارها على
ما بين في الابعاد والاجرام يزيد على خمسة وعشرين الف الف فرسخ ولا تورث
ما خلفه سترا ثم على تقدير جسمية الضوء يجوز ان لا يصل تحته الى حد يستر
خلفه لا بد لنفيه من دليل **والسلامة في الدين والدنيا** بفعل المامورات وترك المنهيات
بجلب المنافع ودفع المضار ومنه ترك الدنيا بل ترك الاخرة فان
الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا و

وهما حرامان على أهل الله تعالى قال صاحب الدعاء وسيد الأوصياء وسند
الأصفياء عليهم سلام الله ما بقيت الأرض والسماء ولقد كان في رسول الله ص
ما يدلك على مساوي الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنها
زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمدا ص بذلك أم أهانه
فإن قال أهانه كذب والعظيم وإن قال أكرمه فليعلم أن الله تعالى قد أهان غيره
حيث بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص
أثره وولج مولجه وإلا فلا يأمن الهلكة فإن الله جعل محمدا ص علما للساعة و
مبشرا بالجنة ونذيرا بالعقوبة وخرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع
حجرا على حجر حتى مضى لسبيله وأجاب داعي ربه فما أعظم منة الله علينا حين أنعم
علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى
استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل ألا تنبذها عنك فقلت اغرب عني فعند
الصباح يحمد القوم السرى ومن طريق العامة والخاصة أنه صلى الله عليه وآله قال
عرض علي ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوما
وأجوع يوما فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك
وعن صاحب الدعاء عم النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما
فيها قال بأبي وأمي ص لما بلغه كلام حكيم من الحكماء كل من تلقاه يشكو دهره
ليت شعري هذه الدنيا لمن قال عم إنما الدنيا لمن طلبها واكتفى فيها بقوت
وكفن فإن بذلك يسلم دينه ودنياه فلا منافاة بين ما طلبه هنا وما روي
عنه سلام الله عليه أن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان

فمن

فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش
بينهما كلما قرب من واحد بعد عن الآخر وهما بعد ضرتان إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى ضرتان صح
دنياك ذلك أن الطالب لأحدهما بقدر توجهه في طلبها وإمعانه في تحصيلها يكون
غفلته عن الأخرى وبعده وانقطاعه عنها وليعلم أن الناس في أمر الدين والدنيا
على ثلاثة أصناف صنف منهم يكون في الدنيا بلا التفات منهم إلى مراعاة الدين وهم
عبد الطاغوت وشر الدواب وصنف يراعون أمر الدين من غير التفات منهم إلى
مصالح الدنيا وصنف متوسط وقوام بين حقيهما وهم عند الحكماء هم الأفضل لأن
لهم قوام أمر الدين والدنيا وقال بعض المحققين من أصحابنا أن ترك الدنيا بالكلية ليس
هو مطلوب الشارع مرغبا في الزهد فيها والتخلي عنها لأن الشارع يراعي نظام العالم باشتراك
الخلق في عمارة الدنيا وبقاها وهو على المصالح التي بها بقاء النوع الإنساني وترك الدنيا
وإهمالها بالكلية يهدم ذلك النظام وينافيه بل الذي يأمر به الشارع الحكيم
القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين التي وردت بها الرسل والوقوف
فيها عند الحدود المقررة في شرائعهم دون تعديها وقد كان رسول الله وعلي عليهما
السلام وجماعة من أكابر الصحابة أميل إلى الطريق التقشف لكن مع مشاركتهم لأهل
الدنيا في تدبير أحوال المدن وإصلاح العالم غير منقطعين عن أهلها ولا متغربين
هذا وهذا عطف على الضياء وسلم يسلم من تاب بقبس لأنه خلص من الآفات النفسانية
والآراء الفاسدة والدقائق الباطلة مثل الكفر والكبر والحسد والنفاق في الدنيا ومن
العقوبة في الآخرة والسلامة لغة الخلوص من الآفات واصطلاحا هيئة تكون بدن
الإنسان في مزاجه وتركيبه بحيث تصدر عنه الأفعال كلها صحيحة سليمة فهي هذا

مرادفة للصبح فيكون اسنادها الى المصباح مجازا والمراد ان يكون صاحبه مستأنساً في
دينه ودنياه والالف واللام فيه عوضان عن الضمير وتقديم الدين على الدنيا اما
للاهتمام او لرعاية الفاصلة والدين في اللغة الطاعة وفي العرف الشرعي هو الشريعة
الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام ولما كان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان
ذلك تخصيصاً من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله صار حقيقة
دون ساير المسميات لانه المتبادر الى الفهم حين اطلاق لفظ الدين وقال
الراغب الاصفهاني الملة كالدين وهما اسمان لما شرع الله لعباده على لسان
الانبياء ليتوصلوا بها الى جوار الله والفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي الذي
تستند اليه نحو اتبعوا ملة ابرهيم حنيفا ولا تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى
احاد امة النبي ولا تستعمل الا في جملة الشرايع دون احادها فلا يقال للصلوة
ملة الله كما يقال دين الله انتهى وفي عدم اضافتها الى الله نظر قد بيّنا
وجهه في رسالتنا المسماة بجامع الشتات فليطلب من هناك وقيل الملة والدين
متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث يجتمع عليها تسمى
ملة ومن حيث انها يطاع بها تسمى دينا والدنيا اسم لهذه الحيوة الفانية وهي
فعلى من الدنو سميت بها لدنوها وبعد الاخرة عنها ومنه سمي الدنيا لقربها من
ساكني الارض ولما خص كونها صفة بحال التعريف اذ لا يقال دار دنيا مع عدم اختصاص
الصفة بحالة واحدة بل يكون تارة نكرة واخرى معرفة كان كونها صفة كلا صفة و
لذا حكم عليها بالاسمية قال ابن جني الدنيا وان كانت صفة الا انها خرجت الى
مذهب الاسماء ومسائي جُنّةٌ من كيد العِدى عطف على صباحي وترك الاشارة هنا

للاشارة

الى العدم فالبعيد للاشارة ثم
للاشارة الى عدم لعدم حضوره لعدة فان اصل اسم الاشارة ان يشار به الى محسوس مشاهد
والمعدوم يستحيل احساسه ومشاهدته فيمتنع الاشارة الحسية اليه ومسائي مفعول اول
للجعل وجنة ثان له وهي بالضم الستر والوقاية ومنه الصوم جنة من النار والجمع الجنن
بضم الجيم وفتح النون ومنه سميت الترس جنة لانه يواري حامله ويستره ويقيه مما
يؤذيه من الضربات والطرقات وهذا هو المراد به هنا ففي الكلام تشبيه بليغ اي اجعله
كجنة [illegible] واقية تدفع بها عني ما ينزل بي من كيد العدى الداخلة والخارجة او
الاعم والاوسط اوسط لتكون الفقرة الثانية تاسيسا لانه خير من التاكيد ولا
يخفى لطافة تشبيه المساء بالجنة الجامع الستر والتواري بينهما ومن كيد العدى متعلق
بالجنة والاضافة لامية والكيد المكر والخديعة والاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب
كيدا وقيل هو ارادة متضمنة لاستتار ما يراد به لكن اكثر ما يستعمل ذلك في الشر
وبالجملة هو السعي في افساد الحال على جهة الاحتيال وقال بعض الحكماء الكيد ارادة
مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله تعالى التدبير بالحق مجازاة
اعمال الخلق والمكر من جانب العبد ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر
في امر مكروه لا سبيل الى دفعه والعدى بالكسر الغرباء والاجانب والاعداء واما
بالضم فهو الاعداء خاصة وهو الاوفق بالمقام لقوله عليه السلام الهدى والدنيا
والشيطان والنفس الامارة بالسوء وهذه الاربعة مجموعة في دعائهم عليهم السلام فيا
غوثاه ثم واغوثاه بك يا الله من هوى قد غلبني ومن عدو قد استكلب علي و
من دنيا قد تزينت لي ومن نفس امارة بالسوء الا ما رحم ربي فانظر الى هذا
الدعاء كيف خرج عند ذكر هؤلاء مخرج الاستغاثة ولا يكون الاستغاثة الا ممن يخاف

اجعله صح
ما هو شر له خ ل

عمن يراد هم
العلماء خ ل

ومن جانب الحق هو
ارداف النعم مع المخالفة
وابقاء الحال مع سوء الادب
واظهار الكرامات من غير
جهد وقيل الكيد هو
السعي في الحيلة والخديعة
وهذا نز القاء الانسان
من حيث لا يشعر صح

على نفسه من اشد الاعداء القهر والابتلاء ومن استسلم في قبض عدوه هلك لا محالة
فعليك بالدعاء والتضرع واحياء الليلة لعلك تنجو من تلك المهالك قال بعض اصحابنا
العدو ضربان باطن لا تدرك ذاته بالحاسة وهو اثنان احدهما الشيطان وهو
اصل كل عدو يعادي معاداة جوهرية وقد حذرنا الله سبحانه منه غاية التحذير فقال
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الى غير ذلك من الآيات والثاني النفس
الامارة بالسوء الا ما رحم ربي وظاهر يدرك بالحاسة اعني الانسان وهو
ضربان ضرب هو مضطغن للعداوة قاصد الى الاضرار اما مجاهرة واما مسائرة
وذلك اثنان واحد يعادي كل احد وهو كل احد سبعي الطبع خبيث الطينة مبغض
لكل ما لا يحتاج اليه في العاجل لبغض الى كل نفس هادئة كل من يخاف وهو الذي
عنى الله بقوله شياطين الانس والثاني عدو خاص لعداوة وذلك اما بسبب
الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل للعاقل واما بسبب تجاذب نفع دنيوي
كالتجاذب في رياسة ومال وجاه واما بسبب لحمة او مجاورة مؤثرة للتحاسد كمعاداة
بني الاعمام بعضهم لبعض وذلك في كثير من الناس كالطبعي قال رجل لشبيب ابن
شيبة انا والله احبك يا معمر قال اشهد على صدقك قال وكيف ذلك قال لانك
لست بجار قريب ولا بذي رحم نسيب ولا مشاكل في صناعة واكثر العداوة بين
الناس متولد من هذه ذلك وضرب عدو غير مضطغن للعداوة لكن يؤدي بالا
نسان الى ان يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد عدوه فسمي عدوا لذلك كالاولاد
والازواج وعلى ذلك قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
قال صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذي ان قتلته اجرك الله في قتله وان قتلك ادخلك الجنة ولكن

اعدا

اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك واولادك الذين
من صلبك هذا والمراد بالمساء ما يقابل الصباح وهو الشفق الذي يظهر في افق المغرب
بعد الغروب وهما مثتابهان شكلا ومتقابلان وضعا لان الصبح يبتدئ اولا بضياء
ضعيف طولاني ثم ينبسط ذلك الضياء على الافق ثم يميل الى الحمرة الى ان يطلع الشمس
والشفق بالعكس لان بعد الغروب يظهر في الافق المغرب بعد الغروب وهما متشابهان
شكلا ومتقابلان وضعا لان الصبح يبتدئ اولا بضياء ضعيف طولاني ثم ينبسط
ذلك الضياء على الافق ثم يميل الى الحمرة الى ان يطلع الشمس والشفق بالعكس لان بعد
الغروب يظهر في الافق حمرة منبسطة ثم بياض عريض ثم بياض دقيق طولاني الى ان
ينتفي بالكلية **ووقاية من مرديات الهوى** اشارة الى طلب الستر والكوفية والصيانة
من الاعداء الخارجة وهو عطف على جنة والظرف متعلق بالوقاية وهي كسر وا
لصيانة وحفظ الشيء مما يؤذيه وبضره يقال وقيت الشيء اقيه وقيا ووقاية اذا صنته
وحفظته من الاذى قال الله تعالى فوقيهم الله شر ذلك اليوم واضافة المرديات
الى الهوى اضافة الجرد الى القطيفة اي من اهوائي المردية المهلكة الموقعة في قعر
بئر الخطيئة المرضية في لجة بحر الشقاوة فيكون من قبيل قوله وهذه اهوائي المضلة او يكون
من باب خاتم فضة اي المرديات التي هي من جنس الهوى وقد سبق شرح الردى
والهوى والمراد بالوقاية الوقاية مما يترتب على الهوى من السيئات وتبعاتها وهي
الوقاية التي سألها حملة العرش ومن حوله للمؤمنين بقولهم وقهم السيئات ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ولما كان من شرائط اجابة ا
لدعاء ومن اداته اعتقاد الداعي قدرة الله تعالى على فعل مطلوبه كما ورد في ا
لخبر عن سيد البشر يقول الله عز وجل من سألني وهو يعلم اني اضر وانفع استجيب له

المشار اليها بقوله تعالى ان النفس لامارة

مؤثرة للتحاسد

الداخلة كما ان سابقتها ايماء الى طلب الوقاية عن الاعداء الخارجية

قال عليه السلام إنك قادر على ما تشاء اي طلبت منك لما طلبت لانك قادر
على ما تشاء ان تعطيه لمن تشاء والقادر من يصح منه الفعل والترك او الذي ان يشاء
فعل وان لم يشا لم يفعل والقدرة التمكن من ايجاد الشي وقيل هي صفة تقتضي التمكن
وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز
عنه واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قدرته على ما
يقتضيه مشيته وفيه دلالة على عموم قدرته تعالى وكونها شاملة لعامة الممكنات
وهو كذلك لان علة المقدورية وهي الامكان عامة فالقدرة عامة فيه ففيه رد على الثنوية
والديصانية وسائر الفرق المباينة لنا في هذا الاصل الذي هو من اعظم الاصول
الاسلامية ولذا اتى بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التاكيد واما افعال العباد فهي
وان كانت مقدورة له تعالى الا ان مشية الحتمية لا تتعلق بها لمنافاته الحكمة و
التكليف تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء كالدليل على قدرته تعالى ولذا
ترك العاطف والمعنى انك تعطي من تشاء منها من تشاء وتسترد كذلك قال صاحب
الكشاف فيه وفي الحديث القدسي انا الله الملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي
فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله تعالى
كما تكونون يولى عليكم وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز
من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او الاخرة او الاعم بالنصر والادبار والتوفيق
والخذلان يقال اعزه الله اي جعله عزيزا منيعا لا يغلب ولا يقهر واعزه ايضا اكرمه
واحبه وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله

ودوى

ودوى ثقة الاسلام في الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال ان في السماء ملكين موكلين
بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن النبي صلى الله عليه وآله ان التواضع يزيد صاحبه
رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت
رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان فاذا هم يعنفون بالناس ثم عدت بعد حين
فدخلت بغداد وكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت
انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة
ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت
في مواضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس واعزازه تعالى
من يشاء عبارة عن جعله اياه معظما موقرا بحيث يميل القلوب الى التعظيم والتوقير
ومحبته واجتناب اذلاله واهانته والاستخفاف به ظاهرا وباطنا والذل بالضم ضد العز ويعبر عنه بالمهانة والضعة والحقارة وذلله تذليلا صيره ذليلا
كاذلة اذلالا قال الجوهري اذله وذلله وتذلله كله بمعنى بيدك الخير انك على كل شيء قدير
ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض فان الشرور كالاعدام وهي
الاعدام بما هي اعدام لا تستدعي مبدءا موجودا مؤثرا بل علتها عدم الوجود واما الشرور العرضية فهي وان استدعت علة موجودة الا ان هذا الاستدعاء انما هو من حيث كونها
شرور الحيولة صادرة من المبدء الذي هو صرف الوجود بالعرض والشي بحسب مفهومه
اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر
شاء اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار
فقط فيتناول الممكن والواجب والممتنع وقد يخص بالممكن موجودا كان او معدوما
كما هنا بقرينة اختصاص تعلق القدرة به ~~فقط فيتناول الممكن والواجب والممتنع~~

~~لا يختص بالممكن موجوداً كان او معدوماً كما هنا تقتضيه اختصاص تعلق القدرة~~

به اذ المراد بها التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وذهب القاضي وجمع
من الاشاعرة الى ان الشيء يختص بالموجود وان المعدوم لا شيء ولا ذات ولا مهية
وهو ايضا مذهب الحكماء قالوا الشيء اسم لما هو حقيقة الشيئية ولا يقع على المعدوم
والمحال ولا علم بالمحال اصلا اذ لا شيئية له ولا هو مما يتمثل في ذهن او يتصور
في وهم وانما المعلوم المتصور المتمثل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه وهو ممكن ما
من الممكنات ليس بازائه حقيقة من الحقائق وشيء من الاشياء ابدا والى الاول ذهب
المعتزلة وجماعة من الاشاعرة ~~الى ان الشيء يختص بالموجود وان المعدوم لا شيء و~~
~~لا ذات ولا مهية وهو ايضا مذهب الحكماء قالوا الشيء اسم لما هو حقيقة الشيئية ولا يقع~~
~~على المعدوم والمحال ولا علم بالمحال اصلا اذ لا شيئية ولا يقع على المعدوم والمحال و لا~~
~~هو مما يتمثل في ذهن او يتصور في وهم وانما المعلوم المتصور المتمثل عنوان المفهوم من~~
~~لفظه وهو ممكن ما من الممكنات ليس بازائه حقيقة من الحقائق وشيء من الاشياء ابدا~~
~~والى الاول او يتصور في وهم وانما المعلوم المتصور المتمثل ولا علم بالمحال اصلا اذ~~
~~لا شيئية له ولا هو مما يتمثل في ذهن اذ لا شيئية له وما هو او يتصور في وهم و~~
~~انما المعلوم المتصور المتمثل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه وهو ممكن ما من~~
~~الممكنات ليس بازائه حقيقة من الحقائق وشيء من الاشياء ابدا والى الاول ذهب~~
~~المعتزلة وجماعة من الاشاعرة~~ وقال الزمخشري والشيء يؤدي الشيء اعم العام كما ان الله
اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال
وهذا العام مخصوص بدليل العقل من الاشياء ما لا يتعلق القدرة به كالمستحيل

والوجب

والواجب وجوده لذاته وقال القطب العلامة كل من قال بان الوجود عين المهية
مثل الاشعري ~~وهذا العام مخصوص بدليل العقل في الاشياء ما لا يتعلق القدرة~~
~~به كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال العلامة كل من قال بان الوجود عين~~
~~المهية مثل الاشعري~~ واتباعه قال بان الوجود غيرها ثم قد اختلفوا في ذلك
والنزاع انما هو في المعدوم ~~ثم قد اختلفوا في ذلك~~ لكن انما هو في الشيئية
بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود لا في اطلاق لفظ الشيء على مفهوم فانه
بحث لغوي لا ينبغي ان يقع بين المحققين لان مرجعه الى النقل والسماع هذا ومعنى
كونه تعالى على كل شيء قدير ان قدرته تعالى لا تتجاوز عما يمكن تعلق القدرة به من كل
جهة امكانية او شيئية تصورية واما الممتنعات فلا جهة لها ولا شيئية حتى يصح
كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها نقض على عموم القدرة كما سبق
هذه كنا بقيها في البيان والدليل تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
والولوج الدخول في مضيق وايلاجهما ادخال احدهما في الآخر بالزيادة و
النقصان كما في الصيف والشتاء او المراد ايلاج كل في آخر حال ايلاجه فيه في وقت
واحد بحسب اختلاف الافاق لانه في كل وقت ادخل الليل في النهار في مثلا في
بقعة من البقاع فقد ادخل النهار في الليل في مقابلها كالشمالية من خط
الاستواء والجنوبية عنه فان صيف احدهما لعينه شتاء الآخر قال الشيخ الجليل
امين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان قيل في معناه قولان احدهما انه ينقص
من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك زيادة
في الليل على قدر طول النهار وقصره والآخر يدخل احدهما في الآخر باتيانه به

المنتهى في

بدلا في مكانه وقال البيضاوي ايلاج الليل في النهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب
او الزيادة والنقصان وقال بعض اصحابنا انظر الى العارف المتمرس في اسرار حكمة
الله وجوده انه لو لم يخلق الله هذه الاجرام النيرات على الوضع الذي يقع به التفاوت
من الليل والنهار بان يلج مرة من هذا في ذاك ومرة اخرى بالعكس لفقد التفاوت
بينهما على نظام محكم ونسق مضبوط لما صلحت احوال الخلائق والبلاد ولادت
امزجة الحيوان والنبات الذي به قوامه الى الفساد الم تر كيف خلق الله تعالى
اوضاع النيرات العلوية ومناطق حركاتها وموازاة سيرها على نحو تنتظم به
احوال الكائنات وتنتفع به السفليات فلو ثبتت انوارها او تحركت ولكن لزمت
دائرة واحدة لاثرت بافراط فيما يقابلها وتفريط فيما وراء ذلك ولو لم يكن لها
حركة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم ولو لم تكن تارة سريعة وتارة بطيئة
ولم يجعل دوائر الحركات البطيئة وسموتها مائلة عن سمت الحركة السريعة لما مالت
تلك الانوار الى النواحي شمالا وجنوبا فلم تنتشر آثارها ومنافع ضوئها
على بقاع الارض ولولا حركة الشمس على هذا المنوال من مخالفة سمت حركتها
الذاتية لسمت حركتها العرضية لما حصلت الفصول الاربعة التي يوجبها تفاوت
ازمنة الليالي والايام ولولا حصولها لما تم النظام ولا صلحت امزجة العباد و
فسدت الحرث والنسل في البلاد وقد علمت ان النشأة الآخرة من الدنيا وان
الدنيا قنطرة الآخرة وفي فساد القنطرة قبل العبور بطلان العبور والحرمان

عن

عن الوصول الى دار السرور فاذن قد تبين عند اولي الالباب غاية الحكمة في
اختلاف الليل والنهار وتولجهما على هذا الوجه المودي للنتائج والآثار تذنيب
كلما نقص من الليل زاد في النهار وبالعكس واطول ما يكون من النهار
~~وتولجهما على هذا الوجه~~ يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر
الجوزاء فيكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وهو اقصر
ما يكون من الليل ثم ياخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة الى ثامن
عشر ايلول وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة فيستوي الليل والنهار
ويسمى الاعتدال الخريفي فيصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة ثم ينقص
النهار ويزيد الليل الى سابع عشر من كانون الاول عند حلول الشمس آخر
القوس فيصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فيكون
الليل في غاية الطول والنهار في غاية النقصان ثم ياخذ الليل في النقصان
والنهار في الزيادة الى ثالث عشر اذار عند حلول الشمس آخر الحوت فيستوي
الليل والنهار ويصير كل منهما اثنتي عشرة ساعة ويسمى الاعتدال الربيعي
ثم يستانف الدور ويرجع الى الاول ثم كلما ازداد البلد عرضا عن خط الاستواء
ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي
طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث يصير اليوم بليلته كله نهارا
وبازائه الليل ثم الى الاكثر من ذلك الى حيث يصير نصف السنة نهارا ونصفها
الآخر ليلا فتكون السنة كلها يوما وليلة وذلك اذا صار القطب الاعظم محاذيا.

لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا فيما يقرب منه اذ لا يتم به النضج لشدة البرد
اللازم من انخفاض الشمس ولا يصلح المسكن للحيوان ولا يتهيا فيه شيء من اسباب المعيشة
واما البلاد التي هي تحت خط الاستوا فالليل والنهار فيها في جميع السنة متساويان
كل منهما اثنتا عشرة ساعة متساوية فلا يتصور فيها ايلاج احدهما في الاخر الا بما
لتعقيب لا بالزيادة والنقصان وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ اخراج الحي
من الميت وبالعكس انشا الحيوانات من موادها واماتتها وانشا الحيوان من النطفة
والنطفة منه واخراج المومن من الكافر وبالعكس عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة
الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على
معاقبة الذل والعز وايتا الملك ونزعه وفيه وفيما سبقه عكس وتبديل وهو ان تقدم
في الكلام جزء ثم تعكس فتقدم ما اخرت وتاخر ما قدمت وهو على وجوه منها ان تقع
بين متعلقي فعلين في جملتين كما وقع بين الحي والميت حيث قدم الاول وجر الثاني
ثم عكس وهما متعلقا الفعلين في جملتين ومثله ما سبقه وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير
طلب وكسب او بغير ان يعرف سبيل رزقه وتجعله محسوبا في عداد وجه معا شراد
بغير تقدير وتقتير او بما لا يأتي عليه الحساب فيوسع في الدنيا على من توجب الحكمة
التوسعة عليه اما استدراجا او ابتلاء والمراد انه يعطي ولا يحاسب نفسه بما اعطاه
او يعطي العبد ولا يحاسبه عليه وذلك اما لاحتلاف في استعداد الاشخاص او العلم بانه
اصلح لشانهم كما اشير اليه وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده
وفي كلام بعض الفقها طالب العلم المتقي لا يحتاج الى الكسب للرزق فانه ياتيه
من عند الله بغير كسب من حيث لا يحتسب وفي التخصيص نظر يفهم من عموم

ومن

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وفي الكشاف عن الاصمعي
قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال من الرجل قلت من اصمع
قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت والذاريات
فلما بلغت قوله تعالى وفي السما رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها
على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت
اطوف فاذا انا بمن يهتف لي بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر
فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا ثم قال وهل غير ذلك فقرات فورب السما والارض انه لحق فصاح فقال يا
سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاوه الى اليمين
قالها ثلثا وخرجت معها نفسه والارزاق قسمان ظاهرة للابدان كالاقوات و
باطنة للقلوب كالمعارف والعلوم والرزق بالكسر اسم للمرزوق وفي الصحاح انه ما ينتفع
به واما الخلاف في ان الحرام رزق كما هو مذهب الاشاعرة ام لا كما هو مذهب المعتزلة
فليس هنا موضع ذكره وتقرير دليله فليطلب من موضع اخر لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ في كتاب
التوحيد باسناده المتصل الى ابن عباس عن النبي صلعم انه قال ما من الكلام كلمة احب الى الله
عز وجل من قول لا اله الا الله وما من عبد يقول لا اله الا الله يمد بها صوته فيفرغ
الا تناثرت ذنوبه تحت قدميه كما يتناثر ورق الشجر تحتها اقول وانما صارت هذه
الكلمة احب الكلمات الى الله عز وجل لانها اعلى كلمة واشرف لفظة نطق بها
في التوحيد دالة على وجوده تعالى مفهوما وعلى وحدته منطوقا وعلى اجتماعه جميع
صفات الكمال وتنزهه عن جميع النقايص وليس في الاذكار ما يدل على ذلك
دونها لانها اما تمجيد او تنزيه بخلاف هذه الكلمة فانها جامعة بينهما منطبقة

ورّعها اه

على جميع مراتب التوحيد توحيد الذات والصفات والافعال ويقال لما كان الشريك و
هو من يمنع صاحبه ان يتصرف فيما اشتركا فيه على ما يريد وهذا ينافي السلطنة و
الملك ابغض الاشياء اليه تعالى ولذا لا يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء كان احب الاشياء اليه تعالى نقيضه وهو التوحيد المدلول عليه بلا اله الا
الله فكانت احب الكلمات اليه تعالى وبما قررناه ظهر وجه ما في خبر اخر نبوي ما
قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا اله الا الله وفي آخر عنه صم قال الله عز وجل
لموسى يا موسى لو ان السموات وعامرهن والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله
في كفة مالت بهن لا اله الا الله وفي اخر عنه صم الايمان بضع وسبعون شعبة
افضلها قول لا اله الا الله وفي آخر علوي ما من عبد يقول لا اله الا الله الا صعدت
تخرق كل سقف لا تمر بشيء من سيئاته الا طلبتها حتى تنتهي الى مثلها من الحسنات
فتقف وفي اخر باقري ما من شيء اعظم ثوابا من شهادة ان لا اله الا الله ان الله عز وجل وفوائد وخواص في قول لا اله الا الله
ونظائرها في الاخبار كثيرة وبالجملة احسن افراد الذكر قول لا اله الا الله لانها
راسها فينبغي الاكثار من قولها وقد وردت في فضلها وشرفها واسرارها و
خواصها من طريق الخاصة والعامة ما لا يكاد يحصى ولذا اختارها اهل السلوك
لتربية السالكين وتهذيب المريدين وقد جمعت بين نفي الالوهية عما سوى الله واثبات
الوهية وهي متعلقة بالجنان واللسان ومتفاوتة فيه فمنها ما يكون باللسان
وحده من غير حضور القلب وهي اضعف المراتب ومنها ما يكون به مع استقرار
واستيلاء بحيث تغفل عما عدا المذكور وهي المرتبة العليا والدرجة القصوى و
اليه الاشارة بقوله ولذكر الله اكبر ثم لا يذهب عليك ان قوله صم يمدها

صوته

بحره
صوته على صحة مذهب من قال بان تطويل المد في لا اله الا الله مندوب اليه
مستحسن لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في قلبه وذهنه جميع ما سوى الله من
الاضداد والانداد وينفيها ثم يعقب ذلك بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى
الكمال والاخلاص ومن الناس من يقول باولوية ترك التمديد مستدلا بانه ربما
مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال الى الا الله اقول وهذا القول مع كونه مخالفا
لقواعد التجويد ومناقضا لصريح الرواية مدفوع بان من مات في زمن التلفظ
بلا قبل الوصول الى الا لا شك انه مات مؤمنا لانه عقد بهذا الكلمة قلبه ثم اراد
ان يخبر بما في ضميره ليكون ذلك دليلا عليه فلم يمهله فلم يلزم منه كفره وخاصة
اذا كان المتلفظ بها مؤمنا وانما يلزم كفره او عدم انتقاله منه الى الايمان لو وجد
من الفرصة ما امكنه ان يقول الا الله ثم لم يقل ومات واما ما فصله الفخر الرازي
واستحسنه الصدر الشيرازي واثنى عليه في رسالته المعمولة لتفسير اية الكرسي من ان
المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها لينتقل من الكفر الى الايمان فترك التمديد
اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى حتى باسرع الوجوه
وان كان مؤمنا وانما يذكرها فالتمديد اولى ليحصل في زمانه صورة الاضداد في الخاطر
وينفيها ثم يعقبها بقوله الا الله فيكون الاقرار بالالهية اصفى واكمل فهو مع كونه
غير واقع لما سبق من اولوية ترك التمديد فما ذكره من اولويته معارض به وانما
يدفعه ما ذكرنا كما سلف فان الانتقال من الكفر الى الايمان على مذهب قد حصل
بمجرد التصديق القلبي كما هو مذهب الاشاعرة وانما جعل اللسان على الجنان دليلا فهو وهو منهم
على مذهب كاشف عن ايمانه السابق على زمن التلفظ بهذه الكلمة لا مصحح له

ولا منتم نعم ما ذكره يصح على مذهب من قال ان التحقيق التصديق وحده ليس بايمان
بل الايمان هو التصديق بالقلب مع الاقرار بالشهادتين كما هو المنقول عن ابي حنيفة
واليه مال صاحب التجريد وبالجملة فالتهديد لها مطلقا كما هو ظاهر الرواية حيث رتب
تناثر الذنوب على قول لا اله الا الله لا مطلقا بل مقيدا بمد الصوت بها المشعر بعليته
للحكم مستحسن اليه مندوب بل الظاهر عندي ان الغرض من التمديد مجرد تجويد اللفظ و
تحسينه على ما يقتضيه القواعد التجويدية لا الاستحضار المذكور فان المتلفظ بالكلمة
ان كان عالما بوضع الفاظها لمحض الاضداد ونفيها وبثبت الاله الحق بمجرد ا
لتفات الى معانيها مدحوضة في الاكام لا وان لم يكن عالما او كان ولم يكن ملتفتا
فلم يتيسر له الاستحضار بعدما لم يمد فان المد لا يوجب الاستحضار كما لا يخفى على
ذوي الابصار واعلم ان ترتب الثواب على قول لا اله الا الله مشروط بشروط لا يتحقق
بدونها منها ان يكون قلبه مواطئا للسانه كما ورد في خبر آخر نبوي ان لا اله الا الله
كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها مخلصا استوجب الجنة ومن قالها
كاذبا عصمت ماله ودمه وكان مصيره الى النار ومنها الايمان بالله واليوم الآخر وبما
جاءت به الرسل ثم قال لا اله الا الله ترتب عليه ثوابه فالعام مخصص والمطلق مقيد وهذا
مما انعقد عليه اجماع الامة ودل عليه الكتاب والسنة قال الله تعالى ومن اراد
الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا وفي صحيح البخاري
عن وهب بن منبه قيل له اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس له
مفتاح الا وله اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح ومنها
الولاية لاهل الولاية كما يدل عليه قول الرضا ثم بعد ان روى عن جده عن

جبهن

جبرئيل عم عن الله جل جلاله لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي
بشروطها وانا من شروطها وقال ابو سعيد الخدري كان رسول الله ص ذات يوم جالسا
وعنده نفر من اصحابه فيهم علي بن ابي طالب عم اذ قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة
فقال رجلان من اصحابه فنحن نقول لا اله الا الله فقال رسول الله انما تقبل شهادة
ان لا اله الا الله من هذا وشيعته الذين اخذ ربنا ميثاقهم وفي الكافي عن ابان بن
تغلب عن الصادق عم قال يا ابان اذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث من شهد ان
ان لا اله الا الله مخلصا وجبت له الجنة قال قلت انه يأتيني من كل صنف من ا
الاصناف افاروي لهم هذا الحديث قال نعم يا ابان انه اذا كان يوم القيمة وجمع الله
الاولين والآخرين فيسلب لا اله الا الله منهم الا من كان على هذا الامر ومنها ومن
نظائرها يظهر ان لم يكن مواليا لصاحب الدعاء جعلت له الفداء ومن بعده من الائمة
سلام الله عليهم تسلب منه ثمرة لا اله الا الله ويكون توحيده وتهليله في الدنيا مجرد
تحريك لسان لا ينتفع به في الآخرة فلا اشكال ولا منافاة بين الاخبار المطلقة على
ان من قال لا اله الا الله فله الجنة ودخل الجنة وامثالها والدالة على عدم دخول مخالفينا
الجنة وان بذلوا جهدهم وبالغوا في العبادة بين الركن والمقام حتى صاروا كا
لشن البالي فانهم ليسوا من اصحاب الجنة اهل التوحيد المنتفعين بتوحيدهم في الآخرة
لما فاتهم من الولاية الشديدة الحاجة اليها في تحقق الايمان الموجب لدخول الجنة وللمطلق
لهذا الوجه ايضا مقيد ومنها ان يكون الموحد تاركا للدنيا وزاهدا عنها فعن حذيفة
عن النبي ص قال لا يزال لا اله الا الله يرد غضب الرب جل جلاله عن العباد ما كانوا لا
يبالون ما انتقص من دنياهم اذا سلم دينهم فاذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم

الدالة

اذا سلم دنياهم ثم قالوا ها ردت عليهم وقيل كذبتم ولستم لها صادقين وهذا بعينه
حال ابناء دهرنا هذا نعوذ بالله منهم اجمعين ومنها الموافاة على التوحيد كما تدل عليه رواية
ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وبالجملة
المراد بالموحد الذي لا يعذب بالنار اذا كان محسنا بان يكون توحيده يحجزه عما حرم
الله وهو علامة اخلاصه او يدخل الجنة ولو بعد تعذيب برزخي اذا كان مبينا هو
من كان مواليا ثم مات والا فتسلب عنه فوائد لا اله الا الله فالاخبار المطلقة الواردة
في هذا الباب كقوله صلى الله عليه وآله من مات ولم يشرك بالله شيئا احسن او اساء دخل الجنة
وقول الصادق عليه السلام ان الله حرم اجساد الموحدين على النار وما شاكل ذلك مقيدة بما
ذكرنا فلا اشكال ولا تدافع ثم لما كان مبدأ الكمالات وجوب الوجود وانتفى عنه الامكان
بمعنى لا اله الا انت لا واجب الوجود الا انت ثم يصح تقدير الممكن والموجود
في خبر لا النافية الثانية فلان مفهومه ان الله يمكن ان يكون واجب الوجود ثم يندفع
فساده المشهور وهو ان اللازم امكان وجوده تعالى لا ثبوت وجوده فلا يتم
التوحيد بان ما يمكن ان يكون واجب الوجود فهو واجب الوجود والا يكون اما ممتنع
الوجود او ممكنه وعلى التقديرين لا يكون واجب الوجود والا لزم الانقلاب و
اما الثاني فلان فساده وهو ان اللازم نفي وجود الشريك لا نفي امكانه
مندفع بان نفي وجوب الوجود عما سواه يستلزم نفي امكان وجوب الوجود عنه
ايضا والا لثبت له نقيضه وهو امكان واجب الوجود له فيثبت له وجوب
الوجود لما سبق هف واما ما قيل من عدم الحاجة الى الخبر وان الا الله
مبتدأ وخبره لا اله الا الله اذ كان الاصل الله اله فلما اريد الحصر زيد لا

دالا ومعناه الله معبود بالحق لا غيره ففيه انه مع كونه مخالفا لما عليه النحاة
من وجوب تقدير الخبر يرد عليه ان الاعتراض باق على حاله اذ لا معنى لرفع ذات
الاله بل لا بد من نفي وجوده او امكانه ومنهم من قال ان هذه الكلمة نقلت
شرعا الى نفي الامكان والوجود عن اله سوى الله مع الدلالة على وجوده تعالى
وان لم يدل عليه لغة وفيه ان هذه الكلمة مشهورة بكلمة التوحيد ممن كان قائلها
فهو موحد وان لم يعلم او يثبت عنده الحقائق الشرعية وكذا التقدير منحي للغنا
لا يدل على نفي التعدد مطلقا بل على نفي المستحق فقط والصوفية لما راوا ادلتها مفهوما
على وجوده تعالى وراموا التفصي عنه اولوها بحمل كلمة الا على معنى الغير وجعلوها
بدلا عن محل اله المنفي فصار المعنى انتفى غيره تعالى مطلقا لا في صفة الالوهية وهذا
هو التوحيد العامي الذي هو نفي الشريك الاعظم الجلي المثبت بالدليل المعقول و
المنقول قالوا والمنافقة بانه لا يلزم من انتفاء غيره ثبوته مندفعة اذ لا
شك في الموجود موجود ما وما ذهب اليه السوفسطائية من انه لا موجود في الحقيقة
بل هو خيال ووهم فهو خيال موهوم وامر بطلانه معلوم وانت وكل من له ادنى
بصيرة اذا صرف بصيرته نحو هذا الكلام يعرف ان الغرض منه نفي الوهية ما سوى
الله واثبات الوهيته لا نفي ما سواه بالكلية بالجملة واثبات وجوده فقط وهل يليق
بالحكيم العليم ان يقول في كتابه العزيز الى رسوله الكريم اعلم انه لا اله الا الله
ويريد به وحدته في الوجود وهو يفيد وحدته في الالوهية وهم بمثل هذا التأويل
المنكر يضلون ويضلون فطوبى للذين هم كما قال رسول الله يحمل هذا
العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل
الجاهلين وعلى تأويلهم هذا لمعنى كون هذه الكلمة كلمة توحيد انها تفيد ان

الوجود واحد ويلزم منه ان يكون الاله واحدا فتكون دلالتها على وحدة ا
لوجود مطابقة وعلى وحدة الاله التزاما وهذا كما ترى صرف الكلام عن وجهه
بل ابطال له بالكلية وانما صرفوه الى ذلك وهم يعلمون قطعا انه ليس المراد به ذلك
لتغرير الناس فيدعوهم الى مذاهبهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة فنزلوا القرآن
على طبق رايهم ومذهبهم وفسروه باهوائهم واشباههم على علم منهم قطعا انه
غير مراد به فذرهم وما يفترون ومنهم من رام ان يصرفه عنه ويذب ما يرد عليه
وهو يقول بالوحدة فقال اعلم ان الذكر القلبي من اعظم علامات المحبة لان من احب
احدا ذكره دائما او غالبا وان اصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة
وترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه وهكذا يتبادلان الى ان
يستولي المذكور وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه فالذاكر يحبه حبا شديدا
ويغفل عن جميع ما سواه حتى عن نفسه اذ الحب المفرط يمنع عن مشاهدة غير
المحبوب وهذا المقام يسمى مقام الفناء في الله والواصل الى هذا المقام لا يرى
في الوجود الا هو وهذا المعنى وحدة الوجود لا بمعنى انه تعالى متحد مع الكل
لانه محال وزندقة بل بمعنى ان الموجود في نظر الفاني هو لا غيره لانه تجاوز عن
عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل عنه فافهم انتهى ولنا على ابطال وحدة
الوجود رسالة مفردة وجيزة نقلنا فيها زبدة اقوالهم وعمدة ما تشبثوا به عليها
واشرنا فيها الى ما فيه وعليه فليطلب من هناك سبحانك اللهم وبحمدك
انزهك تنزيها عما لا يليق بجنابك قدسك وعز جلالك واثبت لك ما يليق بك سبحان
مصدر كغفران وسلطان بمعنى التنزيه عن النقائص ولا يستعمل الا محذوف
الفعل

الفعل منصوبا على المصدر بمحذوف من جنسه ومتعلق الجار في بحمدك هو
العامل المحذوف والتقدير سبحتك تسبيحا وسبحانا وسبحتك بحمدك او بمعنى
والحمد لك نظير ما انت بنعمة ربك بمجنون اي والنعمة له على انه حال و
العامل فيه اما معنى النفي فانه بمعنى انتفى عنك الجنون او مجنون ولا يمنع الباء منه
لانها زائدة مؤكدة وفي مجمع البيان وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك
كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك انتهى وهو مضاف الى المفعول
وربما جوز كونه مضافا الى الفاعل بمعنى التنزه والواو اما حالية والتقدير
انا متلبس بحمدك على التوفيق لتنزيهك والتاهيل لعبادتك كانه لما اسند
التسبيح الى نفسه اوهم ذلك فرحا وسرورا فعقب بهذه الجملة الحالية ليزول على قياس
ما قالوا في اياك نعبد واياك نستعين او اعتراضية ومدخولها جملة مقدرة ونحمد
قام مقامها والتقدير اسبحك سبحانا وبنعمتك التي توجب علي حمدك اسبحك وتلك
وتلك النعمة هي حولك وقوتك التي ملكتنيها او زائدة والجار بمجروره في محل النصب
على الحالية والتقدير متلبسا بحمدك او عاطفة تعطف الجملة الاسمية او الفعلية
المقدرة على الفعلية المضمرة في سبحانك فان جعلت الباء في بحمدك للمصاحبة
فاضافة الحمد الى الضمير اضافة المصدر الى المفعول وان جعلتها للاستعانة
فاضافته اليه اضافة المصدر الى الفاعل ولعل المراد بالحمد التوفيق عليه والتقدير
اسبحك سبحانا واسبحك مستعينا بتوفيقك اياي على حمدك والى ذلك يشير
الشهيد الثاني بقوله الواو في وبحمده قيل زائدة والباء للمصاحبة والحمد مضاف الى
المفعول ومتعلق الجار عامل المصدر اي سبحت الله حامدا اي انزهه عما لا
يليق به واثبت له ما يليق به ثم قال ويحتمل كونها للاستعانة والحمد مضاف

الى الفاعل اى سبحته بما حمد به نفسه اذ ليس كل تنزيه محمودا وقيل ان الواو عاطفة
ومتعلق الجار محذوف اى وبحمده سبحته وذكر بعضهم ان المعنى وبمعونتك التى هى نعمة
توجب على حمدك سبحتك لا بحولى وقوتى فتكون مما اقيم فيه المسبب مقام السبب انتهى
وقال العلامة الطبرسى امين الاسلام انه صار فى الشرع علما على اعلى مراتب التعظيم
التى لا يستحقها الا هو سبحانه ولذلك لا يستعمل فى غيره وان كان منزها
عن النقايص ولعله نظر الى ما قيل ان التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلثة
انواع تنزيه الذات عن نقص الامكان الذى هو منبع السوء وتنزيه الصفات
عن الحدوث بل من كونها مغايرة للذات وزائدة عليها وتنزيه الافعال
عن القبح والعبث ومن كونها جالبة اليه نفعا او دافعة عنه ضرا كافعال العباد ثم
التسبيح يدل على كونه مبرا فى ذاته وصفاته من النقائص والافات والحمد
يدل مع حصول تلك الصفة على كونه محسنا الى الخلق منعما عليهم رحيما بهم
فالتسبيح اشارة الى كونه تاما والتحميد الى كونه فوق التمام فالوجه فى تقديمه
عليه ظ والغرض من هذه التسبيحة الرد على من توهم انه عرفه سبحانه بحسب صفاته
او علمه بكنه ذاته وذلك لان معرفة ذاته اما بالبديهة وهو باطل بالبديهة
واما بالنظر وهو اما بالحد والحد يستلزم الجنس والفصل المستلزمين للتر
كيب او بالرسم وهو لا يفيد الحقيقة لان المعلوم منه سبحانه اما السلوب
او الاضافات وذاته مغايرة لهما اذ المعلوم من قدرته مثلا انها امر مستلزم
للتاثير فحقيقتها مجهولة والمعلوم منها ليس الا هذا اللازم فتبين ان
صفاته كذاته غير معلومة وان المعلوم منها ليس الا السلوب والاضافات
ولما ثبت ان العلم بها لا يستلزم العلم بالحقيقة ثبت انا لا نعلم ذاته

ولا

ولا صفاته التى هى عين ذاته واليه اشار بقوله من ذا يعرف قدرتك فلا يخافك ومن ذا يعلم
ما انت فلا يهابك يعنى لو كان لقدرته تعالى حد محدود يعرف به لكان يمكن
ان يكون فوقه مرتبة اخرى فصاحب تلك المرتبة الفوقانية بعد ما عرف قدرته
تعالى ووجدها دون قدرته ساغ له ان لا يخافه لكن لا حد لقدرته تقف عنده
فلا يتصور فوقها قدرة بل كل قدرة هى دونها ويد الله فوق ايديهم فالخوف منه
لازم لكل عارف به وانما لا يخافه من لا يعرف قدرته وكذا لو كانت له ماهية
معلومة بكنهها لمن علمها وعلم انها ليست منشا الا اثار غريبة وافعال عجيبة كان
له ان لا يهابه لكنه سبحانه لا ماهية له معلومة لغيره ولذا لما سئل كليم الله على
نبينا واله وعليه السلم عن حقيقته تعالى حيث قيل وما رب العالمين اجاب عنه
بذكر خواصه فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين تنبيها على
ان حقيقة ذاته لا تعلم الا بذكر مقوماته ولا مقوم له اذ لا تركيب فيه ولم يتنبه
السائل الجاهل بذلك او لج وعند ولذا قال لمن حوله الا تستمعون انى سالت
عن حقيقة رب العالمين وهو اجابنى بذكر صفاته فلم يتعرض موسى لبيان غلطه
وفرط جهله فذكر صفات اخرى اتم من الاولى فقال ربكم ورب ابائكم الاولين
لينبهه على غلطه وجهله فلم يتنبه ونسبه الى الجنون فقال رسولكم الذى ارسل
اليكم لمجنون فلم يلتفت اليه الكليم وذكر صفات اخرى اظهر من الاولى واشار الى
ان السؤال عن حقيقته ليس من داب العقلاء فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما
ان كنتم تعقلون واذا ثبت انه ليست له تعالى حقيقة معلومة لغيره فكيف لا يهابه
ولا يوقره واحتمال الضرر بذلك قائم ودفعه واجب وفيه تحقير لشانه لان كلمة من
فى الاصل وان كانت للاستفهام الا انها هنا استعملت لمجرد التحقير كما فى قولك

من هذا وكذا في ايراد المسند اليه باسم الاشارة الدال على القرب بالتحقير له اذ القرب
كما يطلق على قرب المكان يطلق على قرب المرتبة ودناءة المحل فيقال فلان قريب المحل
داني المرتبة اجراء للامور العقلية مجرى الامور المحسوسة كذلك قد يطلق اسم الاشارة
الدال عليه ويراد به ما ليس القرب غالبا وهو التحقير الرتبي وذا في الموضعين مبتدا
ومن كل خبره قدم عليه لاقتضائه صدر الكلام والجملة الفعلية صفة له لكونه
نكرة والمضاف محذوف اي مقدار قدرتك وحقيقة ذاتك ويحتمل ان يكون من
للاستفهام الانكاري وذا اسم موصول بمعنى الذي والمراد ان كل من عرف قدرتك
يخافك وكل من علم ما انت يهابك فلا احد يعرف قدرتك فلا يخافك ويعلم
ما انت فلا يهابك وكلمة ما على الاول طالبة للحقيقة وعلى الثاني شارحة
للاسم تامل والمعرفة يقال لادراك الجزئي والبسيط والعلم الكلي والمركب وايضا
فان الاول يقال لادراك الشيء باثاره والثاني لادراكه بذاته ولذا يقال عرفت
الله دون علمته لان ذاته جزئي بسيط معروف باثاره وصفاته لا بذاته وقيل هي
عبارة عن الادراك التصوري والعلم هو الادراك التصديقي ومن ذهب الى
هذا القول جعل العرفان اعظم رتبة من العلم فان تصديقنا باستناد هذه
المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقة
واجب الوجود ذاته فوق الطاقة البشرية لان الشيء ما لم يعرف لم يطلب
مهيته فعلى هذا كل عارف عالم من دون عكس كلي ولذا كان الرجل لا يسمى
عارفا الا اذا توغل في بحار العلوم ومباديها وترقى من مطالعها الى
مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها بحسب الطاقة البشرية وقيل هي ادراك

الشيء

فاعرف

الشيء بعد توسط نسيانه فلذلك لا يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف
وهو اشهر الاقوال في تعريف المعرفة وفيه نظر فقد ورد في رواية رواها
محمد بن يعقوب في الاصول في باب النسبة من قول ابي عبد الله عليه السلام
قل هو الله احد نسبة الله الى خلقه احدا صمدا ازليا صمديا لا ظل له
يمسكه وهو يمسك الاشياء باظلتها عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل
ومن العجب ان بعضهم ادعى الاجماع على ان اطلاق العارف عليه تعالى
غير جائز لعدم وروده في الشرع مع ايهامه النقص هذا ولعله عليه السلام اشار
بذلك الى انه تعالى لو كان يعلم بكنه ذاته فكما كان يعلم اذا كان كلها مركبا
من الجنس والفصل ولما كانت القدرة جزئيا من جزئيات صفاته خص المعرفة
بها تنبيها على هذه الدقيقة تامل فيه والخوف والخشية وان كانا مترادفين
في اللغة الا انهم فرقوا بينهما بان الخوف تالم النفس من العقاب المتوقع بسبب
ارتكاب المنهيات والتقصير في الطاعات وهو يحصل لاكثر الخلق وان
كان مقولا بالتشكيك والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق و
هيبته وهذه الحالة عزيزة المنال لا تحصل الا لمن اطلع بجلال الكبرياء وذاق
لذة القرب ولذا قال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء هذه
الفقرة بتقديم ورباب الفرق
وما عطف عليها كالبيان والدليل على ان قدرته تعالى لا يعرف بحقيقتها
وانما نعرف بهذه الاثار وما شاكلها ولعله لذلك ترك العاطف فتامل و
يقال الف بينهما تاليفا اذا اوقع الالفة والتركيب بمعنى وهو جعل اشياء
متعددة بحيث يطلق عليها اسم واحد وقد يفرق بينهما بان التاليف من

الالفة فلا بد ان يكون بين اجزائه مناسبة بخلاف التركيب فهو اعم منه و الفرقة
بالكسر الطائفة من الناس والقسم من كل شيء والجمع فرق كذا في القاموس و
المراد انه تعالى الف بقدرته بين المتباينات وجمع بين المختلفات والمتضادات
كما في المركبات المجتمعة من الاسطقسات المتداعية الى الانفكاك وفي
تاليفها مع تنافرها طبعا ثم احتياج بعضها الى البعض في قوامها وانتظامها
دلالة واضحة على وحدة مؤلفها ومدبرها كما ان في ارتباط اجزاء الشخص
بعضها ببعض وانتظام اعضائه دلالة على وحدة مدبره وفي خطبة
لصاحب الدعاء جعلت له الفداء في التوحيد فضاد النور بالظلمة والوضوح
بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف من متعادياتها مقارن بين
متبايناتها مقرب من متباعداتها مفرق بين متدانياتها دالة بتفريقها
على مفرقها وبتاليفها على مؤلفها وذلك قوله عز وجل ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون او المراد انه تعالى الف بين قلوب طوائف
مختلفة مع تخالف طبائعهم وتباين سلائقهم وتصادم اهوائهم وتضاد
آرائهم كما اشار اليه بقوله هو الذي الف بين قلوبهم ولو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ومن الظاهر
بل الاظهر منه ان الالفة من اعز المطالب شرعا وعرفا لاقتضائها صلاح
حال الدنيا والآخرة لان الانسان مدني بالطبع فلا غناء له في تعيشه من
التمدن وهو اجتماعه مع بني نوعه لافتقاره في تحصيل ماربه الى معاونتهم و
مشاركتهم اذ لا يمكن للانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الضرورات
التي لا بقاء له بدونها وتلك المعاونة والمشاركة لا تتم الا بالتلاقي

واجتماع

واجتماع ومعاشرة ولا يستقيم ذلك الا بتحقق الروابط بينهم وهي لا تتم الا
بنفي الضغائن والاحقاد والحسد وذلك مستلزم للاجتماع على الالفة والانس
بعضهم ببعض فيستقيم امورهم بتعاونهم وقد قال العلماء ان سلوك سبيل الله
لسائر وجوه الاوامر والنواهي لا يتم الا بها ولذلك عظم الله المنة بايقاع الالفة
بين اهل الملة وذلك انهم بالالفة يكونون بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه
ولاجلها شرع الله اجتماع الخلق على الصلوة في المساجد كل يوم خمس مرات وفي
كل اسبوع مرة في المسجد الاعظم وفي كل سنة مرتين في الاعياد وفي العمر مرة
بمكة لاجتماع البلدان النائية كل ذلك ليتاكد باجتماعهم الالفة والاتحاد
ويقع بسببه المحبة والوداد والاخبار في هذا المعنى كثيرة جدا وَفَلَقْتَ بِرَحْمَتِكَ الفَلَقَ
فلقت الشيء فلقا من باب ضرب شققته والفلق بالسكون الشق وهو الفالق (شققته خ ل)
الذي فلق الارحام فانشقت عن الحيوان وفلق الحب والنوى فانفلقت عن النبات
وفلق الارض فانفلقت عن كل ما يخرج منها وفلق الظلام عن الصباح والسماء عن
القطر وفلق البحر لموسى ع فكان كل فرق كالطود العظيم والفلق بالتحريك الصبح نفسه
وقد يقال فلق الصبح لضوئه وانارته والمراد انه تعالى شقه واضاءه وانارة (شققه خ ل)
اظهر بياضه بقرب طلوع النير الاعظم اذ لولاه لبطل امر العالم ولم يمكن الناس
ان يسعوا في امور معاشهم ومعادهم ولم يكونوا يتهيئون بالعكس مع فقدهم لذة
النور دور دهر فكونه من الرحمة ظ مستغن بظهوره عن الاطناب ومن الظاهر ان
المفلوق ليس هو الفلق بل هو ظلمة وهو الغبش في آخر الليل وكان الافق كان بحرا
مملوا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بان اجرى منه جدولا من النور
فالمعنى فلقت ظلمة الفلق بنور الفلق وحسن الحذف للعلم به وَأَنْتَ بِكَرَمِكَ

دياجي الغسق الانارة الاضاءة وكلبا سببية والكرم الجود والسخا يقال
رجل كريم اذا كان جوادا سخيا وكونه من الكرم بين اذ الليل لو امتد مثلا
مقدار ثمانى ساعة لكان لتعوق اصناف الحيوان عن الحركة والتصرف
في طلب المعاش حتى يموت جوعا وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى
تعفن وتختلف كالذى تراه يحدث على النبات اذا كان في موضع
لا تطلع عليه الشمس مع ان الحر والبرد يتلقان الابدان وسنحها ولولاها
لولاهما لفسدت او هزلت فجعلهما ربكم مضبرا لتبتغوا فيه من
فضله والتبوء الى رزقه وليسرحوا في ارضه طلبا لما فيه نيل العاجل
من دنياهم ودرك الاجل في اخرتهم قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون والدجى ظلمة
الليل وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع يقال دجى
الليل اذا تمت ظلمته والبس كل شيء ومنه الليل الداج والغسق محركة الظلمة
اول الليل ومن شر غاسق اذا وقب اى الليل اذا دخل كذا في القاموس
فالتجريد لازم او الاضافة لامية وفيه مبالغة او بيانية وقيل غسق الليل
منتصفه لا ظلمة اوله كما قاله بعض اللغويين ثم استشهد عليه بما رواه في
الكافي بسند صحيح عن الباقر ع انه قال فيما بين دلوك الشمس الى غسق الليل اربع
صلوات الى ان قال وغسق الليل انتصافه وعليه فلا حاجة الى التجريد ولعله
خص منتصفه بالذكر لكونه اشد ظلاما ببعد الشمس من الافق الغربي و
وصولها الى دائرة نصف النهار تحت الارض فاهل هذه الاقاليم وقتئذ

يكونون

يكونون في وسط مخروط ظلها فوق الارض في اشد الظلام والمراد انه تعالى
بكرمه جعل الاهوية المظلمة منورة لا الظلمات نفسها فانها لا تتصف بالنور
والحق ان تكيف الهواء بالنور في الجملة مما لا ينبغى الشك فيه وان منع منه من جعل
اللون شرطا في التكيف به فارادته عليه السلم بها الاهوية المظلمة لا مانع منه ويجوز
ان يراد بها الاجسام المظلمة غير الهواء وهذا اليس فيه كثير بعد لاستغنائه عن تجشم
الاستدلال على قبول الهواء الضوء وسلامته عن شوب الخلاف او المراد بانارتها
اعدامها باحداث الضوء في محالها وهذا مبنى بان الظلمة كيفية وجودية كما ذهبت
اليه طائفة قيل وهذا وان كان الاكثر على بطلانه الا ان دلائلهم عليه ليست
بهذه القوة فهو باق على اصل الامكان الى ان يذب قاطع لبرهانها وانهرت المياه من الصم الصياخيد
عذبا واجاجا الانهار الاجراء والاسالة والنصب بكثرة ومنه النهر بالفتح والسكون المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والماء الذى
يشرب والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام واصله موه بالتحريك والصم الصلبة
صلابته حاصلة من اكتناز الاجزاء وتضامها ومنه قيل حجر صم اى ليس فيه تجاويف
وقناة صماء اى مصمت غير مجوف كالقصب وصمام القارورة بكسر الصاد ما
يشد به ثم سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا
لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والجمع الصم اى انت تسمع الصم و
لو كانوا لا يعقلون صم بكم عمى فهم لا يرجعون وكلمة من بظاهرها مشعرة بان
تلك المياه كانت في الاصل احجارا فانقلبت مياها وهذا كما يقال من النطفة
كان الانسان بمعنى انها خلعت صورتها ولبست صورته فهى ابتدائية والظرف
في محل النصب على الحالية اى اجريتها حال كونها مبتداة منها والصيخود الصخرة

الشديدة والجمع الصياخيد والياء زائدة يقال صخرة صيخود وصيخاد اى شديدة
والصيخدون الصلابة والعذب الطيب الذى لا ملوحة فيه وفى القاموس
العذب من الطعام والشراب كل مستساغ والاجاج بالضم الماء الملح الشديد الملوحة
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وهما منصوبان اما على الحالية
او المصدرية او التمييزية وهو الاظهر ولعل المراد انه تعالى شق تلك الاحجار
فانشقت انشقاقا بالطول والعرض فنبعت منها المياه لا انها انقلبت مياها
كما يفيده الظ فان قلت كيف جوزت ان يكون عذبا واجاجا حالين من المياه والحال
يجب ان يكون مطابقة لذيها فى التذكير والتانيث وهنا قد انعدمت حيث لم يقل
عذبة واجاجة قلت معنى الكلام انه تعالى اجرى المياه من الاحجار الشديدة
الصلابة حال كونها عذبا بعضها واجاجا بعضها كما فى قول امرئ القيس كان قلوب
الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى حيث لم يقل رطبة ويابسة
لكن ظاهره يقتضى حذف الفاعل وابقاء رافعه ولا يجوزه البصريون ولا بعض الكوفية
الا ان يقال تفصيل الحال لفظا يستدعى تفصيل ذيها وهو يجوز ترك تانيثهما فان
العذوبة بالنسبة الى البعض والاجوجة بالنسبة الى الاخر والاظهران يقال تسمى
عذبا وقسما اجاجا والاولى ان يحمل نصبه على التمييزية لعدم حاجته الى التاويل
فانه يكون مفردا وان كان المميز به مثنى او مجموعا اذا كان جنسا يثبت به اجزاؤه
ويقع مجردا عن التاء ويطلق على القليل والكثير كالماء والتمر ونحوهما انه يبلغ الماء
اذا كان لطيفا خفيفا وزنه لقلة ما يخالطه من الارضية وعدم ما يمازجه من
الاوساخ المدنية والكيفيات المعدنية الموجبة لفسادها جاريا على تربة لطيفة
غير قابلة للعفونة وخاصة الماء الجارى الى المشرق لان الرياح المشرقية

معتدلة

معتدلة بين الحرارة والبرودة مائلة الى اليبوسة فتكون مصلحة له وسيما الماء المنحدر
الى اسفل فان حركته اسرع فيزيد لطافته وخاصة اذا بعد المنبع لانه ح يكون
الطف لكثرة حركته بطول المسافة يرق لرقته ولطافته رطوبة الفم والسيلها د
ينفذها فى جرم اللسان وهو خال عن الطعوم وبذلك تحصل العذوبة لان طعم
هذه الرطوبة مائل الى العذوبة كالبلغم الطبيعى والعذوبة اول درجات الحلاوة
ولذلك يخيل لشاربه انه حلو والا فالماء البسيط لا طعم له ولا رائحة بل ولا
لون كما ثبت فى مقامه وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا من ابتدائية وهى مجرورها
فى موضع النصب على الحالية من الماء وثجاجا صفة له وانما قدم على
ذيها الضرورة رعاية الفاصلة مع كونها ظرفا والمراد انه تعالى انزل ماء
ثجاجا حال كونه مبتدءا وناشيا من المعصرات وهى السحاب اذا اعصرت اى
شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له ان يجزء
ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض ويمكن ان يراد بها السموات لان الماء
ينزل من السماء الى السحاب ومنه الى الارض فكان السموات تعصرن اى يحملن
على العصر ويمكن منه قال صاحب الدعاء جعلت له السحاب غربال المطر
لولا ذلك لافسد كل شئ وقع عليه ولا التفات الى ما يزعمه الطبيعيون اذ لم يقيموا
على ما زعموه من سبب حدوث المطر برهانا يعتمد عليه او دليلا تركن النفس اليه
بل الظ انه لا مجال للقول بان جميع الماء النازل من السماء هو الذى صعد من
الارض بمخالطة الهواء المتصاعد بسبب استيلاء الحرارة ولا للقول بان الصاعد
هو جزء من الف الف من النازل فيكون الصاعد عندهم معدا لانقلاب الهواء
ماء فيكون حدوث معظمه فى السماء ويجوز ان يراد بها الرياح ذوات الاعاصير

لان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلاله فصح ان يجعل مبدءا للانزال
وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فيحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك
فالانزال منها ظاهر وعن سيدنا الصادق عليه السلام ان لله رياح رحمة
لواقح ورياح تهيج السحاب فتسوقه ورياح تحبس السحاب بين السماء والارض
ورياح تعصره فتمطره باذن الله ورياح تفرق السحاب الحديث وماء ثجاجا منصبا
بكثرة يقال ثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية
وصب دماء الهدي فائدة السبب الاكثري في كبر حبات الامطار الصيفية في
الاكثر لا تخلو عن الادخنة التي هي مادة الريح الموصلة بتموجها للقطرات بعضها
ببعض فتكبر وفي الشتاء يكون الهواء ساكنا فلا اتصال تذنيب قالت الفلاسفة
ان الشمس اذا اشرقت على المياه والارض الرطبة تحلل منها اجزاء هوائية مازجها
اجزاء صغار مائية لا تميز بينهما في الحس لفرط الصغر والاختلاط والمركب
منهما يسمى بخارا وهو اذا صعد وبلغ في صعوده الى الطبقة الزمهريرية تكاثف
بسبب البرد فان لم يكن قويا اجتمع وتقاطر للثقل الحاصل من التكاثف والاجتماع
فالمجتمع السحاب والمتقاطر المطر وان كان قويا فاما ان يصل الى اجزاء السحاب قبل اجتماعها
او بعده فان كان الاول نزل السحاب ثلجا لان تلك الاجزاء الصغيرة انعقدت
وانضم بعضها ببعض وهو الثلج الذي يهبط كالقطن المحلوج وان كان الثاني
نزل بردا واما اذا لم يبلغ في صعوده لقلة حرارة الهواء فان كان كثيرا فاذا
اصابه برد ينعقد سحابا ماطرا كما حكاه ابن سينا انه شاهد وقد صعد من
اسافل بعض الجبال صعودا يسيرا وتكاثف حتى كانه مكبة موضوعة على
وهدة فكان هواء فوقها شمسا وكان من تحته من اهل القرية يمطرون

وقد

السماء تم

وصغر حبات الشتوية لان الادخنة في الصيفية

وقد يكون السحاب من انقباض الهواء بالبرد الشديد فيحصل معه الاقسام
ثم ان البخار ان انعقد بردا ان كان بعيدا من الارض كان صغير الحجم مستدير
الذوبان زواياه بالحركة السريعة الخارقة للهواء وان كان قريبا كان بالعكس وسبب
كثرته في البلاد الباردة في الربيعين دون الشتاء ان الاجزاء البخارية اذا تم ثمة
تكاثفها احاطت بها حرارة الهواء ودفع حرارة المحيط البرد الى باطن السحاب
فاستحال البخار وجمد دفعة واحدة لئلا يتحلل الحرارة فيها ولذا كان البخار من
الماء اسرع جمودا من البارد هذه جملة احوال الكائنات الجوية على ما يزعمونه
واكثرها لا يجامع ما ورد في الشريعة المطهرة على صادعها واله السلام الا بضرب
من التاويل وجعلت الشمس والقمر للبرية سراجا وهاجا يستضيئون به في معا
يشهم فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدو الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح
في ان يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لانه ربما احتاج الناس
الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في بعض الاعمال بالنهار او لشدة الحر وافراطه
فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض وقطع الخشب وما اشبه ذلك فجعل
ضوء القمر معونة لهم على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك وانسا للسائرين وفي
القمر خاصة في تعلله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة
الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون فتبارك الذي
جعل في السماء بروجا وجعل فيها قمرا منيرا وانما سمي قمرا للبياضة فان الاقمر هو
الابيض او لانه يقمر الكواكب اي يغلبها بزيادة النور وقد اضطربوا في انه الى كم
يسمى هلالا ومتى يسمى قمرا فقال الجوهري الهلال اول ليلة والثانية
والثالثة ثم هو قمر وزاد الفيروزابادي فقال الهلال غرة القمر او لليلتين

او الى ثلث او الى سبع وليلتين من آخر الشهر ست وعشرين وسبع وعشرين
وفي غير ذلك قمر وقال بعضهم يسمى هلالا لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا
الا ان يعود في الشهر الثاني وقال آخرون يسمى هلالا ثلث ليال ثم يسمى قمرا
وقال آخرون يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخط دقيق ثم يقال قمر
وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون في
الليلة السابعة ولعل في وصفه بالسراجية تائيد لهذا القول وجعله مجازا
بالمشارفة من باب ما يؤول اليه الشيء سمي والبرية الخلق يقال برأ الله البرية براه
خلقه ويجمع على البرايا والبريات من البرى التراب والسراج معروف ويقال
له النبراس ايضا وهو المشبه به وهذا التشبيه يسمى تشبيه التسوية وهو ان يكون
المشبه متعددا دون المشبه به كقوله صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي
وثغره في صفاء وادمعي كاللآلي فان قلت المشبه به واجب ان يكون اقوى
وانت في وجه شبه من المشبه قلت يجوز عند ارادة الجمع بين الشيئين في امر
كطلق اللون مثلا التشبيه ايضا كتشبيه الصبح بغرة الفرس متى اريد ظهور منير
في مظلم اكثر من ذلك المنير من غير قصد الى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء
والانبساط وفرط التلالؤ اذ لو قصد شيء من ذلك لوجب جعل الغرة
مشبها والصبح مشبها به لانه ازيد في ذلك ويمكن ان يكون هذا التشبيه من باب
تشبيه احاد من الجمل باخرى مثلها بان يشبه كل من النيرين بالسراج
المنير ويشبه من يستضيء بنورهما وينتفع به وهم البرية ممن يستضيء بنوره
وينتفع به وازالتهما الظلمة واظهارهما الاشياء مع ظهورهما بنفسهما
بازالته الظلمة واظهاره الاشياء وظهوره بنفسه الى غير ذلك من الا
ويمكن

ويمكن ان يكون من باب تشبيه الهيئة الحاصلة من احاد جمل باخرى مثلها
مثل قوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق فانه
يمكن فيه اعتبار كل من التشبيهين وان كان الثاني احسن ولما كان السراج
في الاصل مصدر الضياء او يقال لما كان اتصاف احدهما بالسراجية في وقت
لم يجامع وقت اتصاف الآخر بها افردهما على ذلك او هو جنس يطلق على ا
لواحد والمثنى وحذف في احدهما للظهور اي جعلت الشمس للبرية سراجاً
والقمر ايضا نورا وسراجا من غير ان تمارس فيما ابتدعته لغوبا ولا علاجا
كلمة غير وضعت للمغايرة وهي مستلزمة للنفي فتارة يراد بها اثبات المغايرة
~~وهي مستلزمة للنفي فتارة يراد بها اثبات المغايرة~~ كما في غير المغضوب عليهم
ولا الضالين فيكون اثباتا في حكم النفي لتضمنه اياه فيجوز تاكيده بلا و
اخريها النفي كقولك انا غير ضارب زيدا اي لست ضاربا زيدا لا اني
مغاير لشخص ضارب له فلفظة لا مزيدة لتاكيد معنى ما في غير من معنى النفي
ومارسه عالجه وزاوله كذا في القاموس والابتداع الاختراع لا على مثال
مثال سابق وكل خلق لا على مثال سبق هو مبدع بكسرها وفي كلام لصاحب
التعاجعلت له الفداء مذكور في اصول الكافي في باب جوامع التوحيد ابدع ما
خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله
لا من شيء صنع ما خلق ~~والله لا من شيء صنع~~ ما خلق والغرض انه تعالى خلق الاشياء
واوجده ابتداء من غير مثال فلم يكن صنعه كصنع البشر لان الصنايع ا
لبشرية انما تحصل بعد ان ترتسم في الخيال صورة المصنوع وتلك الصورة تحصل
تارة عن مثال خارجي يشاهده الصانع ويحذو حذوه وتارة بمحض الالهام

ابتداعا به

بفتح الدال وفتحها مبدع م

فان كثيرا ما تفاض على اذهان الاذكيا صور اشكال لم يسبقهم الى تصورها
غيرهم فيتصورونها في الخارج وكيفية صنع الله عز وجل منزهة عن الوقوع على
هذين الوجهين اما الاول فلانه تعالى كان ولم يكن معه شي ولا قبله فلا
يكون خلقه مسبوقا بمثال من صانع آخر صنع هو مثل صنعه واما الثاني فلان
الفاعل على وفق ما الهم وان كان مبتدئا ومخترعا في الظاهر لكنه في الحقيقة
ليس هو المبتدع وانما المبتدع هو مفيض تلك الصورة وعلمها ملهمها وهو
مفتقر في الحقيقة الى الغير الذي الهمه وافاض على ذهنه صورة ما ابتدعه ظاهرا
والله سبحانه منزه عن الافتقار والاحتياج فلم يكن صنعه بهذا الوجه ايضا
وفي بعض النسخ فيما ابتدات به بالهمزة والمراد به الابتدا الدهري او الزماني
لو كان له معنى واذا لم يوجب ابتدا الخلق من غير مادة نصبا ولا تعبا فبان
لا توجبه الاعادة لسبقها بالمادة اولى افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من
خلق جديد واللغب واللغوب النصب والتعب والاعيا والعلاج العمل با
لجوارح تقول عالجت الشي معالجة وعلاجا اذا زاولته والمراد انه صدرت منه
تعالى تلك الافاعيل العظيمة وصنوف ظهرت منه هذه الآثار العجيبة الغريبة
المتحيرة فيها اذهان الاذكيا من غير ان يزاولها ويعالجها بالاعضا كما
توهمه الكفرة الفجرة المجسمة والمشبهة ومن يحذو حذوهم ومن دون ان يتحمل فيها نصبا
ولا تعبا كما هو شان القوى المادية الجسمانية فانها تعجز او تكل عند
تكثر الافعال وتوارد الاعمال لتاثرها وانفعالها فهي لا تقدر على افعال
غير متناهية بخلاف القوى المجردة عنها وخاصة القدرة القديمة الواجبة
هو سبحانه ابدع بقدرته الخلق ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا
وكونهم بارادته تكوينا واحدثهم بحكمته احداثا من غير مزاولة بالاعضا و

المعالجة

بالجوارح ومن غير ان يمسه فيما فعله نصب ولا تعب والى ذلك يشير بقوله عز من
قائل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من
لغوب تذنيب روى رئيس المحدثين في كتاب العلل باسناده عن صاحب الدعا
جعلت له الفدا في حديث طويل انه قام اليه رجل من اهل الشام فقال يا امير
المؤمنين اني اسئلك عن اشيا فقال سل تفقها ولا تسال تعنتا فاحدق الناس
بابصارهم فقال اخبرني عن اول ما خلق الله تعالى وتبارك فقال خلق النور
قال فمم خلق السموات قال من بخار الما قال فمم خلق الارض قال من زبد الما
قال فمم خلقت الجبال قال من الامواج والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة
ونقل عن ثاليس الملطي ان اول ما ابدعه الله تعالى من الاجسام هو الما لانه قابل
لكل صورة ثم حصل الارض منه بالتكثيف والهوا والنار بالتلطيف اذ الما اذا
لطف صار هوا وتكونت النار من صفوة الما وانما تكونت من دخان النار ويقال
انه اخذه من التورية لانه جا في السفر الاول ان الله خلق جوهرا فنظر اليه نظر
الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ما ثم ارتفع منه بخار كالدخان فخلق الله منه
السموات وظهر على وجه الما زبد فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال ونقل
صاحب الملل والنحل عن ثاليس الملطي انه قال ان المبدع الاول ابدع العنصر الذي فيه
صور الموجودات والمعدومات كلها فانبعث من كل صورة موجود في العالم على
المثال الذي في العنصر الاول فمحل الصور ومنبع الموجودات هو ذات العنصر وما من
موجود في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة ومثال منه ثم
قال ومن العجب انه نقل عنه ان المبدع الاول هو الما ومنه ابدع الجواهر كلها

من السماء والارض وما بينهما فذكر ان من جموده تكونت الارض ومن انحلاله
تكون الهواء ومن صفوه الماء تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء
ومن الاشتعال الحاصل من النار والاثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز
دوران المسبب على السبب بالشوق الحاصل اليه ثم قال ان ثاليس الملطي انما
تلقى مذهبه من المشكوة النبوية يعني ما نقل عن التورية اقول ظاهر ما نقل عنها
وصريح ما نقل عن ثاليس الملطي يفيد ان ذلك الجوهر او ذلك الماء اول ما
ابدعه الله من الجواهر الجسمانية فلا منافاة بينه وبين الروايات الواردة من
العامة والخاصة ان العقل اول مخلوق ابدعه الله تعالى فمنها ما في الكافي عن
سماعة عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام ان الله عز وجل خلق العقل وهو
اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره والظاهر ان المراد بالعقل
في هذه الروايات هو النفس المجردة وتسميتها بالعقل من باب تسمية المحل باسم
الحال اذ العقل باصطلاح اهل الشرع غريزة نفسانية مدركة لما فيه صلاح
النفس في النشأة الاخرة وليس المراد ما اصطلح عليه الفلاسفة من العقول
العشرة اذ العقل باصطلاحهم جوهر مجرد في ذاته وفعله والرواية الصحيحة
الواردة في الطرفين صريحة في ان المراد به اما النفس او قوة قائمة بها حيث
قال لا اكملتك الا فيمن احب اما اني اياك امر واياك انهى واياك اعاقب
واياك اثيب وقوله تعالى ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر محمول
اما على الاستعارة التمثيلية بتشبيه الهيئة الحاصلة من القاء اوامر الله
ونواهيه الى النفس وتلقيها اياها بالقبول بالهيئة الحاصلة من امر السيد
عبده المطيع فيما يأمره وينهاه فتارة يأمره بالاقبال فيقبل واخرى بالادبار

فيدبر

فيدبر
او على الاستعارة التبعية فالاقبال استعارة عن الاتيان بالاوامر والادبار
عن الانتهاء عن النواهي فان قلت قد ورد عن النبي صلعم انه قال اول ما خلق الله
نوري وفي رواية روحي وفي اخرى اول ما خلق الله القلم فكيف التوفيق بين
هذا الخبر وهذه الاخبار قلت اول ما خلقه الله نفس النبي صلعم وهي من حيث
انها تدرك الاشياء كما هي عقل ومن حيث انها مدركة الاشياء يهتدى بها نور
ومن حيث انها باعث حيوة الخلق بالمعرفة والعبادة روح ومن حيث انها مظهر
الحقائق والدقائق قلم واما قول بعض الحكماء ان النفوس حادثة بحدوث البدن
فغير مسلم وكثير من الروايات ناطقة بخلافه منها صحيحة بكير بن اعين عن الباقر
المذكورة في الكافي خلق الله ارواح شيعتنا قبل ابدانهم بالفي عام ولا استبعاد
فيه اذ كما يجوز تعلق الارواح بعد خراب هذه الابدان بابدان مثالية جاز تعلقها
بها قبل تعلقها بهذه الابدان كما دل عليه كثير من الاخبار منها قول ابي جعفر ع
ان الله خلق الخلق ثم بعثهم في الظلال قال السائل قلت واي شيء الظلال قال
الم تر الى ظلك في الشمس شيء وليس بشيء هذا ولما دلت الفقرات السابقة على انه
تعالى واجب الوجود لذاته متوحد في فعله غالب على غيره اذ صدور تلك الافعال
العظام وخاصة ابداء الخلق وابداعه من غير لغوب من القدرة الممكنة غير ممكن
ولا كلام في ان من هذا شأنه فهو باق بذاته قاهر على غيره فرع عليه فيا من توحد
بالعز والبقاء تفرد وطلب من نفسه ان يكون واحدا والعز خلاف الذل والعزة
في الاصل القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع يقال عز يعز بالكسر اذا
صار عزيزا وعز يعز بالفتح اذا اشتد والعزيز المنيع الذي لا يغلب ويقال من

عزيز اي من غلب يسلب وعزه تعالى عبارة عن قدرته وغلبته على الممكنات
ويبقى لشيء من باب رضي بقاء بالمد فهو باق لم ينفد ما عندكم ينفد وما عند
الله باق والبقاء صفة الوجود وهو استمراره او هو وجود مخصوص فانه وجود مستمر و
بقاؤه تعالى عين ذاته فيستحيل ان يسبقه عدم او يلحقه انقطاع بل هو باق
ازلا وابدا وان مرت الدهور والاعوام ومضت الازمان والايام اذ لا غاية
له من زمان ينتهي اليها ولا امدة مضروبة ينتهي عليها كما يكون للزمانيات من زمانها
لان الدهور والاعوام والازمان والايام من جملة مخلوقاته ووجوده تعالى او
ان كان مقارنا لوجود الزمان بمعنى انه معه في الوجود اذ كان هو موجده و
خالقه الا ان مقارنة الزمان لا يقتضي الكون في الزمان كالعالم فانه مع الخردلة
وليس فيها واذا كان تعالى في الزمان لم يكن له غاية ينتهي عندها فثبت
انه تعالى باق دائم على مر الدهور والازمان والشهور لان الواجب بالذات ممتنع
العدم دائما فان كل ما كان واجب الوجود لذاته في وقت فهو واجب الوجود في
جميع الاوقات ازلا وابدا ما دام الذات لان الواجب بالذات ما كان مجرد
ذاته كافيا في كونه واجبا وكلما كان مجرد ذاته كافيا في كونه واجبا وجب
وجوده في كل وقت اذ لو وجب في وقت دون وقت لزم اما الترجيح بلا مرجح او
الوقوع بسبب وهم قد فسروا الباقي من اسمائه تعالى بما لا سبيل عليه للفناء اذا
الذي لا يعرض عليه عوارض الزوال ولا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال
والتعبير عنه بانه ابدي الوجود لان بقاءه غير متناه ولا محدود وليست صفة

بقائه

بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار ودوامهما لان بقائه ابدي ازلي وبقاؤهما ابدي
غير ازلي وليس المراد ببقائه استمرار وجوده من حيث انتسابه الى الزمان الثاني
كما هو المشهور في تفسيره وجوزه بعض الفضلاء المتأخرين المائلين الى القول با
لزمان الموهوم كما اشرنا اليه نعم يمكن تصحيح المعنى المشهور على القول بالزمان التقديري
كما اومأنا اليه في بعض رسائلنا المعمولة لتحقيق الحدوث الدهري فليطالع من
هناك **وقهر عباده بالموت والفناء** القهر الغلبة والقهار من صفاته تعالى والعباد جمع
عبد واكثر ما يطلق على المملوك وقد يطلق على الانسان حرا كان او رقيقا لان
صاحب الحكم يذهب بذلك الى انه مملوك لباريه عز وجل وقال سيبويه هو في
الاصل صفة قالوا رجل عبد ولكنه استعمل استعمال الاسماء وقال الجوهري و
اصل العبودية الخضوع والذل وللعبد عشرون جمعا اشهرها عباد وعبيد واعبد
وجعل بعضهم العباد لله وغيره من الجمع لله والمخلوقين والمراد بالعباد هنا جميع
ما سوى الله تعالى لاشتراك الكل في الامكان المصحح لطريان العدم يعني انه تعالى
يجعلهم مقهورين مغلوبين باماتتهم وافنائهم ويتفرد هو بالبقاء كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام والتعبير بصيغة الماضي للدلالة على تحقق
وقوعه كانه امر وقع وتحقق ومن لا يقول باعادة المعدوم بعينه بل بتفرق اجزاء
الجسم وخروجها عن حيز الانتفاع يأوله بان ما سوى الله تعالى دائما في التغير و
في معرض الفناء والزوال وهو تعالى من حيث الذات والصفات باق ازلا وابدا من
حيث الذات والصفات لا يلحقه شائبة تغير اصلا فكل شيء فان الا ذاته تعالى
وهذا مضمون رواية صحيحة رواها ثقة الاسلام في اصول الكافي وجماعة من
المتكلمين على ان الموت فعل من الله او من الملك يقتضي زوال حيوة الجسم

من غير خروج وجمهور المعتزلة القائلين بان النفس جسم لطيف بخاري يتكون
من الطف اجزاء الاغذية وينفذ في العروق الضوارب والحيوة عرض قائم بالنفس
وحال فيها فالمراد بكيفية قبض ملك الموت للنفس انه يلج في فم الانسان الى قلبه
لانه جسم لطيف هوائي لا يتعذر عليه النفوذ في المخارق الضيقة فيخالط النفس
التي هي كالشبيهة به لانها جسم لطيف بخاري ثم يخرج من حيث دخل والنفس
معه وانما يكون ذلك في الوقت الذي باذن الله تعالى له فيه وهو حضور الاجل
وهؤلاء نافون للنفس المجردة واما المثبتون لتجردها كاعاظم الحكماء الالهيين
واكابر الصوفية العارفين وهؤلاء نافون للنفس المجردة واما المثبتون لتجردها
كاعاظم الحكماء الالهيين واكابر الصوفية العارفين وجمع من المتكلمين كقدماء
اصحابنا الامامية مثل ابن بابويه والمفيد والمرتضى وبني نوبخت والغزالي و
الفخر الرازي وغيرهم فحقيقة الموت عند هؤلاء هي انقطاع تعلق النفس با
لبدن وتصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به وكيفية قبض ملك الموت
لها انه يتولى افاضة العدم على قوى هذا البدن حال انقطاع تعلق النفس به
وعلى هذا فيكون خروج النفس عن ابدانها كما ورد في بعض الايات والروايات
كناية عن مفارقتها لها وانقطاع تعلقها بها ولما كانت النفس منغمسة منغمرة
في عوارض البدن وعلايقه المادية وملاحظتها اياه دائما لا ينفك عن الالتفات
اليه ما دامت متعلقة به لسعيها في مصالح هذا المزاج وصلاحه واعدادها اياه
لتمام التصريف والاستعمال كانت كانها حالة فيه حلول الساكن في الدار القايم
بمصالحها فعبر عن القائها اياه لتمام التصريف والاستعمال كانت كانها حالة فيه

حلها وطرحها

حلول الساكن في الدار القايم بمصالحها فعبر عن القائها اياه وطرحها له وتخليتها
عنه بالخروج عنه فالموت عند الاولين من المتكلمين كما سبق وجودي واستدلوا
عليه بقوله خلق الموت والحيوة ليبلوكم فان المعدوم لا يوصف بالخلق والحق انه
المراد به احداث اسبابه على حذف المضاف وله اسباب منها ما به يفسد مزاج
القلب من الم شديد او كيفية مفرطة من الكيفيات المعلومة او كيفية غريبة سمية
او احتباس مادة النفس والبرسمون في الاكثر يموتون لعدم النفس هذا وفني
المال يفنى من باب تعب نفد ويتعدى بالهمزة فيقال افنيته والقول بان الله
يخلق الفناء فيفني به الاجسام جميعا لكونه ضدا لها ليس بشيء لانه لو كان قائما بذاته
كان جوهرا ولو كان قائما بغيره فاما جوهر او ينتهي اليه وعلى التقديرين لا يكون
ضد الجوهر فلا ينافيه تبصرة قال بعض المحققين اعلم ان الذي نطقت به
الاخبار وشهد به الاعتبار ان الموت ليس الا تغير حال وهو مفارقة ا
لروح لهذا البدن الجاري مجرى الالة التي للصنعة وان الروح باقية بعده كما
شهدت به البراهين العقلية والاخبار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له انقطاع
تصرفها فيه لخروجه من حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج
الى الة فهي معطلة عنه بعد مفارقة البدن الى ان تعاد اليه في القبر او يوم
القيمة وما كان لها بنفسها من غير الة فهو باق معها تتنعم وتفرح او تحزن
من غير حاجة الى هذه الالة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها
هناك وقد ضرب للمفارقة التي سميناها بالموت مثل الفلج كما ان بعض
اعضاء المريض يتعطل بسبب فساد مزاج يقع فيه او بسبب شدة تعرض للاعصاب

فتمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما انقضى عليها
منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء وتعطلها وحاصل هذه
المفارقة تعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والالات والتعينات
الدنيوية من الاهل والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء
عن الانسان او يسلب هو عنها اذا كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك بنهب
مال الرجل وسلب ذريته وقد يحصل بسلبه ونفيه عن اهله وماله فالموت بالحقيقة
هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر فان كان له في هذا العالم
شيئ يانس به ويستريح اليه فبقدر عظم خطره عنده تعظم حسرته عليه في الاخرة
ويكون بسبب عظم خطره عنده ضعف تصوره لما اعد للابرار المتقين في الاخرة
مما يستحقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا واما ان كان عين بصيرته مفتوحة
حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذا خلي
بينه وبين محبوبه تقطع علايقه وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف له
هناك ما كان يدركه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما ان هذا
المستيقظ ما راه في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولذلك كان الموت راحة
للمؤمنين ومحبوبا للمتقين كما اشار اليه سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله اجمعين
ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله صل على محمد علم منقول من اسم المفعول المضعف
سمي به نبينا الهاما من الله وتفالا بانه يكثر حمد الخلق له وآله الاتقياء
المتنزهين عما يشغل سرهم عن الاقبال عليك والمتبتلين باسرارهم اليك و
هذا هو التقوى الحقيقي المعني بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته وقد سئل
لبعض

بعض اهل بيت العصمة سلام الله عليهم عن معناه فقال هو ان لا يراك الله
حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك فالتقي من يجتنب المنهيات باسرها ويرتكب
المامورات بتمامها وقد يراد به من يتوقى من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك فله
ثلث مراتب والمعروف باسم التقوى في عرف الشرع هو المرتبة الثانية والتقوى في
اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية من المحذورات وعند اهل الحقيقة هي
الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وقيل هي وقاية النفس عما يضر في الاخرة
من اعتقاد وعمل وخلق وقال بعض العلماء التقوى بحسب العرف الشرعي تعود
الى خشية الحق سبحانه المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من
متاع الدنيا وزينتها وتنحية ما دون وجهه القصد وقيل ان خيرات الدنيا و
الاخرة جمعت تحت لفظة واحدة وهي التقوى انظر الى ما في القران الكريم من
ذكرها فكم علق عليها من خير ووعد لها من ثواب واضاف اليها من سعادة
دنيوية وكرامة اخروية ولنذكر من خصالها واثارها الواردة فيه اثنتي عشرة
خصلة الاولى المدحة والثناء قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم
الامور الثانية الحفظ والحراسة النابه والنصرة قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا الرابعة النجاة
من الشدائد والرزق الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب الخامسة صلاح العمل قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادسة غفران الذنوب قال تعالى
ويغفر لكم ذنوبكم السابعة محبة الله قال تعالى ان الله يحب المتقين الثامنة
قبول الاعمال قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم العاشرة البشارة عند
٢ قال تعم انما يتقبل الله من المتقين التاسعة الاكرام والاعزاز قال تعم

الخادمي

الثالثة الحفظ والحراسة قال تعم وان تصبروا وتتقوا لا يضرهم كيدهم شيئا

ايمان

الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الحادية عشرة
النجاة من النار قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا الثانية عشرة الخلود في الجنة وننجي المؤمنين
قال تعالى اعدت للمتقين فقد ظهر لك ان سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة
تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم وخير كثير وفوز كبير انتهى والاتقياء جمع تقي
وهو المتجنب عن المعاصي وقال صاحب المصباح الفيومي رجل تقي زكي وقوم اتقياء
وتقي يتقي من باب تعب تقاة والتقاء والاسم التقوى واصل التاء واو لكنهم
قلبوا انتهى فاصل تقي وقي قلبت الواو تاء كما في تخمة وتراث واسمع اي استماع
قبول واجابة والا فهو سبحانه سميع لا يشغله صوت عن صوت ولا شان عن
شان وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت
فيكون المراد بالسماع الاجابة والقبول وهو في الاستعمال شايع يقال
فلان سامع اي سامع لما تؤمر به كانما كان سمع طاعة وقبول ومنه قوله
تعالى واتقوا الله واسمعوا وقال بعض العلماء اصل الاستماع الاصغاء لكنهم
استعملوه في الاجابة وقبول الامر كثيرا ما تقول سمع فلان ما قلت له ومنه
قولهم سمع القاضي البينة اي قبلها انتهى ومن هذا القبيل قوله صم اذا سمعوا
خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وقول الاخر اصم عن الشيء الذي
لا اريده واسمع خلق الله حين اريده والمشهور في الاستدلال على كونه تعالى
سميعا مع قطع النظر عما علم ضرورة من دين نبينا عليه وآله السلام من كونه سميعا
ان كمال الحيوة ولا سيما كونها مع كمال التجرد يقتضي ادراك المسموعات وليس سمعه
تعالى من صفات الفعل المتعلقة بالموجود العيني ليكون حادثا بعد الوجود بل

هو

هو من صفات الذات فيكون قديما يمكن تعلقه بالمعدوم كما بالعلوم وبعد وجود
المسموع يتعلق به من حيث الوجود والحضور ولا تفاوت بين حضوره باعتبار الوجود
وعدمه فيما يرجع الى هذه الصفة نعم لما كان هذا النوع من الادراك في الانسان
مثلا مشروطا بشرايط لا يتصور في المعدوم لم يمكن تعلقه به ولا يشترط شيء في سماعه
تعالى فلا يستحيل تعلقه بالمعدوم وقال المحقق الطوسي لما كان السمع والبصر الطف
الحواس واشدها مناسبة للعقل عبر بهما عن العلم ولاجل ذلك وصفوا الباري تعالى
بالسميع والبصير دون الشام والذائق واللامس وعنوا بهما العالم بالمسموعات
والمبصرات واستجب لي اي احب واستجب عني ولعله عليه السلام اراد الايماء بذلك الى قوله
تعالى ادعوني استجب لكم وللاجابة شرايط وآداب من طرف الداعي اذا اختل وجد منها
لم يجبه منها اخلاص النية وحضور القلب والاستكانة والخشوع والصدق والالحاح و
حسن الظن بالله وتعلق القلب به وقطعه عن الاسباب ومن اهمها الصلوة على رسول
الله واهل بيته عليهم السلام فلا ينبغي له الترك واليأس بل الواجب عليه اصلاح سره و
حاله ليكون مطابقا لمقتضى الحكمة والمصلحة فيجيبه وقد يجيب ويؤخر لضرب من المصلحة
ولو لم يستجب يعوضه اما في الدنيا والاخرة كما اشار الى ذلك صاحب الدعاء جعلت
له الفداء في وصيته لابنه الحسن عليهما السلام حيث قال ولا يقنطنك ابطاء اجابته فان
العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة فيكون ذلك اعظم لاجر السائل و
اجزل لعطاء الامل وربما سالت الشيء فلا تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا او اجلا
او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته
فانظر كيف عدد عليه السلام لتاخر الاجابة اسبابا لئلا يخطأ السائل عند تاخرها

فلا يقنط من رحمة الله تعالى واما ما يقال اى فائدة فى الدعاء لان المطلوب منه
ان كان مقدرا امتنع وقوعه وان كثر فيه دعاؤه فجوابه معلوم لانه تعالى اذا قدر شيئا
ان لا يقع الا بالدعاء وعدم دعائه دليل على عدم كونه مقدرا له وقد جاء فى الخبر
عن سيد كثير انه سال الحق فى امر فرغ منه او فى امر مستانف فقال الحق فى امر قد فرغ
منه وفى امر مستانف واما من دعا لا يلزم من دعائه ان يصل اليه ما قدر وصوله
اليه بالدعاء فان الدعاء وحده ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط
آخر كما سبق هذا والدعاء بالضم والمد والنداء متقاربان بل مترادفان الدعاء لغة
النداء والاستدعاء تقول دعوت فلانا اذا ناديته وصحت به لان صلة الصياح وا
لدعوة المرة واصطلاحا طلب الادنى للفعل من الاعلى على جهة الخضوع والاستكانة
وقيل هو الرغبة الى الله وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع وقد يطلق
على التمجيد والتقديس لما فيه من التعرض للطلب بل عطا عن معنى قول النبى عم خير
الدعاء دعائى ودعاء الانبياء من قبلى وهو لا اله الا الله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير
وليس هذا دعاء وانما هو تمجيد وتقديس فقال هذا امية بن ابى الصلت يقول فى
ابن جدعان اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء فيعلم ابن جدعان
ما يراد منه بالثناء عليه ولا يعلم رب العالمين ما يراد منه بالثناء عليه وحقق
بفضلك املى ورجائى امر من حقق بمعنى ثبت اى اجعله محققا مقضيا او من حق
الامر بمعنى تحقق فالمقصود اجعله محققا متيقنا بحيث لا يكون منكوكا
لى والفضل الزيادة وكثرة واصله ان يبقى من الشىء زيادة لا يحتاج اليه وفضله

وجب وقوعه والا امتنع له وان لم يكن مقدرا منه

تعالى افاضة جوده وكرمه ابتداء من دون سابقة استحقاق فاذا عرف العبد سعة
رحمته وفضله ولطفه ورافته واحسانه وجوده وامتنانه واجراء نعمه عليه ظاهرة
وباطنه جلية وخفية ضرورية وغير ضرورية منذ كونه جنينا فى بطن امه بلا سبق
استحقاق ولا تقدم استيهال كان ذلك موجبا لسكون نفسه اليه باعثا على رجائه
دليلا له على توقع قضاء حاجته منه واسعافه بما موله فلا جرم جعل ذلك سببا
لسواله والامل محركا للرجاء فى لطف تفسيرى يا خير من دعاه الداعون وافضل من رجاه الراجون
حذف الداعى للتعميم لانه تعالى يدعوه وليه له من فى السموات والارض كما اشار اليه
فى كتابه الكريم وكاشف وهو المدعو له كالضرب دفع الشىء عما يواريه ويغطيه وبعبارة
اخرى دفع الستر والحجاب عن الشىء ومنه الكشاف واضافة المصدر الى المفعول اى
لكشفه الضر وفيه استعارة بالكناية وترشيح او استعارة تمثيلية مرشحة بان شبه الهيئة
الحاصلة من احاطة الضر بالمضطر واصطحاب احدهما الآخر بالهيئة الحاصلة من
~~احاطة الضر بالمضطر واصطحاب احدهما الآخر بالهيئة الحاصلة~~ من احاطة الستر
المستور واصطحاب احدهما الاخر ومن اسمائه تعالى كاشف الضر معناه المفرج الذى
يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف عنه السوء والضر بفتح الضاد خلاف النفع وبالضم
الهزال وسوء الحال وضره وضاره بمعنى والاسم الضر والمامول معطوف على الكشف
اى لحصوله وقضائه والحاجة ففيه اشارة الى انه تعالى مدعو لامرين دفع الضر
وجلب النفع لكل عسر ويسر صعب وسهل او جليل وحقير لانه ينبغى للعاقل ان
يرجع فى كل حوائجه الى ربه وينزلها به جليلة كانت او حقيرة ولا يانف من رفع
المحقرات اليه فانه غاية التوكل عليه يا موسى سلنى كل ما تحتاج اليه حتى علف شاتك

دملج مجينك والعسر ضد اليسر وهو الضيق والشدة والصعوبة فاليسر هو السعة
والرخا والسهولة قال اسحق بن بهلول القاضي فلا تياس وان عسرت يومًا
فقد ايسرت في دهر طويل ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل
وان العسر يتبعه اليسار وقول الله اصدق كل قيل اعلم ان من اسباب اجابة
الدعا ان لا يعتمد الداعي على غير الله تعالى اذا اراد احدكم ان لا يسال ربه
شيئا الا اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكن له رجا الا من عند الله فاذا
علم الله ذلك من قلبه لم يسال له شيئًا الا اعطاه يا غني سلني ولا تسال غيري
فيحسن منك الدعا ومتى الاجابة والى ذلك اشار بقوله بك لا بغيرك انزلت
حاجتي لانه ليس لانجاح بغيتي واسعاف طلبتي قادر سواك فتقديم الظرف لافادة
التخصيص والحصر وذلك لانه تعالى لما كان له خزاين السموات والارض وكان امرها
بيده ولا معطي ولا مانع الا هو وقد امر بالدعا وتكفل بالاجابة وكانت له القدرة
التامة التي لا يعجزها شيء والجود الذي لا بخل فيه والغنى الذي لا بخل فيه و
الغنى الذي لا فقر معه لا ينقصه عطا ولا يضره منع لا جرم من طلب اصلاح
خلته وجبر فاقته من غيره ورام صرف الفقر عن نفسه بطالبا الحاجة من
موضعها الذي يعلم انها فيه وقصد ما طلبه من جهته التي يقصد منها فكان حريا
بالنجح لما سال وجديرا بالظفر بما طلب واما من توجه بحاجته الى احد من المخلوقين
واناخ مطايا الرجا والطلب في ساحة فقير عاجز مثله او جعله سببا لنجاحها
تلطفها معتمدًا عليه دون الله فقد تصدى للمنع وفوت الاحسان من الله
تعالى اذ لم يات حاجته من الوجه الذي ينبغي ان ياتيها منه ولم يطلبها من محلها

الذي

الذي هي فيه ومن التمس الشيء من غير محله واتاه من غير جهته لم يظفر الا بالحرمان
ولم يحصل الا على خيبة الطلب روي ان ابا عبد الله عليه السلم قرا في بعض الكتب ان
الله تعالى يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كل
مومل غيري بالياس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي و
لابعدنه من وصلي ايومل غيري وبيدي مفاتيح في الشدايد والشدايد بيدي و
يرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة و
بابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني لنوايبه فقطعته دونها ومن ذا الذي
رجاني لعظيمه فقطعت رجاه مني جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا
بحفظي وملات السموات ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني
وبين عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نايبة من نوايبي انه لا يملك كشفها
احد غيري الا من بعد اذني فما لي اراه لاهيا عني اعطيته بجودي ما لم يسالني ثم
انتزعته منه فلم يسالني رده وسال غيري افتراني ابدا بالعطا قبل المسلة ثم اسال
فلا اجيب سايلي ابخيل انا فيبخلني عبدي اوليس الجود والكرم لي اوليس العفو والرحمة
بيدي اوليست انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المومِّلون ان يوملوا غيري
فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعًا ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل
الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بوسا للقانطين من رحمتي
فيا بوسا لمن عصاني ولم يراقبني وفي هذا المعنى احاديث اخر يعدها العامة والخاصة لا يقال العالم
عالم الاسباب فكيف يذم من رجع الى الغير لظنه انه سبب لانا نقول الذم

باعتبار ان قلبه تعلق به واعتمد عليه واما من لم يركن اليه ولم يثق به ولم يعتمد عليه
فالظاهر انه غير مذموم والاولى مع ذلك ان يرجع الى الله تعالى فان شاء ان يكون
قضاء حاجته على يد احد جعله وسيلة له شاء او لم يشأ هذا ونزل بالمكان حل به
والمراد بانزال الحاجة به تعالى عرضها عليه واستدعاء انجاحها منه فهو على الكناية
والترشيح لان الحاجة عرض لا يتصف بالنزول لان الصعود والنزول والحركة
والسكون وما شاكلها من صفات الاجسام فلا يتصف بها الا المتحيز بالذات
والغالب ان النزول موصول بالى او على الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
نزل به الروح الامين على قلبك ربنا انزل علينا مائدة من السماء فحل الله
صباحي هذا نازلا على بضياء الهدى ان الله ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا
اى رحمته والطافه او ملائكته فلعل الوجه ان استعمال النزول معها انما يكون
اذا كان النازل في جهة عالية والمنزول عليه على خلافها كما في الآية والرواية
واما اذا كان الامر بالعكس فلا بد من وصلها بالباء لتدل على نحو من المقاربة
حقيقة او حكما ومنه نزل بك وانت خير منزول به والا فليس له تعالى منزل و
مكان ليتصور النزول به حقيقة فهو مجاز عن القرب الحاصل بالتبتل والا
نقطاع عن غيره اليه والتوكل عليه او هو مبني على الكناية والترشيح بتشبيهه تعالى
ذلك لعظيم تشد اليه الرحال وينزل عليه الرجال ولما حصر طرق نجاح
مطالبه ومسالك افاضة مسائله ومآربه عليه تعالى وهو اجل ذكره كريم لا ينبغي له
ان يرد الطالب والسائل عن بابه خائبا كيف وقد قال في كتابه العزيز و
اما السائل فلا تنهر فرع عليه قوله فلا تردني من سني مواهبك خائبا
السني

السني فعيل من السناء وهو الرفعة ومنه تشر امتي بالسناء اى بارتفاع المنزلة
والقدر عند الله تعالى وقد سني يسنى سناء اى ارتفع واما السنا بالقصر فهو
الضوء اى من مواهبك الرفيعة بالاضافة من قبيل جرد قطيفة والهبة العطية
الخالية عن الاعواض يقال وهبت له شيئا وهبا وهبة والاسم الموهب والموهبة
بالكسر وخائبا حال عن ضمير المفعول وقد مرت الخيبة مفسرة والظرف مع المضاف
اليه متعلق به اى لا ترجعني في حال الخيبة من عطياتك السنية وعن الباقر ع
ما بسط عبد يده الى الله عز وجل الا استحيى الله عز وجل ان يردها صفرا حتى
يجعل فيها من فضله ورحمته ما يشاء فاذا دعا احدكم ربه فلا يرد يده حتى
يمسح بها على راسه ووجهه وفي دعائهم عليهم السلام ولم ترجع يد طالبة
صفرا من عطائك وخائبة من نحل هباتك يا كريم يا كريم يا كريم ثلثا
قيل اذا عين ذكر بعدد مخصوص فلا ينبغي ان يتجاوز الداعي العدد المنصوص
عليه ولا ينقص منه فان استحقاق الثواب او الاثر المترتب على عدد معين
لا يترتب على الاكثر منه او اقل وبه صرح ابن طاوس وغيره وقد مثل له بما
اذا قال لك صادق القول عد من هذا المقام عشرة اذرع تجد كنزا فانه
يطلق على ضد اللوم ويطلق على الجود والمراد هنا وهو قال ابن الاثير من اسمائه
تعالى الكريم وهو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه ولما كان الجود الالهي
لا بخل فيه ولا منع من جهته لم يخيب سائلا عن حاجته وان عظم خطره
وجل قدره اذ لا اثر للنقصان في خزاين ملكه وعموم جوده بل جود غير متناه

ه كان فيه كنز فلا شبهة في انه لا يمكن تحصيل فيما فوق العشرة ولا دون انتهى م

وكرمه غير محدود حكى ابو القاسم الدمشقي قال كنت واقفاً على حلقة الشبلي في
جامع المدينة فوقف سائل على حلقته وجعل يقول يا الله يا جواد فتاوه الشبلي
وصاح فقال كيف يمكنني ان اصف الحق بالجود ومخلوق يقول في مثله تعود
بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله تراه اذا ما جئته متهللا
كانك تعطيه الذي انت امله ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله
سائله هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله ثم بكى وقال بلى
يا جواد انت الجواد فانك اوجدت تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم ثم مننت
بعد ذلك على قوم بالاستغناء عنهم وعما في ايديهم فانت الجواد كل الجواد فانهم
يعطون عن محدود وعطاؤك لا حد له ويفتقرون اذا اعطوا ولا تفتقر
من العطاء ولا تعجز عن الجزاء فيا جوادا يعلو كل جواد وبه جاد كل من جاد هذا
والكريم الكثير الخير ونخلة كريمة اذا طاب حملها او كثر والكرم يسمى الذي يدوم
ويسهل تناوله كريما ومن كرمه تعالى انه يبتدئ بالنعمة قبل استحقاقها ويغفر
الذنوب ويعفو عن المسيء وقيل الكريم المعبود وقيل انه الصفوح وقيل معناه
العلي الرتبة ومنه كرائم المواشي لنفائسها وقال الواحدي الكريم اسم جامع
لكل ما يحمد ويستحسن في بابه فالله تعالى كريم لانه محمود في كل ما يحتاج
اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان كل شيء اولئك لهم مغفرة ورزق
كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام واللذة وقيل الكريم العزيز كما تقول فلان
اكرم علي من فلان اي اعز وقوله تعالى انه لقرآن كريم اي عزيز وقيل الكثير
الخير الدال على انه من عند الله والجواد هو المنعم المحسن الكثير الانعام

والاحسان

والاحسان والفرق بينهما ان الكريم هو الذي يعطي مع السؤال والجواد هو الذي
يعطي من غير السؤال وقيل بالعكس وتكرار ذكره تعالى لاتصاف المخبر عنه من غير
بخل ومنع وللتعويل على كل من يقدر ان يقبله بقوله يا نقبله وهذا من باب
تعليق الامر على الوصف ليدل على عليته وذلك انه تعالى لما كان كريما والكريم
اذا وعد وفى وهو سبحانه قد وعد لاجابة الدعاء فقال ادعوني استجب لكم
فليس لائقا لوجهه الكريم وفضله الجسيم ان يرد سائله من عطاياه العميم و
احسانه العظيم فلا تردني من سني مواهبك يا كريم برحمتك يا ارحم الراحمين
الذي سبقت رحمته غضبه وهو الذي كتب على نفسه الرحمة والباء للاستعطاف
او للسببية اي فلا تردني خائبا بسبب رحمتك التي وسعت كل شيء لا باستحقاق
مني وتعقيب الدعاء بهذا النداء نوع لحصول المطلوب واستعطاف بوصفه الدال
على انه الجواد المطلق الذي لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا مضرة يدفعها عنه وكل
رحيم سواه فرحمته لغرض من الاغراض اما ثناء دنيا او اجرا او الرقة كما
من الجبلة او نحو ذلك على ان تلك الرحمة ايضا تتوقف على داعية يخلقها الله
تعالى فيها والآفات والآلام التي نراها في هذا العالم لا تنافي رحمته تعالى لا
كانها منبعثة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية في الوجود
لاشتمالها على خيرات اكثر من شرور ومما يناسب ايراده هنا ما روي بعضهم
انه اوقف على صبي في بعض الطرقات ينادى عليه من يزيد في يوم صائف
شديد الحر فبصرت به امراة وهو ينادى عليه فعادت مسرعة اليه واخذته
الصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على البطحاء وجلسته على بطنها فصرخ
فقول ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فقال رسول الله صلى

وقف عليهم فاخبروه فقال اتعجبتم من رحمة هذه ابنها ان الله ارحم بكم من هذه
بابنها مفرق المسلمون وهم فرحون مستبشرون وروى انه سبحانه لما نفخ في آدم
من روحه وصار بشرا فعند ما استوى جالسا عطس فالهم ان قال الحمد لله
رب العالمين فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله تعالى يرحمك الله يا ادم
فكان اول خطاب توجه منه اليه بالرحمة وحين ارسل موسى الى فرعون ليتوعده
قال له اخبره انى الى العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة وروى انه
لما استغاث بموسى حين ادركه الغرق ولم يستغث بالله فاوحى اليه يا موسى
لم تغث فرعون لانك لم تخلقه لو استغاث بي لاغثته وروى ان يونس بن متى
لما صار الى البحر الذي فيه قارون قال للملك الموكل به ما هذا الدوى والهول
الذي اسمعه قال هذا يونس الذي حبسه الله في بطن الحوت فجالت به البحار
السبعة حتى صار الى هذا البحر فهذا الدوى لمكانه قال افتاذن لي في كلامه
فقال قد اذنت لك فقال له قارون ان توبتي جعلت الى موسى وقد تبت اليه
فلم يقبل وانت لو تبت الى الله لوجدته عند اول قدم ترجع بها اليه اولا تنظر الى
حسن صنعه لعباده وكيف تعلقت عنايته بالاحسان اليهم وترحمه لهم وقد
الرحمة النعمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اى نعمة عليهم ويقال للقرآن
رحمة وللغيث رحمة اى نعمة ويقال الرحمة كالقلب من الخلق رحيم لكثرة وجود
الرحمة منه بسبب الرقة واقلها الدعاء للمرحوم والتوجع له واطلاق الراحم
عليه تعالى وعلى غيره انما هو من باب الاشتراك اللفظي اذ لا شركة بينه
وبين غيره في المعنى اصلا فان رحمته تعالى تناسب ذاته المقدسة ورحمة
غيره

غيره دون الخطاب تقتضي الشفقة واللطف بالخلق وليست في حقه تعالى
بمعنى الرقة بل معناها ايجاد النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه لانه ذو الرحمة
الكاملة التي وسعت الخلق في ارزاقهم واسباب معاشهم رحمت المؤمن والكافر
والصالح والطالح وغيرهم من الموجودات خير الغايات واخوف المبادي
وقد مرت في فواتح الدعاء مبسوطة مشروحة فليتذكر وصلى الله على خير خلقه
سيدنا السيد ولد آدم بل آدم ومن دونه تحت لوائه بل كان نبيا وادم بين الماء
والطين وهو المشرف بخطاب لولاك لولاك لما خلقت الافلاك وفي اضافة المصدر
المفيدة للعموم دلالة على انه اشرف المخلوقات واكمل الموجودات وهو كل لقوله
انا سيد من خلق الله وقوله تعالى خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي لانه
اول من تشرف بعناية الله وصار مظهر جلاله وجماله وقد تقرر في مقره ان اول
خلق الله اشد مناسبة بذاته تعالى اذ لا واسطة بينه وبين خالقه واما
استدلال صاحب الكشاف فيه بكريمه انه لقول رسول كريم على افضلية جبريل
منه حيث قال وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانته جبريل وفضله على
الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد اذا وازنت بين الذكرين حين
قرنت بينهما وقايست بين قوله وما صاحبكم بمجنون ففيه انه تعالى كف لسان
في هذا المكان عن ذكر نعوته اما لكونه اجل من ان يمدح في عرض مدح غيره
وان كان جبريل او لان المخاطبين بهذه الآية لما زعموا انه مجنون وان
القرآن مما القاه الشياطين الى الكهنة اقتضى المقام ان لا ينعته بصفة الكمال
لئلا يزيدهم انكارا ولذا اخرج الكلام على سبيل التلطف بهم والمراد

انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون

معهم حيث اضيف صلى الله عليه وآله الى انفسهم وعدّ من جملتهم بيانها على ان شانكم ان تفتخروا
به على كافة البرايا حيث ان الله اصطفى من انفسكم من بلغ تلك المرتبة العظمى
لا ان تنسبوه الى ما يرجع اليكم نقصا وليلب عنكم عن هذا وهذا الكلام منه
عليه السلام خبر وقع موقع الانشاء اما للتفال بلفظ الماضي على انه من الامور
الحاصلة التي حقها ان يخبر بافعال ماضية او لاظهار الحرص في وقوعه لان ا
لطالب اذا عظمت رغبته في شيء كثر تصوره له فربما يخيل اليه حاصلا فيورده
بلفظ الماضي وهذا معنى قولهم ان الدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الامرين
روى ابن المغازلي عن سلمة بن كهيل قال مر علي بن ابي طالب عليه السلام على رسول الله
صلى الله عليه وآله وعنده عائشة فقال يا عائشة اذا سرك ان تنظري الى
سيد العرب فانظري الى علي بن ابي طالب فقالت انت سيد العرب فقال انا
امام المسلمين وسيد المتقين واذا سرك ان تنظري الى سيد العرب فانظري الى
علي بن ابي طالب وعن سعيد بن جبير عن عائشة قال اقبل علي بن ابي طالب عليه السلام
فقال النبي صلى الله عليه وآله من سره ان ينظر الى شباب العرب فلينظر الى علي بن ابي طالب اي
فقالت الست سيد شباب العرب فقال انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب وفي رواية
اخرى قال رسول الله صلى الله عليه وآله انتهيت ليلة اسري بي الى سدرة المنتهى فاوحى الي في
علي ثلث انه امام المتقين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين الى جنات النعيم و المرسلين خ ل
السيد عند بعض اهل اللغة المسن من المعز قال الجوهري وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله
ثني من الضان خير من سيد المعز وقد يقال لملك القوم وعظيمهم سيد و
ساد فلان قومه يسودهم سوددا بالضم وسيادة اذا صار رئيسهم وقال الزجاج

السيد الذي يفوق في الخير قومه وقال بعض اهل اللغة السيد المالك او من
في حكمه الذي يجب طاعته ولذا يقال سيد الغلام ولا يقال سيد الثوب وقيل
لقيس بن عاصم بم سدت فضحك قال ببذل الندى وكف الاذى وقال النبي
صلى الله عليه وآله علي سيد العرب فقالت عائشة يا رسول الله الست سيد العرب فقال انا
سيد ولد آدم وعلي سيد العرب فقالت وما السيد فقال من افترضت
طاعته كما افترضت طاعتي فعلى هذا الحديث السيد هو الملك الواجب الاطاعة
وقد يطلق السيد على الرب والشريف والفاضل والكريم والحليم والمتحمل اذى
قومه والمقدم والزوج ومنه القياس سيدها لدى الباب واصله سيود قلبت الواو
لاجل الياء الساكنة قبلها ياء ثم ادغمت محمد وآله الطاهرين بتطهير الله اياهم من
من كل رذيلة واذهابه منهم دنس كل كبيرة وصغيرة والطهارة النقاء من
الدنس والنجس والطاهر النقي منهما وفي اصطلاح ارباب العرفان الطاهر من
من عصمه الله من المخالفات وهو ينقسم الى طاهر الظاهر وهو من عصمه الله
من المعاصي والى طاهر الباطن وهو من عصمه الله من الوساوس والهواجس
وطاهر السر وهو من لا يذهل عن الله طرفة عين وطاهر العلانية وهو من قام
بتوفية حقوق الحق والخلق جميعا لسعته برعاية الجانبين ولا خفاء في ان
المراد بها هنا ما يعم جميع هذه الاقسام وهذه النعوت لهم عليهم السلام عين
الحق ونفس الواقع كيف لا وهم الذين قال الله في شانهم انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وما احسن واصدق ما قال الجاحظ

فيهم هم سنام العالم وصفوة الامم وغرة العرب ولباب البشر ومصاص بني
آدم وزينة الدنيا وحلية الدهر وطينة البيضاء والمغرس المبارك والنصاب
الوثيق ومعدن المكارم وينبوع الفضائل واعلام العلم وايمان الايمان و
صلوات الله عليهم اجمعين واما قول القاضي البيضاوي وتخصيص الشيعة اهل البيت
بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي انه صلعم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر
اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن و
الحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و
يطهركم تطهيرا واحتجاج الشيعة على عصمتهم وكون اجماعهم ضعيف لان التخصيص
لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم
ضعيف اما الاول فلان القرآن انما نزل على الاساليب المنطوية عليها لغة العرب
لكونه قرآنا عربيا ومن عادة فصحائهم وبلغائهم في كلامهم انهم يذهبون من خطاب
الى خطاب ثم يعودون اليه ومن ذلك ما وقع لامرئ القيس من الفصل بين
لذتي الحرب والبوس بلذة الدعة في قوله كاني لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن
كاعبا ذات خلخال ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال
فصل بين لذتي الحرب والبوس وهما قوله كاني لم اركب الى آخره وقوله لم اقل
لخيلي الى آخره بلذة الدعة وهي قوله ولم اتبطن الى قوله الروي من غير ضرورة
داعية من محافظة على وزن او قافية اذ كان له ان يقول كاني لم اركب
جوادا ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال ولم اسبأ الزق الروي للذة

كاعبا ذات خلخال
~~ولم اتبطن الى قوله الروي من غير ضرورة داعية من محافظة على وزن~~
~~او قافية اذ كان له ان يقول كاني لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كري كرة بعد~~
~~اجفال ولم اسبأ الزق الروي للذة ولم اتبطن~~ كاعبا ذات خلخال
فكون ما قبل الآية وما بعدها في ازواج النبي صلعم لا يمنع كون وسطها فيهم
اذ الخروج من حكم الى آخر في القرآن كثير جدا فكثيرا ما نزل الآية اولها في
شيء واوسطها في شيء آخر ولو اريد بالوسط النساء لقيل عنكن ويطهركن — واخرها في اخرى
دون عنكم ويطهركم فهذا قرينة على المراد والقول بالتغليب سيظهر ضعفه و
اما الثاني فلما قال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع
وعائشة وام سلمة وغيرهم ان الآية مختصة برسول الله وعلي وفاطمة و
وابنيهما عليهم السلام وللحكم وبقول النبي صلعم في جواب ام سلمة ادخلني معك ومعهم
في الكساء انت بخير والى الخير وانما نزلت هذه الآية في هؤلاء خاصة وفي
ناصص بالباب وفي تفسير الثعلبي عن ام سلمة ان النبي كان في بيتها فاتت فاطمة
ببرمة فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين
فدخلوا فجلسوا ياكلون من تلك الحريرة وهو وهم على مقام واحد له على
دكان تحته كساء خيبري قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله انما يريد الله
ليذهب الآية قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها
الى السماء ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا فادخلت راسي البيت وقلت وانا معكم يا رسول الله
قال انك على خير وباسناده قال مجمع دخلت امي على امي عائشة فسالتها

اي ارايت خروجك يوم الجمل قالت انها كانت قدرا من الله فسالتها
عن علي عليه السلام فقالت تسالني عن احب الناس كان الى رسول الله
وزوج احب الناس كانت الى رسول الله لقد رايت عليا وفاطمة وحسنا
وحسينا قد جمع رسول الله بثوب عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي و
خاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فقلت يا رسول الله انا
من اهلك قال تنحي انك الى خير وروى الترمذي في الجامع عن عمر بن ابي سلمة
ربيب رسول الله صم قال نزلت انما يريد الله ليذهب الآية في بيت ام سلمة
فدعا النبي صم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال
هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقالت ام سلمة وانا معهم يا
رسول الله قال انت على مكانك وانت على خير وفي رواية شهر بن حوشب
فرمت الكساء لادخل تحته معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير وفي رواية
اخرى فقالت زينب يا رسول الله الا ادخل معكم فقال رسول الله مكانك
فانك على خير ان شاء الله تعالى وفي صحيح ابي داود السجستاني وهو كتاب السنن
قالت ام سلمة وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل
البيت فقال انك على خير انك من ازواج النبي هذه وامثالها الكثيرة الواردة
في طريق القاضي تقضي بكونهم المراد باهل البيت دون غيرهم من ازواج
النبي ونسائه المذكورات فيما قبل الآية وما بعدها وبالجملة ما ذكروه و
احتملوه من التغليب وكون الآية تعليلا لامرهن ونهيهن على الاسلوب
ومن كون الحكم عاما وتخصيص تسمية اهل البيت لهؤلاء والاحتجاج بذلك

على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف الى غير ذلك كلام كلام في مقابل النص
الصحيح والبيان الصريح الواردين في الطرفين فلا يسمع ذلك منهم نعم لولا ورود
الروايات الصحيحة من الجانبين في بيان انها لكان لما ذكروه واحتملوه وجه واذ قد
ثبت ان المراد باهل البيت في الآية هؤلاء المذكورون ثبت ان اجماعهم بل قول كل منهم
بحياله حجة لان اذهاب الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدم العصيان والمخالفة
لاوامر الله ونواهيه ووقوع الخطا منهم مامون فالاقتداء بهم والاخذ بقولهم وتعلم
تفسيرهم دون من لم يؤمن وقوعه منه وتطرق الرجس اليه واجب ومن العجب ان
هذا القاضي يجوز في حكمه فيقضي على خلاف ما ورد من طرقه فيذكر منه ما يقبل
التاويل الى ما يطابق دينه وهواه ويوافق مذهبه واشتهاه ويترك اوليا
مما هو نص بالباب والله يهدي من يشاء الى الصراط السوي والطريق الصواب و
لنذكر بعدما ورد على ذلك في طريق الشيعة ففي كتاب كمال الدين وتمام النعمة
باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عن صاحب الدعاء جعلت له الفداء انه قال
في اثناء كلام له في جمع من المهاجرين والانصار في المسجد في ايام خلافة عثمان ايها الناس
اتعلمون ان الله عز وجل انزل في كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسينا والقى علينا كساء
وقال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني ما يجرحهم فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة وانا يا رسول الله فقال انت وانك
الى خير انما انزلت في وفي اخي وفي ابنتي وفي ابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين
خاصة ليس معنا فيها احد غيرنا فقالوا كلهم نشهد ان ام سلمة حدثتنا بذلك

نسائك رسول الله صلى الله عليه وآله فحدثنا كما حدثتنا ام سلمة وفي علل الشرائع باسناده
الى عبد الرحمن بن كثير قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما عنى الله عز وجل
بقوله انما يريد الله ليذهب الآية قال نزلت هذه الآية في النبي وامير
المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلم فلما قبض الله نبيه كان امير المؤمنين
ثم الحسن ثم الحسين ثم وقع تاويل هذه الآية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
في كتاب الله وكان علي بن الحسين ثم جرت في الائمة من ولده الاوصياء
فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله عز وجل وفي الاحتجاج عن علي
ابن الحسين في حديث طويل يقول فيه لبعض الشاميين فهل تجد لنا في
سورة الاحزاب حقا خاصة دون المسلمين فقال لا قال عليه السلم اما
قرات هذه الآية انما يريد الله ليذهب الآية والاخبار في ذلك من طريقين
اكثر من ان تحصى وفيما اوردناه كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد ومنه يظهر ان العصمة وان كانت من الامور الممكنة الحصول في غيرهم
الا انها في هذه الآية انحصرت فيهم وخصت بهم واليه يشير قول صاحب التجريد
ولوجوب العصمة وانتفائها عن غيرهم وفي معاني الاخبار عن علي بن الحسين
عليهما السلام الامام منا لا يكون الا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخلقة
فتعرف بها فلذلك لا يكون الا منصوصا وفي مجمع البيان استدلت الشيعة
باختصاص هذه الآية بهؤلاء الخمسة بان قالوا انما لاثبات ما يذكر بعدها
ونفي ما سواه اذا تقرر هذا فالارادة في الآية اما ارادة محضة او ارادة

يليها التطهير واذهاب الرجس لا سبيل الى الاول لانه تعالى قد اراد من
كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا يجعل اختصاص لها باهل البيت و
لان هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم ولا مدح في الارادة المجردة فثبت الثاني
وفي ثبوته عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح وقد علمنا ان من عدا من ذكرنا
من اهل البيت غير مقطوع عصمته فثبت ان الآية مختصة بهم انتهى ولعل
السبب في ذلك الاختصاص علم الله بقبول المحل له دون غيره واليه يشير قوله
الله اعلم حيث يجعل رسالته ويجوز ان يكون ذلك من نفسهم بحيث لا يختارون
المعصية مع قدرتهم عليها لوفور عقلهم وكثرة علومهم ومداومتهم على التفكر
والنظر وملازمتهم على الطاعات ومواظبتهم على العبادات والحاصل انهم
من حيث هم بشر متعلقون بجلابيب ابدانهم البشرية وقوائهم النفسانية
وان كانوا مائلين الى المعاصي والامور الدنية وما هو مقتضى الطبيعة
النوعية واللوازم البشرية الا انه حصل لهم لطهارة انفسهم القدسية و
كمالها في نفسها بثبات قوتها المتفكرة واستقامة وهمها منقادا تحت
حكم العقل سواء في ذلك صغيرهم وكبيرهم لما ثبت من امامة الجواد و
القائم عليهما السلام بالسنة المتواترة القاطعة في حد الصبي من العناية
الازلية ما يمنعهم عن ذلك لصحبة عالم القدس والتشبه بالمبادي العالية
والملائكة المقربين والتخلق باخلاق الله رب العالمين وهذا معنى قولهم
العصمة لطف يفعلها الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة

وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك وامكان صدورها عنه و
بالجملة المعصومون من البشر لهم جهتان ناسوتية ولاهوتية فبالاولى
يقع عليهم ما يقع على غيرهم من الاحوال المشتركة واللوازم البشرية كا
لاكل والشرب والنوم والحركة وغيرها من التناكح والتناسل وبالثانية
يقهرون قوى انفسهم المتضادة واهواءها المتنازعة المتداعية الى الشرور
والغرور وبذلك يكون افضل من الملائكة اذ لهم امور مثلا مضادة للقوة
العقلية وشواغل من الطاعات العملية كالشهوة والغضب وساير الحاجات
الشاغلة والموانع الخارجة والداخلة فالمواظبة على الطاعات والمداومة
على العبادات وتحصيل الكمالات بالقهر والغلبة على ما يضاد القوة العقلية
يكون احمض وابلغ في استحقاق الثواب ولا معنى للافضلية الا زيادة
استحقاق الكرامة والثواب وقد سبق ان هذه الجملة انما تحصل بدوام الفكرة الفكرة
وقصر النظر في نعوت كماله وصفات جماله وجلاله وحقائق مخلوقاته
وبدايع مصنوعاته وخواص مبدعاته وبالجملة بالتبتل عن دار الغرور
والتوصل الى عالم النور والى هذا يشير قول صاحب الدعاء جعلت له الفداء
قد سأله اعرابي بم نلت ما نلت قال قعدت على باب قلبي فلم ادع ان يدخله
سوى الله عليه من الصلوات افضلها ومن التحيات اكملها تذنيب وسط
عليه السلام الدعاء لنفسه بالدعاء للنبي صلعم بوجوه احدها انه من اعظم
اسباب اجابة الدعاء فيكون الدعاء معه اقرب الى محل الاجابة حيث وقع
بين مستجابين فانه سبحانه اكرم من ان يقبل الطرفين ويرد الوسط

قال الصادق عليه السلام من كانت له الى الله حاجة فليبدء بالصلوة
على محمد واله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلوة على محمد واله فان الله عز وجل
اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط اذا كانت الصلوة على محمد واله لا تحجب عنه
وعن صاحب الدعاء عليه صلوات الله ما دامت الارض والسماء اذا كانت لك
الى الله سبحانه حاجة فابدء بمسألة الصلوة على النبي صلعم ثم سل حاجتك فان
الله عز وجل اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى وذلك
ان من باع امتعة صفقة واحدة فان المشتري لا يسوغ له اخذ الصحيح ورد المعيب
بل اما يرد الجميع او يقبل الجميع وهنا الداعي مزج الدعاء لنفسه بدعاء غيره من النبي و
آله وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجلال والاكرام فهو سبحانه اجل
واكرم من ان يرد المعيب ويقبل الصحيح كيف وقد نهى عن ذلك عباده ولا يليق بكرمه جل
شانه رد الجميع لان بعضه مقبول البتة فلم يبق الا قبول الجميع وثانيها المطلوب الثاني
ان النبي صلعم واله عليهم السلام وسايط بين الله سبحانه وبين عباده في قضاء حوائجهم
ونجاح مطالبهم وهم ابواب معرفته عز وجل فلابد من التوسل بذكرهم في عرض الدعاء
عليه وقبوله لديه ولذلك كما اذا اراد احد من الرعية اظهار حاجته على السلطان
يتوسل بمن يعظمه ولا يرد قوله وعن سلمان المحمدي صلى الله عليه وآله قال سمعت محمدا
يقول ان الله عز وجل يقول يا عبادي او ليس من له اليكم حوائج كبار لا تجودون بها
الا ان يتحمل عليكم باحب الخلق اليكم تقضونها كرامة لشفيعهم الا فاعلموا ان اكرم الخلق
علي وافضلهم لدي محمد واخوه علي ومن بعده من الائمة هم الوسائل الى الله الا
فليدعني من همته حاجة يريد نفعها او دهمته داهية يريد كشف ضررها بمحمد وآله
الطيبين الطاهرين اقضها له باحسن ما يقضيها من تستشفعون باعز الخلق عليه

فقال له قوم من المشركين والمنافقين وهم مستهزؤن به يا ابا عبد الله فما لك لا تقترح
على الله بهم ان يجعلك اغنى اهل المدينة فقال سلمان دعوت الله وسألته ما هو اجل
وانفع وافضل من تلك الدنيا باسرها وافضل ما سألته بهم صلى الله عليهم ان يهب لي
لسانا ذاكرا لتحميده وثنائه وقلبا ذاكرا لآلائه وبدنا على دواهي الداهية صابرا
وهو عز وجل قد اجابني الى ذلك وهو افضل من ملك الدنيا بحذافيرها وما
يشتمل عليها من خيراتها مائة الف الف مرة وعن الصادق ع لا يزال الدعاء محجوبا
حتى يصلى على محمد وآله وعنه عليه السلم من دعا ولم يذكر النبي ص رفرف الدعاء على
راسه فاذا ذكر النبي ص رفع الدعاء انه صلى الله عليه وآله اب معنوي لامته من حيث
الشفقة والنصيحة فيجب الدعاء له على كل احد من امته قضاء الحق تعليمه واداء الواجب
تعظيمه وتكريمه وفي الحديث يا علي انا وانت ابوا هذه الامة وقد ثبت عند ارباب
التحقيق انه ص ابو الارواح كما ان ادم ع ابو الاجساد قال بعض اصحابنا المتاخرين
ان الارواح كلها مخلوقة من روح واحد وهي روح النبي ص فروحه اصل الارواح
فكما ان ادم ع كان ابا البشر وخليفة الله في الارض كان النبي صلى الله عليه وآله
ابا الارواح وخليفة الله في عالم الارواح فالروح خليفته ومجمع صفاته الذاتية
كالعلم والحيوة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والبقاء والجسد خليفة
الروح وهو مجمع صفاته الفعلية وذلك ان الله لما خلق روح النبي كان الله و
لم يكن معه شيء آخر حتى ينسب ويضاف اليه الروح غير الله بل كان روحه اول
شيء تعلقت به القدرة الازلية ولذلك شرفه بتشريف الاضافة الى نفسه و
هو روح النبي ص كما قال واذا سويته ونفخت فيه من روحي ولم يقل نفخت فيه
روحي بدون من ليكون فيه دلالة على ان الروح المنفوخ في آدم هو روح النبي

صلى الله عليه وآله بل كان روح آدم متولدا منه فالنبي الاب الروحاني للبشر ولسائر
الانبياء وابو البشر الاب الجسماني له ولسائر البشر كما قال واني وان كنت ابن آدم
صفوة فلي فيه معنى شاهد بابوتي اذ كل ارواح اولاد آدم مخلوقة من روح
النبي صلى الله عليه وآله لقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين و
نفخ فيه من روحه وكذا قال في حق عيسى ونفخنا فيه من روحنا فكانت النفخة
لجبرئيل والروح من روح النبي ص المضاف الى الحضرة الالهية ولاجل كون حقيقة
الروح على هذه المنزلة والشرف قصرت افهام الناس وتلاشت العقول عن دركها
كما تتلاشى انوار الابصار في شعاع الشمس ولهذا قال الله تعالى وما اوتيتم
من العلم الا قليلا فافهم هذا المقال فانه مدرك عزيز المنال انتهى كلامه
تتميم نفعه ما تضمنه الدعاء من الاعتراف بالذنوب والمعاصي والاقرار بالسيئات
والخطايا والمساوي مع عصمة صاحب الدعاء وطهارته كما مر محمول اما على
تاديب الرعية وتعليمهم كيفية الاقرار والاعتراف بالعبودية وان البشر في مظنة
المعصية وليسوا كالملائكة الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
ويؤيده ما روي عن صاحب الدعاء جعلت له الفداء انه مر بقوم من اخلاط المسلمين
ليس فيهم مهاجري ولا انصاري وهم قعود في بعض المساجد في اول يوم من شعبان
واذا هم يخوضون في امر القدر وغيره مما اختلف فيه الناس قد ارتفعت اصواتهم
واشتدت فيه جدالهم فوقف عليهم فسلم فردوا عليه ووسعوا له وقاموا اليه يسئلونه
اليه فلم يحفل بهم ثم قال لهم وناداهم يا معشر المتكلمين الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم
خشيته من غير عي ولا بكم وانهم الفصحاء العقلاء الالباء العالمون بالله وآياته
ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت السنتهم وانقطعت افئدتهم وطاشت

صورة خ ل

عميم م

بالنقص والتقصير ... اوعلى التواضع والاعتراف م

القعود

عمّ م

عقولهم وتاهت حلومهم اعزازا لله وعظاما واجلالا فاذا افاقوا من ذلك استبقوا
الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم برءاء
من المقصرين والمفرطين الا انهم لا يرضون بالله بالقليل ولا يستكثرون لله
الكثير ولا يدلون عليهم بالاعمال فهم اذا رايتهم مهيمون مروعون خائفون مشفقون
وجلون فاين انتم منهم يا معشر المبتدعين الم تعلموا ان اعلم الناس بالضرر اسكتهم
عنه وان اجهل الناس بالضرر انطقهم فيه ولهم مؤيدات آخر يمنعني عن ايرادها
خوف التطويل فاكتفيت فيها بذكر هذا القليل والله الهادي الى سواء السبيل
جعلنا الله واياكم من العالمين بالضرر والساكتين عنه وخاصة عن امر القدر
فانه من مخاليف الاقدام والخائض فيه لا يخلو عن الخطر ولذا نهى عنه رسول الله
وعترته المعصومون سادات البشر عليه وعليهم صلوات الله وسلامه ما نزعت
الشمس والقمر والحمد لله رب العالمين على توفيقه للاتمام والصلوة على رسوله
وآله البررة الكرام خير البرية واشرف الانام سوده في عنفوان شبابه ونقله
من السواد الى البياض بعد شيبته ونفاد ايامه واقتراب اجله وكان لكاتب
الغائب له عن ذلك امور اشرحها يوجب الاطناب ونقلها يدهش الالباب و
يشوش الاحباب والى الله المشتكى ثم الى رسوله وآله ائمة الهدى العبد الحقير الاحسن
بمولاه الجليل محمد الرضا المازندراني الشهير باسمعيل عفى الله عن جرائمهم محمد
وآله وقائمهم صلى الله على محمد وآل الطاهرين حرره اقل السادات والعباد
ابن محمد علي الموسوي محمد جواد في شهر رجب
من شهور سنة ثمان وثلاثمائة بعد
الالف سنة
١٣٠٨



